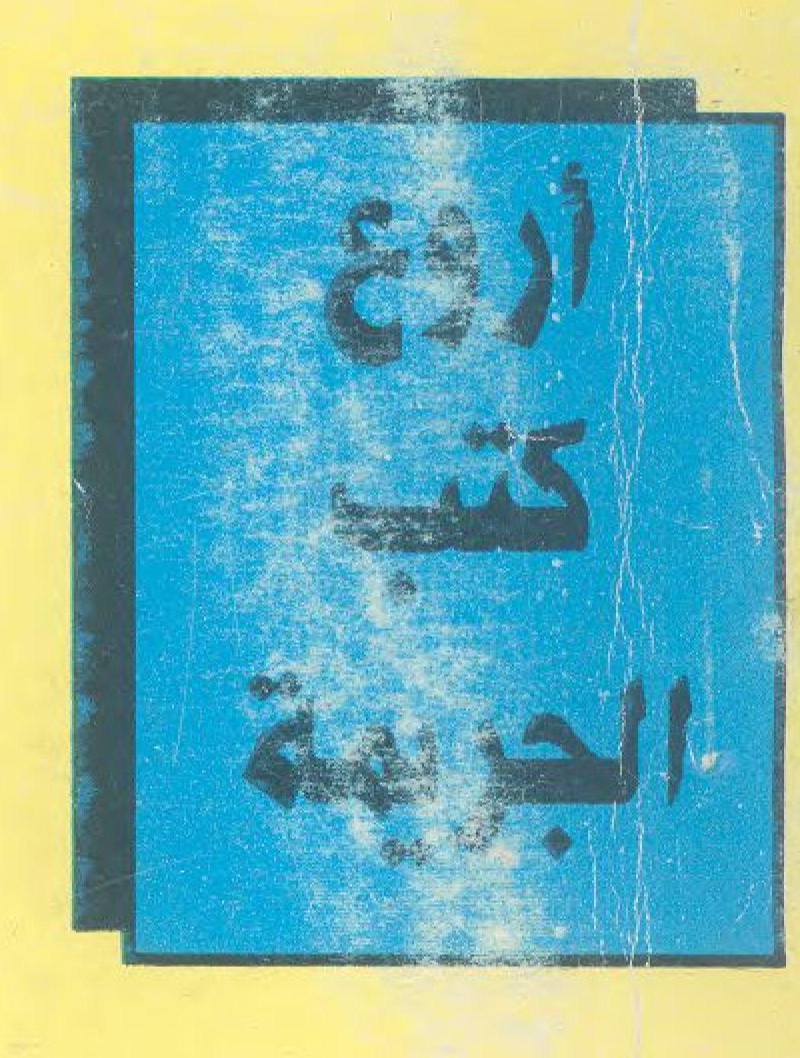


أجاثا
كريستى



جريمة عيد الميلاد

أروع كتب الجريمة

أجاثا كريستي

كتاب الملايين

باشراف محمد عبد المنعم جلال

في المغامرة . الجريمة . الاثارة . الجاسوسية .
الخيال العلمي

كتبها مؤلفون اذكياء لقراء أذكياء

أجاثا كريستي	جريمة قطار الشرق السريع
	الشر تحت الشمس
	من القاتل ؟
	نزوة ميت
	حانة الموت
	جريمة عيد الميلاد
سيمنون	نهاية محتال
	الأميرة الروسية
هيتشكوك	الرجل الثالث
	الهارب
ستانلي جارنر	بيري ميسون محامي الشيطان
	بيري ميسون ومخالب من حرير
ادجال وولاس	الدائرة الحمراء
كونان دويل	وادي الرعب

الرواية الكاملة ... دون حذف أو اختصار

جريمة عيد الميلاد

أجاثا كريستي

ترجمة محمد عبد المنعم جلال

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية
ومكتبة المعارف ببيروت

الفصل الاول

٢٢ ديسمبر

رفع ستيفن فار ياقة معطفه وهو يسير في خفة ونشاط جيئة وذهاباً على رصيف المحطة التي تجمعت فوقها سحب كثيفة من الضباب وصفرت القاطرة الضخمة وهي ترسل سحباً كثيفة من الدخان في الجو البارد . كان كل شيء قذرا يعلوه الهباب

وقال في سره متقززا :-

- يا لها من بلاد قذرة .. أف لها من مدينة قذرة .

خبا السرور والانفعال اللذان احس بهما عندما هبط لندن لأول مرة ووقعت عيناه على محلاتها. ومطاعمها ونسائها الحسان الفاتنات ورأى المدينة الآن اشبه بماسة زائفة تلمع فوق قاعدة قاتمة .

ماذا لو عاد الآن رأسا الى افريقيا الجنوبية ؟ .. أحس بالحنين الى الوطن يكوى ضلوعه .. أشعة الشمس الساطعة والسماء

الزرقاء وبساتين الزهور والورود الزرقاء والسياج الشائكة .. والنبات الازرق المتسلق الذي يزحف في كل مكان .

وهنا ، في لندن ، القذرة والاوساخ والزحام الشديد الذى لا ينقطع .. والذى يتحرك مسرعا ويتدافع بالمناكب .. أشبه بفريق من النمل المنهمك في العمل حول عششه .

ووقف لحظة يفكر قائلاً :- ليتنى لم أحضر .

ولكنه لم يلبث ان تذكر الغاية التى أقدم بسببها فالتوت شفتاه وهو يتكلف الابتسام .. كلا .. انه لن يعود الآن بعد أن أصبح في منتصف الطريق .. انه رسم خطته هذه منذ سنوات ، وهى خطة راض نفسه عليها منذ وقت طويل ولن يتراجع الآن .

هذا النفور المؤقت وذلك الاستجواب الذى القاه على نفسه ! .. ولماذا ؟ .. هل هناك جدوى ؟ .. لم يكن ذلك إلا ضعفا منه انه لم يعد طفلا يجرى هنا وهناك طبقاً لرغباته .. انه رجل في الاربعين جدير بأن يتخذ قراراته وأن يسير قدما الى أغراضه التى جاء من أجلها الى انجلترا .

وصعد الى القطار وسار في الممر الطويل بحثا عن مكان يجلس فيه وكان قد رفض مساعدة احد الحمالين وأمسك بحقيبته

الجلدية في يده وراح يلقي نظرة على كل مقصورة . كان القطار مزدحماً ، فلم يكن باقيا على عيد الميلاد غير ثلاثة أيام . وراح ستيفن فار ينظر الى العربات المزدحمة في اشمئزاز .

أناس .. أناس .. وحشود من الناس في كل مكان وكلهم كلهم .. ماذا يقول ؟ .. كلهم قاتمون .. كلهم .. كلهم يتشابهون . فأولئك الذين ليست لهم رؤوس خراف لهم رؤوس ارانب .. بعضهم يثرثر ويعطي لنفسه أهمية .. وبعضهم من متوسطي السن يتذمرون ويزمجرون . كان أغلب هؤلاء أشبه بالخنازير .. حتى الفتيات الرشيقات ، بوجوههن البيضاوية وشفاههن القرمزية، كن يتشابهن بشكل يدعو الى الملل .

تنهد ستيفن وهو يشعر بحنين مفاجيء الى المروج الخضراء والاراضي الشاسعة التي تتلألأ بنور الشمس .

وفجأة انبهرت أنفاسه وهو ينظر في احدي العربات فهذه الفتاة تختلف عن غيرها من الفتيات . شعر اسود وبشرة صفراء أشبه بالكريمة وعينان عميقتان سوداوان كسواد الليل .. عينان تنطقان بحزن واباء سكان الجنوب .

كان من الخطأ كل الخطأ وجود هذه الفتاة في هذا القطار بين

هذا الحشد الكئيب من الناس . ومن الخطأ كل الخطأ أن تكون ذاهبة الى أواسط انجلترا الكئيبة . كان يجب أن يكون مكانها في احدى الشرفات ، وبين شفتيها وردة وفوق رأسها شال خفيف من الدانتيلا السوداء . وكان يجب أن يكون حولها غبار وضجة ورائحة دم .. رائحة دم في حلقة مصارعة الثيران . كان يجب أن تكون في مكان فخم ، بدلا من أن تكون محشورة هكذا في أحد أركان عربة من عربات الدرجة الثالثة بالسكة الحديدية .

وكان ستيفن سريع الملاحظة ففطن الى المعطف الاسود الرخيص ، كما لحظ رخص الجونلة والقفاز والحذاء العادي . وتنافر اللون الاحمر الفاقع لحقيبتها اليدوية مع الوان ثيابها . ومع ذلك فقد أشركها في خياله مع الروعة والعظمة .. ذلك لانها كانت حقا رائعة .. رقيقة ، غريبة على هذا الجو .

ماذا تراها تفعل في هذه البلاد بحق الشيان ؟

بلاد الضباب والبرد القارس والنمل العامل المتعجل ؟

وقال يحدث نفسه :- يجب أن أعرف من هى ؟ وماذا تفعل هنا ؟ يجب أن أعرف ...

- ٢ -

انحشرت بيلار في ركنها بجوار النافذة وأخذت تفكر في أن الانجليز تفوح منهم رائحة غريبة .. أثارها أكثر من أى شيء آخر في إنجلترا اختلاف الرائحة ، فلم تكن رائحة الثوم تملأ المكان ولم يكن هناك غبار ، ولكن كان هناك شيء قليل من العطر ، وفي هذه المقصورة بالذات كانت هناك تلك الرائحة التى تطالع الانسان في المكان المغلق .. تمتزج برائحة الكبريت والصابون ، كما كانت هناك رائحة اخرى بغيضة تنبعث من ياقة الفرو التى تضعها المرأة الضخمة التى تجلس بجوارها حول عنقها .. تشممت بيلار الرائحة في حذر وتساءلت كيف يمكن أن تتعطر امرأة بالنفتالين .

ودوت صفارة ، وصاح احدهم بعبارة في صوت قوي ثم تحرك القطار في بطء خارجا من المحطة ، وانطلق بركابه .. وبها نحو المصير الذى ينتظرها .

وازدادت دقات قلب بيلار عن ذي قبل .. ترى هل يسير كل شيء على ما يرام « .. وهل تتمكن من تنفيذ الخطة التى رسمتها لنفسها » طبعا .. ، طبعا .. فهي قد فكرت فيها في روية وامعان ، واستعدت لكل احتمال : اوه .. نعم ، سوف تفلح .. سوف تفلح .

التوت شفتاها الحمراوان فجأة وبانت في طياتها امارات القسوة والطمع .. كانتا كشفتى طفل أو قطة صغيرة .. شفتان لا هم لهما الا ارضاء نزواتهما ولا محل عندهما للشفقة أو الرحمة .

نظرت حولها في فضول ظاهر .. هؤلاء الناس - وقد كانوا سبعة - ما أغربهم ، هؤلاء الانجليز ! .. كانوا كلهم يبدون أثرياء موسرين .. فثيابهم .. وأحذيتهم ثمينة غالية .. أوه ، لا ريب أن انجلترا بلد غني جدا كما سمعت دائماً .. ولكن كان ينقصها المرح .. نعم ، لم يكن أحد من هؤلاء السبعة يحس بالمرح أو السرور .

وكان يقف بالممر شاب جميل .. رأت بيلار أنه وسيم جداً ، وأحبت وجهه الذى لفحته الشمس بشكل شديد وأحبت أنفه المعقوف وكتفيه العريضتين ، وقد أحست بأسرع ما تحس به أى انجليزية أن ذلك الشاب كان يتأملها في أعجاب . ولم ترفع عينيها اليه ولا مرة واحدة مباشرة ولكنها مع ذلك عرفت تماما كم مرة نظر اليها وأدركت شعوره نحوها .

سجلت بيلار هذه الحقائق بدون أي اهتمام أو انفعال فقد جاءت من بلد ينظر فيه الرجال الى النساء نظرتهم الى العوبة ما ولا يخفون مشاعرهم نحوهن . وتساءلت اذا كان ذلك الشاب انجليزيا،

وحدثت نفسها أنه ليس كذلك .

واستطردت تقول في سرها :- انه يتقد حيوية بحيث لا يمكن أن يكون انجليزيا ، ومع ذلك فهو جميل . لعله امريكي .

وخطر لها أنه يبدو كأولئك الممثلين الذين تراهم في أفلام رعاة البقر .

وعبر أحد الموظفين الممر في هذه اللحظة وهو يقول في صوت مرتفع :

- الافطار .. الوجبة الأولى .. اسرعوا الى اماكنكم لتناول الوجبة الأولى .

بسط الركاب السبعة الذين يجلسون مع بيلار تذاكرهم التى تخول لهم تناول وجبة الافطار الاولي ، وما هى الا لحظة حتى وجدت بيلار نفسها تجلس وحدها في هدوء تام وأسرعت الفتاة عندئذ فرفعت زجاج النافذة وكانت امرأة وخط شعرها المشيب ويدل مظهرها على انها معتادة على املاء ارادتها ، وتجلس في الركن المقابل هى التى خفضته بضعة سنتيمترات . واضطجعت بيلار بعد ذلك في مكانها وراحت تنظر الى ضواحى لندن الشمالية وهى تجرى أمام عينيها ولم تلتفت عندما سمعت الباب يفتح . ودخل

الرجل الذى كان يقف بالممر . وأدركت بيلار أنه دخل وفي نيته أن يبادلها الحديث .

واستمرت تنظر الى المناظر التى تجرى أمامها مستغرقة في التفكير . وقال ستيفن فار :

– هل تريدين انزال النافذة ؟

فأجابت في هدوء :– على العكس، اننى أغلقتها منذ لحظة .

كانت تجيد النطق بالانجليزية وان كان يشوب لهجتها لكنة خفيفة .

وقال ستيفن في سره أثناء الصمت الذى خيم بعد ذلك :

– ان صوتها جميل .. فيه حرارة الشمس .. صوت دافيء دفء ليلة من ليالى الصيف .

اما بيلار فكانت تحدث نفسها قائلة :–

– اننى أحب صوته .. فهو صوت قوى جميل .. انه جذاب .. نعم ، جذاب .

وقال ستيفن في صوت مرتفع :– ان القطار مزدحم جداً .

اوه ، هذا صحيح . ان الناس يغادرون لندن الآن الجو فيها كئيب من غير شك ..

كانت بيلار قد نشأت نشأة بعيدة عن التحفظ بحيث لا تعتقد ان تبادل الحديث مع رجل غريب في قطار يعد جريمة . كانت تستطيع المحافظة على نفسها تماما كما تفعل أى فتاة ، ولكنها لم تتحفظ في اختلاطها بغيرها .

ولو أن ستيفن نشأ في انجلترا لتردد كثيرا قبل أن يبدأ أي فتاة الحديث ، ولكنه كان رجلا بسيطا لا يجد عيبا في التحدث مع من يشاء .. وابتسم في بساطة وقال :

- ان لندن مدينة فظيعة . أليس كذلك ؟

- أوه .. نعم .. اننى لا أحبها على الاطلاق .

- ولا أنا .

فسألته بيلار :- ألست انجليزيا ؟

- اننى بريطاني ، ولكني قادم من افريقيا الجنوبية .

- أوه .. انني أرى .. هذا يفسر كل شيء .

- وأنت ؟ .. هل أنت قادمة من الخارج ؟

أومأت بيلار وأجابت :- نعم . من أسبانيا .

بدأ الاهتمام على ستيفن وقال :- تقولين اسبانيا ؟

.. اذن فانت اسبانية ؟

– أنا نصف أسبانية . كانت أمى انجليزية ، وهذا هو السبب في انني أجيد الانجليزية .

فسألها :– وما رأيك في الحرب الاسبانية ؟

– فظيعة جدا .. نعم .. هذا محزن .. تسببت في كثير من الدمار والخراب .

– في أى جانب أنت ؟

كانت ميول بيلار السياسية غامضة ، وقالت انها تعيش في قرية لم يهتم أهلها بالحرب كثيرا واستطردت :

– انها تدور بعيدا عنا كما تعرف ، والعمدة موظف في الحكومة بطبيعة الحال ، وهو لهذا السبب في صف الحكومة . اما الكاهن فهو في صف الجنرال فرانكو .. ولكن أغلب الاهالي يهتمون بكرومهم وأراضيهم ، ولا وقت لديهم للمناقشة في هذا الموضوع .

– اذن فلم تقع أية معارك بجواركم ؟

أجابت بيلار بالنفي ولكنها استطردت :

– ولكنى ركبت سيارة ورأيت بعد القرية دمارا كثيراً .. وشاهدت قنبلة تقع فأصابت سيارة .. وأخرى دمرت بيتا .. كان

منظرا مثيراً .

ارتسمت على شفتى ستيفن فار ابتسامة خفيفة وهو يسأل :

- اذن فقد أثارك هذا المنظر !

فأجابت :- وضايقنى في نفس الوقت ، لاننى كنت أريد متابعة طريقي ولكن سائق سيارتي قتل .

وقال ستيفن وهو يتأملها :- ألم يزعجك ذلك ؟

أتسعت عينا بيلار وهى تجيب قائلة :

- يجب أن يموت كل منا ذات يوم ، أليس كذلك ؟ .. واذا داهمنا الموت فجأة من السماء .. هكذا مرة واحدة فهذا افضل من أية طريقة أخرى .. فالمرء يعيش اليوم ويموت غدا .. وهذه سنة الحياة .

ضحك ستيفن فار وقال :- يبدو لى انك غير مسالمة .

- يبدو لك انني غير ماذا ؟

وبدت عليها الحيرة كما لو أن الكلمة التى نطق بها لا دخل لها في نطاق الكلمات التى تعرفها .

- هل تصفحين عن أعدائك يا سينوريتا ؟

هزت بيلار رأسها وأجابت :- ليس لي اعداء .. ولكن اذا

فرضنا أن لي عدوا ..

- حسنا .

تأملها ستيفن وقد سحره اعوجاج شفتيها القاسيتين في حين استطردت تقول في صوت خطير :

- لو أن لي عدوا حقيقيا فانني أجز عنقه هكذا ..

وأتت بحركة من يديها ذات معنى فقال :

- يالك من فتاة متعطشة للدماء .

وسألته بيلار في هدوء :- وأنت ؟ .. كيف تعامل اعداءك ؟

اجفل الشاب وتفرس في الفتاة ثم ضحك في صوت عال وقال:

- وددت لو أني عرفت .

وقالت بيلار في استهجان :- ولكنك تعرف بالتأكيد ...

كف ستيفن عن الضحك وتنهد ثم قال في صوت خافت :

- نعم .. انني اعرف .

ثم غير مجرى الحديث مسرعا وسألها قائلاً :

- ولماذا قدمت الى انجلترا ؟

اجابت بيلار في هدوء تام :- سوف اقيم مع اقاربي .. اقاربي الانجليز .

وارتد في مقعده الى الخلف وراح يتأملها وهو يتساءل عن هؤلاء الاقارب الانجليز الذين تتحدث عنهم ، وماذا يفعل هؤلاء الاقارب بفتاة اسبانية وحاول ان يتخيلها تعيش مع اسرة انجليزية معتدلة في ايام عيد الميلاد .

وسألته بيلار :- هل أفريقيا الجنوبية بلاد جميلة ؟ وبدأ يحدثها عن أفريقيا الجنوبية فأصغت اليه في اهتمام أشبه باهتمام الطفل الذى يصغى الى قصة . وأعجبته أسئلتها الساذجة والصبيانية في نفس الوقت وسره أن يجعل من حديثه قصة أشبه بإحدى القصص الخيالية .

وعاد الركاب السبعة فوضعوا بذلك نهاية لحديثهما .

ونهض ستيفن ونظر اليها مبتسما ثم عاد الى مكانه السابق بالممر .

ولكن ، بينما كان يهم باجتياز باب المقصورة تنجى لكى يفسح الطريق لسيدة عجوز ، وفيما هو يفعل وقعت عيناه على بطاقة ملصقة بحقيبة يدل شكلها على انها صنعت في استرافادوس ثم وقع بصره على العنوان فأخذته الدهشة وتملكته احساسات أخرى : «قصر جورستون باقليم ارلسفيلد» .

والتفت نصف التفاتة وحدق في الفتاة وقد ارتسمت في عينيه نظرة حافلة بالشك والدهشة والحيرة ثم خرج الى الممر حيث وقف يدخن سيجارة وهو عابس الاسارير .

- ٣ -

جلس الفريد لي وزوجته ليديا يتجاذبان الحديث في غرفة الصالون الكبيرة المفروشة باللونين الازرق والذهبى .. كانا يتحدثان عن مشاريعهما من أجل حفلة عيد الميلاد .. كان الفريد متين البنيان ، متوسط السن ذا وجه رقيق وعينين سو داوين وكان يتكلم في صوت هادىء واضح النبرات تغوص رأسه بين كتفيه وينساب منه احساس بالجمود وعدم الحركة . أما ليديا ، زوجته فكانت امرأة ذات عزيمة وكانت نحيلة بشكل عجيب ولكن كان في حركاتها رقة ورشاقة يعيدان الى الاذهان رقة ورشاقة الكلب السلوقي .

لم يكن في وجهها الزائغ النظرات والذى تنطق قسماته بعدم الاكتراث أى جمال . ولكن كان فيه مهابة ووقار

وقال الفريد : ان أبي يصر علي ذلك ولا نملك شيئا .

– هل يجب أن نخضع دائماً لرغباته ؟

– انه رجل مسن جدا يا عزيزتى

– أوه . اننى أعرف ذلك .. اعرف ذلك

– وهو ينتظر منا طاعة عمياء

فقالت ليديا في لهجة جافة :– هذا أمر طبيعى طالما نمتثل اليه ولكن عليك أن تقاومه ذات يوم يا الفريد .

– ماذا تقصدين ياليديا ؟

تأملها في شىء من الدهشة والقلق بحيث عضت شفتيها لحظة ، وظهر عليها التردد في حين عاد الفريد لي يقول :

– ماذا تقصدين يا ليديا ؟

هزت كتفيها الرقيقتين النحيلتين وقالت في صوت بطيء وهى تنتقى كلماتها :

– ان اباك .. يميل الى الاستبداد .

– انه متقدم جدا في السن .

– وسيزداد تقدما وسيكون تبعا لذلك أشد تعنتا واستبدادا .

وأين يقودنا كل ذلك ؟ .. اننا لا نفعل اليوم الا كل ما يروق له ولن نستطيع أن نفعل ما يروق لنا أبدا . واذا أقدمنا على شىء فسوف يقلب كل مشاريعنا .

- ان أبى يتوقع أن يأتى في المرتبة الاولى ، ولا تنسى انه كريم جدا في معاملته لنا .

- أوه .. كريم ! ..

- بل كريم جدا .

نطق الفريد بهذه الكلمات في لهجة صارمة وسألته ليديا في هدوء :

- لعلك تعنى من الناحية المادية ؟

- نعم . أن رغباته بسيطة ، ولكنه لا يرفض لنا شيئاً مطلقاً . يمكنك أن تنفقى على زينتك كل ما تريدين وكذلك على البيت فسوف يسدد كل الفواتير من غير أن ينطق بحرف واحد . انه اهدانا سيارة جديدة في الاسبوع الماضي .

فقالت :- ان اباك كريم جدا من الناحية المادية ، واننى أوافقك على هذا. ولكنه يطالبنا نظير ذلك بان نتصرف كالعبيد .

- كالعبيد !!

- انها الكلمة التى استخدمتها .. انك عبد له يا الفريد . اذا نوينا الخروج وجاء ابوك فجأة وارادنا أن لا نخرج فانك سرعان ما تلغى مواعيدك وتمكث في البيت دون أن تتذمر . واذا شاء أن

نخرج فسوف نخرج . ليس لنا الحق في التصرف بحياتنا كما يحلو لنا ..

قال زوجها في لهجة حزينة :- ليتك لم تتكلمي هكذا يا ليديا ... فهذا مجرد .. ان أبى بذل لنا كل شيء .

ازدردت ليديا الرد الذي أوشك أن يفلت من بين شفتيها وهزت كتفيها الرقيقتين مرة أخرى . وقال الفريد :

- انت تعرفين ياليديا ان الرجل العجوز يحبك كثيرا .. فقالت زوجته في صوت واضح هادىء : أما أنا فلا أحبه

- ليديا .. انه لمما يكدرنى أن اسمعك تقولين هذا . ليس هذا من الكياسة في شيء .

- ربما .. فالمرء يضطر أحيانا الى ذكر الحقيقة .

- لو عرف أبى .

- ان اباك يعرف تماما اننى لا احبه واظن ان هذا يطربه في قرارة نفسه .

- الحق يا ليديا انك تخطئين فقد حدثنى مرارا كيف تعاملينه في رقة .

- اننى أحاول دائما ان اكون مهذبة وسأظل كذلك دائماً ولكنى أريد أن أطلعك علي شعوري الحقيقي فحسب . اننى أمقت

اباك يا الفريد وأظنه رجلا مسنا ، خبيثا متعنتا فهو يسيء معاملتك ويستغل حبك البنوى له .كان يجب أن تطرح نير عبوديته عنك منذ سنوات طويلة .

فقال الفريد في حدة :- هذا يكفي ياليديا .. ارجوك .. لا تنطقي بالمزيد .

فتنهدت وقالت :- معذرة .. لعلني مخطئة . لنعد الآن الى ترتيبات حفلة عيد الميلاد .. هل تظن أن أخاك دافيد سيحضر حقا ؟

- ولم لا ؟

هزت رأسها في شيء من الارتياب وقالت :- ان دافيد امره غريب . تذكر انه كان يحب أمك حبا جما ... وهذا المكان يعيد الي ذهنه ذكريات بغيضة .

فقال الفريد :- طالما اثار الفريد اعصاب أبيه بموسيقاه وأحلامه . ولعل أبي قد قسا في معاملته له أحيانا ولكنى اعتقد ان دافيد وهيلدا سيحضران بمناسبة عيد الميلاد .

فقالت ليديا وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة :- سلام على الارض لذوى العزيمة الصادقة .. اننى اتساءل هل يأتى جورج ومجدالين حقا: لقد قالا انهما ربما يحضران غدا وأخشى ان تتضايق

مجدالين كثيرا .

قال الفريد في شيء من الاستياء :- لا أدرى لماذا تزوج أخي جورج بفتاة تصغره بعشرين عاما . لقد كان جورج معتوها دائماً .

فقالت ليديا :- ولكنه نجح نجاحا باهرا في عمله . ان ناخبيه يحبونه وأعتقد أن مجدالين تبذل جهدا كبيرا في مساعدته في المجال السياسي .

وقال الفريد في بطء :- اظن انني لا احبها كثيرا .. انها جميلة جدا ولكنني اعتقد في بعض الاحيان انها اشبه بالخوخة الجميلة التي تلمع قشرتها الوردية في الظاهر فقط .

وهز رأسه فقالت ليديا :- ولكنها رديئة من الداخل ! .. من الغريب أن أسمعك تقول هذا القول يا الفريد .

- وما وجه الغرابة فيه ؟

فأجابت :- لانك في العادة . ذو طبيعة سمحة .. قلما تذكر أحدا بأى سوء، وان ما يضايقني فيك أحيانا هو انك لست متشككا بما فيه الكفاية .. انك تحسن الظن بالدنيا اكثر من اللازم.

فقال زوجها مبتسما :- انني اعتقد ان الدنيا انما هي وفق ما

تريدين دائما .

فقالت ليديا في حدة :- كلا . ان الشر ليس في ذهن احد بالذات . انه موجود في كل مكان . يبدو أنه ليس لديك أى ادراك بأن الشر موجود في الدنيا . اما أنا فأعلم ذلك . انني اشعر به وقد أحسست به دائماً في هذا البيت .

وعضت على شفتيها وتحولت عنه فقال :- ليديا !

ولكنها رفعت يدها محذرة وحدقت بيعنيها فيما وراء كتفه ، فالتفت الفريد فرأى رجلا أسمر ، أجرد الوجه يقف بعتبة الباب في احترام . وقالت ليديا في حدة :-

- ما الخبر يا هوربوري .

فأجابها هوربوري في صوت خافت وفي خشوع :-

- انه مستر لي يا سيدتي ، فقد طلب منى أن أخبرك بأن هناك ضيفين آخرين سيأتيان في حفلة عيد الميلاد ، وأن تعدى غرفتين لهما.

فقالت ليديا :- ضيفان آخران ؟

- نعم يا سيدتى . شاب وآنسة .

وقال الفريد مدهوشا :- آنسة ؟

- هذا ما ذكره لى مستر لي يا سيدتي .

وأسرعت ليديا تقول :- سأصعد لكي أراه .

ولكن هوربوري تقدم خطوة صغيرة .. كانت عبارة عن مجرد حركة ، ولكنها اوقفت سيدة البيت . وقال :

- معذرة يا سيدتي . ولكن مستر لي يغفو إغفاءة القيلولة ، وقد طلب منى بالذات ان لا يزعجه احد .

فقال الفريد : - آه .. لن نزعجه بالطبع .

وقال هوربوري :- شكرا لك ياسيدي .

ثم انصرف .

وقالت ليديا في حدة :- شد ما أبغض هذا الرجل فهو يتسلل في أرجاء البيت كالقط ولا يسمعه احد ابدا سواء دخل أو خرج .

- وأنا كذلك لا أحبه كثيرا ، ولكنه يتقن عمله .. وليس من السهل العثور على وصيف وممرض في هذه الايام ، ثم أن أبى يحبه وهذا هو المهم .

- نعم ، هذا هو المهم كما تقول . ماهذا الذى سمعناه بخصوص الآنسة يا الفريد .. ؟ ومن تكون ؟

هز زوجها رأسه وقال :- ليست لدى أية فكرة عن ذلك .

حدق كل منهما في الآخر ثم قالت ليديا وهى تلوى شفتيها فجأة في حركة معبرة :

– هل تعرف فيم أفكر يا الفريد ؟

– فيم ؟

– أظن أن اباك تملكه الضيق اخيرا ، واعتقد أنه يعد خطة يدخل بها المرح على نفسه في عيد الميلاد .

– بان يقحم شخصين أجنبيين في اجتماع عائلى ؟

– أوه . اننى لا اعرف التفاصيل .. ولكن يخيل لي أن أباك يعد العدة لكي يلهو قليلا .

قال الفريد في وقار :– أرجو أن يتحقق له ذلك . فان الرجل المسكين تعوقه ساقه عن الحركة وتجعله عاجزا بعد تلك الحياة الصاخبة التى عاشها .

وقالت ليديا في بطء :– بعد الحياة الصاخبة التي عاشها .

وكانت الوقفة التى توقفتها قبل كلمة «الصاخبة» قد اكسبت تلك الكلمة معنى خاصا ، ويبدو أن الفريد قد فهم هذا المعنى لأن وجهه اضطرم وبدا غير سعيد .

وصاحت تقول فجأة :– كيف أمكن أن ينجب ابنا مثلك .. ؟

انني لا استطيع ان افهم ذلك .. فأنتما على طرفي نقيض .. ثم انه يسحرك .. وأنت تعبده بكل بساطة .

فقال الفريد في شيء من الاستياء :- الست تبالغين قليلا ياليديا ؟ انه لامر طبيعي ان يحب الابن اباه وان من الفظاعة ان يكون الامر غير ذلك .

فقالت ليديا :- اذا كان الامر كما تقول فان أكثر افراد هذه العائلة يتصرفون تصرفا فظيعا .. أره ، لا فائدة من المناقشة والجدل . اننى اعتذر اليك . أعرف أننى جرحت شعورك ، وصدقنى يا الفريد لم أكن أقصد ذلك . ان ما يعجبنى فيك كثيرا هو اخلاصك لابيك . فان الاخلاص صفة يندر وجودها في ايامنا هذه . ولتقل ، اذا شئت ، اننى امرأة غيور : من المفروض ان تغار المرأة من حماتها فلماذا لا تغار من حميها كذلك ؟

وضع الفريد يدا رقيقة حول خصرها وقال :- ان لسانك يفلت منك ياليديا .. فليس هناك سبب يجعلك تغارين ..

قبلته قبلة سريعة نادمة وداعبت طرف اذنه قائلة :- اننى احلم . ومع ذلك فلا اعتقد يا الفريد انني كنت لاغار ابدا من أمك .. وددت لو أننى عرفتها .

فتنهد وقال :- كانت امرأة مسكينة .

- هكذا تنظر اليها اذن .. كامرأة مسكينة .. ان هذا الامر ليدعو الى الاهتمام .

قال الفريد في لهجة حالمة :- اننى أذكر أنها كانت دائماً مريضة ، ودائما تبكى .

وهز رأسه وأردف :- كانت امرأة ضعيفة .

وتمتمت تقول في رقة وهى لاتزال تحدق فيه :- هذا غريب ؟ ولكنه اذ نظر اليها مستفهما هزت رأسها مسرعة وغيرت مجرى الحديث قائلة :-

- مادمنا لا نستطيع ان نعرف شيئاً عن هذين الضيفين الغريبين فانني سأخرج لكى أفرغ من حديقتى .

- ان الطقس شديد البرودة يا عزيزتى والهواء قارس .

- سأدفىء نفسى جيدا .

وغادرت الصالون . واذ الفى الفريد نفسه وحده وقف لحظة لا يتحرك ، عابس الاسارير، ثم مضى الى النافذة الكبيرة في آخر الغرفة. وكانت هناك شرفة بالخارج تمتد بامتداد البيت كله . وفي هذه الشرفة، وبعد دقيقة أو دقيقتين رأى ليديا تتقدم وهى تلبس

معطفا سميكا وتمسك في يدها سلة منبسطة لم تلبث أن ألقتها فوق الارض وراحت تعمل بيديها في حوض صغير مربع من الاحجار يعلو عن سطح الارض بقليل .

وجعل زوجها يراقبها فترة من الوقت ثم خرج من الصالون وإخذ معطفا سميكا وغطاء لفه حول أنفه وخرج الى الشرفة من باب جانبي وسار بمحاذاة احواض من الحجارة حولتها يدا ليديا الماهرتان الى حدائق مصغرة رائعة .

كان احد هذه الاحواض يعرض للنظر منظرا صحراويا برمال صفراء ونخيل اخضر في وعاء صغير من الحديد المدهون ، وبضعة جمال ورجل أو رجلين من العرب وبضعة اكواخ بدائية من الطوب مصنوعة من الصلصال . وكانت هناك حديقة ايطالية تحيط بها الشرفات والورود المصنوعة من الشمع الملون ، كما كانت هناك كذلك حديقة تعيد الى الاذهان حدائق القطب الشمالي ، وبها قطع من الزجاج تمثل جبالا من الثلج تقف عليها مجموعات من البنجوين ، وأخيراً حديقة يابانية تنمو فيها شجرتان قصيرتان تلمع بها قطع من المرايا كما لو كانت أنهارا تعلوها الجسور المصنوعة من الصلصال .

ودنا منها أخيراً حتى أصبح خلفها ، وكانت قد كست قاع الحوض بالورق الازرق ووضعت فوقه لوحا من الزجاج جمعت حوله بعضا من الحجارة . وكانت في تلك اللحظة تبسط امام الحوض بعضا من الحصى اخرجته من كيس جاءت به معها وجعلته يبدو كما لو كان شاطئاً ، وأقامت بين الاحجار بعض أشجار الصبار الصغيرة .

وكانت تحدث نفسها قائلة : «نعم .. هذا هو ما أريد تماماً ! .. » حين قال لها زوجها :

- ما هذه القطعة الفنية الاخيرة ؟

أجفلت لانها لم تسمعه وهو يقترب وقالت :-

هذه .. انه البحر الميت يا الفريد .. هل يروق لك ؟

فقال :- انه يبدو لي قاحلا بعض الشيء .. أما ينبغى أن تكون هناك نباتات أكثر .

فهزت رأسها وقالت :- هذه فكرتى عن البحر الميت .. انه ميت .. ألا تفهم ؟

- انه ليس مشوقا كالاحواض الاخرى ؟

- لم أصنعه لكي يكون مشوقا بصفة خاصة .

وسمعا وقع أقدام في الشرفة ، وأقبل نحوهما رئيس خدم عجوز له شعر أبيض ومحدودب الظهر بعض الشيء وقال :

- ان مسز جورج لي على التليفون يا سيدتى . وهى تسأل اذا لم يكن هناك مانع من حضورها هى ومستر جورج في قطار الساعة الخامسة والثلث غدا .

- أبداً .. قل لها أن لا مانع هناك .

- شكرا لك ياسيدتي .

أسرع رئيس الخدم بالابتعاد ، وشيعته ليديا وعلي شفتيها ابتسامة رقيقة وقالت :

- هذا العجوز العزيز تريسليان .. ما أشد ولائه ! .. لا أدري ماذا كنا نستطيع أن نفعل من غيره .

وقال الفريد موافقا :- انه من المدرسة القديمة . وهو معنا منذ أربعين سنة .. انه شديد الاخلاص لكل فرد من الاسرة .

أومأت ليديا قائلة :- نعم - وهو يذكرنى بالخدم المسنين المخلصين . اللذين يتحدثون عنهم في الروايات . وانى اعتقد انه لن يتردد عن اداء الشهادة الزور اذا احتاج الامر لكى يحمى واحدا من افراد الأسرة .

فقال الفريد :- اعتقد ذلك .. نعم ٪ اعتقد انه لا يتردد في أن يفعل كما تقولين .

وقالت ليديا وهى تضع اللمسة الاخيرة في حديقتها :- أخيرا .. كل شيء على استعداد الان .

فقال الفريد في حيرة :- على استعداد ؟

فضحكت وقالت :- اعنى لاجل حفلة عيد الميلاد أيها الخبيث .. لاجل حفلة عيد الميلاد العاطفية التي سنقيمها .

– ٤ –

كان دافيد يقرأ الرسالة . كان قد كورها منذ لحظات وطوح بها بعيدا عنه ثم عاد فالتقطها وراح يقرأها من جديد .

وأخذت زوجته هيلدا تراقبه في هدوء دون ان تنطق بكلمة واحدة . لاحظت اهتزاز عضلة صدغه (أو لعله عصب من أعصابه) والرعشة الخفيفة التى اصابت يديه الطويلتين الرقيقتين، والحركات التشنجية التى اخذت تهز كيانه كله . وعندما دفع بعيدا خصلة الشعر الاشقر التى تنساب على جبينه دائماً ، ونظر اليها بعينيه الزرقاوين المستغيثين كانت على استعداد

خاطبها قائلاً : – هيلدا .. ماذا نفعل ؟

ترددت هيلدا دقيقة قبل أن تنطق ، فقد تبينت في صوت زوجها الاستغاثة واللهفة . كانت تعلم أنه يركن اليها في كل شيء .. وأنه دأب على ذلك منذ زواجهما ، وكانت تعرف انها تستطيع طبعا التأثير في قراره الاخير ولكنها لهذا السبب بالذات حرصت على أن لا تنطق بشيء قاطع وقالت بذلك الصوت الهادىء الرقيق الذى تتميز به الممرضات :

– هذا رهن بارادتك أنت يادافيد .

كانت هيلدا امرأة بدينة لا تتمتع بالجمال ، تنبعث منها فتنة، في ملامحها شيء يعيد الى الاذهان لوحات الفن الهولندية ، في صوتها دفء واعزاز وفي كيانها قوة وحيوية تجذبان اليها ضعاف النفوس .. امرأة قوية ، بدينة ، متوسطة العمر لاهى بالذكية ولا بالحصيفة ، ومع ذلك كان ينبعث منها شيء لا يمكن التجاوز عنه ... وهو قوة الارادة .. كانت تتمتع بشخصية قوية .

نهض دافيد وراح يقطع الغرفة جيئة وذهاباً . لم يظهر الشيب في شعره الاشقر الا قليلا ، وكان له وجه كوجوه الاطفال، وكانت هيئته تعيد الى الأذهان احد فرسان العصور الوسطى .

وقال يخاطب زوجته في لهفة وقلق :- أنت تعرفين شعوري في هذه الناحية يا هيلدا .. أليس كذلك ؟

- لست على يقين .

- ولكنى قلت لك .. قلت لك ذلك مرارا وتكرارا . شد ما أكره كل شيء .. القصر والبلد وكل شيء .. فانهما يعيدان الى ذهنى اسوأ الذكريات .. اننى كرهت كل لحظة قضيتها هناك . وعندما أفكر في ذلك .. وفي كل ما احتملته .. أعنى أنتى ..

أومأت زوجته برأسها في رقة في حين استطرد هو يقول :- كانت رقيقة جدا ياهيلدا ، شديدة الصبر والاحتمال .. ومازلت أراها طريحة الفراش تتألم في صمت وتتحمل كل شيء وعندما أتذكر ان أبى ...

واكفهرت سحنته واستطرد يقول :- هو الذى جلب لها كل ذلك الشقاء والالم .. مكيلا لها صنوف المهانة والمذلة ، متباهيا امامها بنزواته الغرامية .. وانه كان يخونها دائما ولا يخفي عنها ذلك ابدا ،

قالت هيلدا لي :- كان يجب ان تهجره وأن لا تبقى معه .

فأجابها في شيء من اللوم:- كانت من الطيبة وسماح النفس

بحيث لم تفكر في ذلك. كانت تعتقد أن من واجبها البقاء معه.. ثم أنها كانت في بيتها فأين كنت تريدين أن تذهب ؟

- كان في مقدورها أن تعيد حياتها من جديد .

فقال متبرما :- ليس في ذلك الوقت . انك لا تفهمين .. لم تكن النساء تتصرف هكذا . كن يتحملن في صبر وجلد . وكانت امي تفكر فينا ، ماذا كان يحدث لو أنها طلقت من أبى ؟ كان من المحتمل أن يتزوج غيرها وأن يؤسس له بيتا آخر ويضرب بمصالحنا عرض الحائط . كانت تفكر في كل هذه الأمور .

لم تنطق هيلدا واستطرد هو يقول :- كلا . انها احسنت التصرف . كانت قديسة .. تحملت كل شيء حتى النهاية .. دون أن تشكو .

فقالت هيلدا : ليس تماما . والا ما عرفت كل ذلك ياداقيد. فقال في رقة وقد انبسطت أساريره :- نعم .. كانت تبثني آلامها وأشجانها. كانت تعرف مدي حبى لها ، وعندما ماتت ..

وأمسك . ومر بيده خلال شعره وقال :- هيلدا .. كان ذلك فظيعاً .. شد ما حزنت على فراقها . كانت ماتزال شابة ولم تكن بحاجة الى أن تموت .. انه قتلها .. ابى .. انه مسئول عن موتها

فقد حطم قلبها . وقررت عندئذ أن لا أبقى تحت سقف البيت الذي يعيش فيه .. وأسرعت بمغادرة ذلك البيت اللعين .

وأومأت هيلدا برأسها وقالت :- لقد كنت حكيما جدا وفعلت عين الصواب .

فقال دافيد :- لقد أراد أبى أن أدير المصنع ، وكان معنى هذا أن أبقى بالبيت ولم أكن أستطيع أن أحتمل ذلك . ولا أدرى كيف يحتمل الفريد ذلك . بل كيف احتمل الامر كل هذه السنوات الماضية .

سألته هيلدا في شيء من الاهتمام :- ألم يحدث ان ثار على هذا الوضع .. ؟ حسبتك قلت لي شيئاً بخصوص مهنة أخرى اضطر أن يتركها .

أومأ دافيد براسه وقال :- كان المفروض ان يلتحق الفريد بالجيش . وقد دبر ابى كل شيء وكان على الفريد ، وهو الابن الاكبر ، أن يلتحق بفرقة الفرسان وأن نشترك ، أنا وهاري في ادارة المصنع . اما جورج فقد لجأ الى السياسة .

- ولم تجر الامور وفق ما يشتهى .

هز دافيد رأسه وقال:- قلب هاري كل شيء رأسا على عقب.

كان شقيا جدا طوال عمره . استدان ووقع في مشاكل لاحصر لها .. وهرب أخيراً ذات يوم ومعه مئات من الجنيهات التى لا تخصه، تاركا خلفه رسالة يقول فيها ان الجلوس على مكتب لا يتفق مع طبيعته وانه يريد أن يطوف ببلدان العالم .

- ألم تسمع عنه شيئاً بعد ذلك اليوم ؟

فضحك دافيد وقال :- بل سمعنا عنه الكثير .. كان يبرق الينا من شتى بقاع العالم في طلب النقود دائماً .. وكان أبى يرسل اليه ما يريد عادة .

- والفريد ؟

- أرغمه أبى على أن يترك الجيش لادارة المصنع

- وهل أحزنه ذلك ؟

- كثيراً، في البداية، فقد كان يمقت المصنع ، ولكن أبى كان يفعل بألفريد ما يريد دائماً. وأظن الفريد مازال يخضع لسلطانه

فقالت هيلدا :- بينما أنت قد هربت من جبروته وعنته .

- نعم . ذهبت الى لندن ودرست فن الرسم . وقد صارحنى أبى أننى اذا أصررت علي التشبث بهذه الحماقة فانه سيربط لي معاشا بسيطا طوال حياته ثم يحرمني من الميراث بعد موته. وقد

قلبت له اننى لا أعبأ بذلك فنعتتنى بالحماقة والجنون ، وكان هذا كل شيء ، ولم أره بعد ذلك قط ..

وسألته هيلدا في رقة :- أما ندمت على ذلك ؟

- الحق لا .. اننى أعلم الآن أننى لن أحصل على ما أصبو اليه من شهرة ومال عن طريق الرسم وأننى لن أكون فنانا كبيرا أبداً . ومع ذلك فنحن سعيدان بما فيه الكفاية في هذا المسكن البسيط .. فلدينا كل ما نريد .. أعنى كل الضروريات .. واذا قضيت فسوف تحصلين على المبلغ الذى أمنت به على حياتى .

وأمسك ثم قال :- والآن .. تأتينى هذه !

وضرب الرسالة بجمع يده فقالت هيلدا :- يؤسفنى أن أرسل أبوك اليك هذه الرسالة مادامت قد سببت لك هذا الازعاج.

واستطرد دافيد يقول كما لو كان لم يسمعها :- انه يطلب منى أن أصطحب زوجتى وأن أمضى اليه لقضاء عيد الميلاد ويرجو ان يجتمع شمل الاسرة كلها .. اسرة مترابطة .. ما معنى هذا ؟

قالت هيلدا :- لاشيء أكثر مما يقول .

نظر اليها متسائلا فاستطردت مبتسمة:- اعنى أن أباك يسير الي الشيخوخة وأنه أصبح عاطفيا يتمنى ان يجتمع شمل الاسرة

وأن يترابطوا بعضهم ببعض ، وهذه امور كثيرا ما تقع كما تعرف

فقال دافيد في بطء :- اعتقد ذلك .

- انه رجل عجوز وحيد .

رماها بنظرة سريعة وقال :- هل تريدين أن أذهب يا هيلدا ؟

فقالت في بطء :- انه لمما يرثى له أن لا تلبي هذا الرجاء . قد أكون شديدة التمسك بالعادات القديمة ولكني لا أرى ما يمنع من أن نقضي أيام عيد الميلاد في المحبة والسلام .

- بعد كل ما ذكرته لك

- انني أعرف شعورك يا عزيزي . ولكن كل ذلك طواه الماضي واندثر .

- ليس بالنسبة لي .

- ذلك لانك لا تريده ان يموت. ولانك تحتفظ به حيا في ذهنك.

- لا أستطيع أن أنسى .

- بل تعني أنك لا تريد أن تنسى يا دافيد .

فقال في لهجة قاطعة :- هذه حالنا نحن آل لي . نذكر كل شيء ، ولا ننساه ابدا .

فقالت هيلدا في فروغ صبر :- وهل هذا شيء يستحق أن تفخر به ؟

- لا أظن ذلك .

نظر اليها في تفكير وفي شيء من التحفظ وقال :- انك لا تعلقين أهمية كبيرة على الوفاء .. الوفاء للذكريات .

فقالت :- أعتقد أن الحاضر هو الذى يهم وليس الماضى .. يجب أن يندثر الماضي . واذا نحن حاولنا الاحتفاظ بالماضي حيا فسوف ينتهى بنا الامر الى تشويهه .. اننا نبالغ في تجسيده ونعطيه صورة كاذبة .

فقال دافيد محتدا :- انني أستطيع أن أذكر بالتحديد كل كلمة وكل حادث وقع في ذلك الوقت .

- نعم . ولكن لا ينبغى ذلك يا عزيزي ، فليس من الطبيعي أن تفعل ذلك . انك تحكم على تلك الايام الخوالي بعقلية طفل بدلاً من أن تعيد النظر اليها بعقلية رجل راشد .

فسألها دافيد :- وأى فارق في هذا .

ترددت هيلدا . كانت تدرك أن من الحكمة الا تقدم على ما هى مقدمة عليه. ولكنها كانت تشعر بأن هناك أشياء لابد أن تذكرها. قالت :

- أعتقد أنك تنظر الى أبيك نظرتك الى «غول» . وأنك لتعتبره مثالا للشر في حين انك اذا رأيته الآن لما رأيت فيه أكثر من رجل عادي جدا .. رجل ربما يكون قد أطلق العنان لعاطفته . ولم تكن حياته من غير شائبة ، ولكنه على الرغم من ذلك رجل كغيره من الرجال .. وليس وحشا عديم الانسانية .

- انك لا تفهمين . ان معاملته لامي ...

فقاطعته هيلدا في لهجة رزينة :- هناك نوع معين من الرقة والاذعان يكشف أسوأ ما في الرجل ، في حين أن نفس ذلك الرجل اذا ما ووجه بالقوة والعزم قد يصبح رجلا آخر .

- اذن فانت تقولين ان الخطأ خطؤها هي وأنها ..

فقاطعته هيلدا قائلة :- كلا . كلا بكل تأكيد . انني لا أشك في أن أباك قد عامل أمك معاملة سيئة حقا ولكن الزواج شيء عجيب ، ولا أعتقد ان رجلا دخيلا ، حتى ولو كان ذلك الرجل من صلب أبيه يحق له أن يحكم عليه ، زد على ذلك أن كل هذه المشاعر والاحساسات من جانبك لا تستطيع أن تقدم لامك أى مساعدة الآن، فالامر قد انتهى وأصبح في خبر كان، ولم يتبق من كل ذلك الآن غير شيخ عجوز، معتل الصحة يطلب من ابنه ان

يسارع لزيارته في عيد الميلاد .

– وتريدين مني أن أذهب ؟

ترددت هيلدا ولكنها لم تلبث أن عقدت العزم قائلة :–

– نعم . أريد ذلك . أريد منك أن تذهب وأن تقهر هذا «الغول» الى الأبد .

– ٥ –

كان جورج لي ، عضو البرلمان عن مقاطعة ويسترنجهام ، رجلا ضخم الجسم نوعا ما ، في الواحدة والاربعين من عمره له عينان زرقاوان شاحبتان بارزتان بعض الشيء يرتسم فيهما الشك، وفك غليظ ، يتكلم في بطء وفي حذلقة .

وكان يقول في لهجة رزينة :– قلت لك انني أظن أن من الواجب أن أذهب يا مجدالين .

هزت زوجته كتفيها في صبر نافد . كانت شقراء بلاتينية الشعر رشيقة ، ذات حاجبين معقوفين ووجه بيضاوي جميل يخلو من أن تعبير في الاوقات المناسبة ، ومنها تلك اللحظة بالذات .

– عزيزي.. سوف يكون الامر كئيباً جدا ، انني واثقة من ذلك.

فقال زوجها وقد انبسطت أساريره للفكرة الرائعة التي خطرت له :

- ومع ذلك فسيكون فد مقدورنا أن نوفر مبلغا كبيرا ، فان عيد الميلاد يستلزم دائماً نفقات باهظة ويمكننا أن نمنح الخدم ثمن الطعام عندئذ .

فقالت مجدالين :- حسنا ... مهما يكن فان عيد الميلاد كئيب في كل مكان .

وقال جورج مستأنفا فكرته :- أظن انهم يتوقعون أن نقدم لهم طعام العشاء بعد الفراغ من صلاة القداس في ليلة عيد الميلاد.. ما رأيك في قطعة لذيذة من لحم البقر بدلا من الدندي،

- من ؟ .. الخدم ؟ .. أوه يا جورج ! .. لا تشغل بالك هكذا .. انك تهتم بالمسائل المادية دائماً .

فقال جورج :- يجب أن يهتم أحدنا بذلك على كل حال .

- نعم . ولكن من السخف أن «نقتر» هكذا كما يفعل البخلاء . لم لا تطلب من أبيك أن يمنحك مبلغا أكبر

- ولكنه يمنحني راتبا لا بأس به .

- انه لامر فظيع أن تعتمد على أبيك كل هذا الاعتماد.

يجب أن يمنحك مبلغا كبيرا حالا .

- ليس هذا من عادته .

نظرت مجدالين اليه وقد اكتسبت عيناها اللتان بلون البندق نظرة صارمة حادة وقالت :

- انه فاحش الغنى ، اليس كذلك يا جورج ؟ .. يقال انه مليونير ...

- أعتقد انه يملك أكثر من مليونين .

تنهدت مجدالين في حسد وقالت :- وكيف جمع كل هذا المال ؟ .. افي افريقيا الجنوبية ؟

- نعم . جنى ثروة كبيرة هناك في شبابه .. في استثمار مناجم الماس .

- هذا رائع .

- ثم عاد الى انجلترا وبدأ يشتغل بالاعمال وأظن ان ثروته تضاعفت مرتين أو ثلاث مرات .

وسألته مجدالين :- وماذا يحدث اذا مات ؟

- لم يطرق ابي هذا الموضوع كثيرا ، ولا يمكن لاي منا ان يسأله في هذه الناحية بالطبع ولكني اظن ان الجزء الاكبر من الثروة

سيؤول الى انا والفريد ، وسيحصل الفريد طبعا على النصيب الاوفر منها .

- ان لك اخوة آخرين . اليس كذلك ؟

- نعم فهناك دافيد ، واظن انه لن يحصل على الكثير، فقد غادر البيت للاشتغال بالفن أو بشيء من هذا القبيل ، واعتقد أن أبى انذره بأنه سيحرمه من الميراث . واجاب دافيد بإنه لا يعبأ بذلك .

فصاحت مجدالين في ازدراء :- يا له من احمق !

- وكانت هناك اختى جنيفر ايضا ، وقد هربت مع رجل اجنبي .. فنان اسباني من اصدقاء دافيد ، ولكنها ماتت منذ اكثر من سنة، واعتقد انها انجبت فتاة . وربما يترك ابى لها قليلا من المال ولكن لا شيء اكثر من ذلك .. ثم هناك هاري بالطبع

وامسك عن الكلام وقد بدا عليه شيء من الارتباك فقالت مجدالين في دهشة :

- هاري ؟ .. ومن هو هاري ؟

- آه .. انه ... اخى .

- ولكنك لم تحدثني عنه ابدا .

- ذلك لانه لا يشرفنا يا عزيزتي . اننا لا نتحدث عنه فان

سلوكه كان معيبا – ولم أسمع عنه شيئاً منذ سنوات طويلة .. ومن المحتمل أنه مات .

ضحكت مجدالين فجأة فقالت :– ما الخبر ؟ .. ما الذى يضحكك ؟

فأجابت مجدالين :– كنت اقول لنفسى انه لامر مضحك أن يكون لك انت يا جورج اخ مشين ، فانت رجل محترم جدا .

فقال جورج في برود :– ارجو ذلك .

ضاقت عينا مجدالين وقالت :– اما ابوك فهو غير جدير بالاعتبار يا جورج .

– مجدالين !

– ان الاشياء التى يقولها لي في بعض الاحيان تثير ارتباكي .

– الحق انك تثيرين دهشتي يا مجدالين .. هل تشعر .. ليديا بنفس الشعور .

أجابته مجدالين :– انه لا يقول لها نفس الاشياء .

وأردفت تقول غاضبة :– كلا . انه لا يقول لها نفس الاشياء ابدا ، ولا أستطيع ان اعرف السبب .

نظر جورج اليها مسرعا ثم حول بصره الى ناحية اخرى وقال في ابهام :

- أوه ، حسنا . يجب ان نلتمس له العذر .. فان رجلا في مثل سنه .. وصحته المعتلة ..

وأمسك .. فسألته زوجته :- هل هو مريض جدا .. حقا .

- أوه . انني لا اقول ذلك . انه لا يزال شديد المراس ولكن، ربما يريد يجمع اسرته حوله في عيد الميلاد فانني أعتقد ان من الاصوب أن نذهب فلعل عيد الميلاد هذه المرة عيده الاخير .

فقالت في صوت جاف :- انت تقول هذا يا جورج ، ولكن الواقع انني اظن انه سيعيش سنوات اخري .

قال زوجها وقد أخذ على غرة: - نعم، نعم.. هذا جائز بالطبع.

قالت :- حسنا . اظن ان اصوب شيء هو ان تذهب .

- لاشك في هذا .

- ولكنى امقت هذه الفكرة ، فان الفريد بارد وليديا تترفع في معاملتها لي .

- هراء .

- بل تعاملنى كما اقول.. ثم انني امقت هذا الخادم البغيض.

- العجوز تريسليان ؟

- كلا . انما اعنى هوربوري .. فهو يتسلل في كل مكان كالقط ويتصنع الابتسام .

- الحق يا مجدالين لاأري كيف يمكن لهوربوري ان يؤثر فيك اي تأثير .

- انه يثير اعصابي وهذا كل شيء . ولكن لا تهتم . يجب أن نذهب على كل حال فان من الاوفق ان لا نغضب الشيخ العجوز .

- كلا . كلا .. هذا هو بيت القصيد . وبخصوص عشاء الخدم ليلة عيد الميلاد .

- دعنا من هذا يا جورج سوف نتكلم في هذا فيما بعد. سأتصل بليديا تليفونيا وأخبرها بحضورنا غدا في قطار الخامسة والثلث .

غادرت مجدالين الغرفة مسرعة . وبعد ان تكلمت في التليفون صعدت الى غرفتها الخاصة وجلست امام المكتب وفتحت ادراجه واخذت تفتش فيها واخرجت منها كومة من الفواتير وراحت تفرزها بعناية محاولة ان تنسقها وأخيراً جمعتها وهى تتنهد في نفاذ وصبر واعادتها الى مكانها من الادراج ومرت بيدها فوق شعرها البلاتيني الناعم قائلة -

- يا الهى ! .. ماذا أفعل ؟

في الطابق الاول بقصر جورستون طرقة طويلة تؤدى الى غرفة كبيرة تطل على الطريق الامامي للقصر ، وهى غرفة مفروشة بمفروشات زاهية اللون قديمة الطراز جدرانها مكسوة بالورق السميك المشجر وتضم مقاعد جلدية فخمة وفازات كبيرة عليها نقوش مختلفة الاشكال . وتماثيل من البرونز .. كان كل شيء فيها يدل على الابهة والبذخ والعظمة .

وفي مقعد فخم كبير ، وهو أفخم واكبر المقاعد الموجودة بالغرفة ، جلس شيخ عجوز سخيف جعدته السنون . وقد وضع يديه الشبيهتين بمخالب الطيور الجارحة على مسندي المقعد وبجانبه عصا لها يد من الذهب ،. وكان يرتدي روبا قديما ذا لون ازرق باهت وينتعل خفا . وكان ابيض شعر الرأس وبشرة وجهه صفراء اللون .

كان يخيل لمن يراه لأول وهلة انه رجل حقير لا أهمية له ولكن ما أن يلمح المرء إنفه المعقوف الأبى وعينيه السوداوين اللتين تشتعلان حمية ونشاطا حتى يتغير رأيه فان الرجل كان على الرغم من ذلك عبارة عن شعلة من نار،حيوية وهمة .

كان سيميون لي العجوز يحدث نفسه فى هذه اللحظة في غبطة

بادية ، ولم يلبث ان خاطب وصيفه هوربوري الذي يقف بجانبه قائلاً :

- هل ذكرت رسالتي لمستر الفريد ؟

أجابه هوربوري في صوت رقيق ينطق بالاحترام :- نعم يا سيدي .

- بنفس الكلمات التي ذكرتها لك ؟

- نعم يا سيدي . لم اخطىء في كلمة واحدة .

- صحيح انك لا تخطىء ابدا .. ومن الافضل لك ان لا تخطىء وإلا فسوف تندم .. وماذا قالت لك يا هوربوري ؟ .. وماذا قال مستر الفريد ؟

وفي صوت هادىء ردد هوربوري ما حدث فتمتم الرجل ببضع كلمات اخرى مبهمة ودعك يديه وقال :

- عظيم .. رائع .. لا ريب انهما راحا يفكران ويتساءلان .. طوال بعد الظهر .. عظيم .. سوف اراهما الآن : اذهب وقل لهما انني أريد ان اراهما الآن .

- حسنا يا سيدي .

واجتاز هوربوري الغرفة في سكون وخرج :- اسمع يا

هوربوري..

ونظر العجوز حوله ثم اطلق من بين شفتيه سبة وقال :- هذا الرجل يتحرك كالقط .. لا أدري ابدا أين هو ؟

وبقى سيميون لى في مقعده في هدوء يداعب ذقنه بأصابعه حتى دق الباب ودخل الفريد وليديا .

- آه .. ها قد أتيتما .. اجلسى هنا بجواري يا عزيزتي ليديا .. ما أجملك !

- كنت في الخارج والطقس بارد .. وقد اضطرمت وجنتاي من البرد .

وقال الفريد :- كيف حالك يا أبي ؟ .. هل استمتعت بالنوم بعد ظهر اليوم ؟

- جدا .. جدا .. حلمت بالايام الخوالي .. تلك الايام التي مرت بي قبل أن استقر واصبح من اعمدة المجتمع .

وقهقه ضاحكا فجأة . وجلست زوجة ابنه بجواره في صمت وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة مهذبة في حين قال الفريد :

- ماذا اسمع يا ابي ؟ .. مدعوان آخران في عيد الميلاد !

- آه نعم. يجب أن اتحدث معكما في هذا الصدد. ستكون

حفلة عيد الميلاد لهذا العام حفلة كبيرة بالنسبة لي .. حفلة كبيرة .. سوف يأتى جورج ومجدالين .

فقالت ليديا :- نعم .. انهما سيأتيان غدا في قطار الخامسة والثلث .

وقال سيميون الشيخ :- ما أشد غباء جورج هذا .. ان رأسه فارغة ، ولكنه ابنى مع ذلك .

فقال الفريد :- ان ناخبيه يحبونه .

- لاشك انهم يعتقدون انه شريف .. شريف .. كأن بين أفراد آل لي من هو شريف حقا .

- ولكن يا أبى ..

- باستثنائك انت يا بنى .. باستثنائك انت .

وسألته ليديا :- ودافيد ؟

- آه .. اننى أشتاق لرؤية هذا الفتي بعد كل هذه السنين .. لقد كان شابا عاطفيا وحساسا الى درجة كبيرة ، واننى لاتساءل ما شكل زوجته .. مهما يكن من امر فانه لم يتزوج فتاة تصغره بعشرين عاما كما فعل ذلك الاحمق جورج .

وقالت ليديا :- ان هيلدا كتبت رسالة رقيقة ، وقد جاءتنى

منها برقية تؤكد ذلك وتقول فيها انهما قادمان غدا .

نظر حموها اليها نظرة حادة ثاقبة ثم ضحك وقال :-

انك تحتفظين بهدوئك ياليديا ، وأنني اعترف بأنك امرأة مهذبة عريقة المنبت ، وانني اعرف ذلك جيدا .. ما أغرب الوراثة حقا ! .. ليس هناك من يشبهنى من كل أولادي غير واحد .. واحد فقط .

وومضت عيناه وهو يقول :- هل يمكنكما ان تخمنا الآن من الذى سيأتى في عيد الميلاد ؟ .. اننى امنحكما فرصة التخمين ثلاث مرات ، واراهنكما بخمسة جنيهات على انكما لن توفقا الى الجواب الصحيح .

وتفرس فيهما الواحد بعد الآخر . وقال الفريد عابثا :- قال لنا هوربوري انك تنتظر قدوم فتاة .

- وقد اثار ذلك حيرتكما » .. نعم . اننى واثق من ذلك . ستأتى بيلار ما بين لحظة واخرى .. فقد اصدرت أوامري لكي تنطلق العربة لتأتى بها .

فقال الفريد في حدة :- بيلار !

وأجاب سيميون:- بيلار استرافادوس، ابنة جنيفر .. وحفيدتي

.. انى لاتساءل ما شكلها .

وصاح الفريد :- ولكنك لم تحدثنى عنها ابدا يا أبى .

ضحك الرجل العجوز وقال :- كلا .. رأيت أن أكتم امرها .. حملت شارلتون على أن يكتب اليها ويدبر الامر معها .

وعاد الفريد يقول في عتاب وألم :- انك لم تقل لي ابدا .

فقاطعه ابوه وهو لايزال يضحك في خبث :- لم أشأ ان افسد المفاجأة .. راق لي ان اري الشباب يعيش تحت سقفي من جديد .. انني لم أر استرافادوس ابدا .. وقد راق لي ان أري الفتاة وان اعرف من تشبه ؟ اباها ام امها .

فقال الفريد :- هل تظن انك احسنت التصرف حقا يا ابي ؟ اذا اخذنا كل شيء في اعتبارنا ؟

ولكن الرجل العجوز قاطعه قائلاً :- حريص .. حريص .. انت دائما حريص الى ابعد الحدود يا الفريد .. وهذا شأنك دائماً .. لم يكن هذا طبعى ابداً .. كنت أفعل كل ما أريد ولا أعبأ بالعواقب .. ان الفتاة حفيدتي .. الحفيدة الوحيدة في الاسرة .. ولا يهمنى من امر ابيها أى شيء .. انها من لحمي ودمي ، وستأتى للاقامة هنا في بيتي .

فقالت ليديا في حدة :- اقادمة هي لكي تقيم هنا ؟

نظر اليها نظرة سريعة وقال :-

هل تمانعين ؟

هزت رأسها وأجابت وهي تبتسم :- لا أستطيع أن امانع في قدوم احد الى بيتك، فليس هذا من حقي.. ولكن امرها يشغلني ..

- يشغلك ؟ .. ماذا تعنين ؟

- انني اتساءل هل تسعدها الاقامة هنا ؟

رفع سيميون العجوز رأسه وقال :- انها لا تملك دانقا ... ويجب ان تشكرني .

هزت ليديا كتفيها فتحول سيميون الى الفريد وقال له :- ارأيت ؟ ستكون حفلة عيد ميلاد كبيرة .. كل اولادي حولي .. كل اولادي ! هل خمنت الآن يا الفريد ؟ .. هل عرفت الزائر الآخر الذي انتظره ؟

حدق الفريد فيه دون ان ينطق فقال ابوه :- كل اولادي خمسه يا بني ! .. هاري بالطبع ! .. اخوك هاري !

امتقع لون الفريد وتمتم :- هاري .. لا أظن ..

- بل هاري بلحمه وشحمه .

- ولكن حسبنا انه مات .

- كلا . انه لم يمت .

- وانت ؟ .. هل تأتى به هنا ؟ .. بعد كل ما حدث ؟

- الابن العاق ، اليس كذلك ؟ .. انك على صواب .. العجل السمين .. يجب أن نذبح العجل السمين يا الفريد .. يجب أن نرحب بعودته كل الترحيب .

فقال الفريد :- لقد عاملك .. وعاملنا جميعا .. بطريقة مخزية .. انه ..

- لا داعى لان تعدد جرائمه .. فان القائمة طويلة ولكن تذكر ان عيد الميلاد هو موسم الصفح والمغفرة .. سوف نرحب بالابن العاق .

نهض الفريد وتمتم يقول :- هذا النبأ كان بمثابة صدمة لي .. ما كنت اعتقد ابدا ان ارى هاري في هذا البيت من جديد .

مال سيميون لي الى الامام وقال في صوت رقيق :- انك لم تشعر بأى ميل نحو هاري ابدا .. اليس كذلك ؟

- بعد الطريقة التى عاملك بها ..

- ما فات قد مات وعفا الله عما سلف .. هذه شيمة عيد

الميلاد ، اليس كذلك يا ليديا .

وكانت هي الاخرى قد امتقع لونها وقالت في برود :- ارى انك فكرت كثيرا بخصوص عيد الميلاد هذه السنة .

- انني اريد كل افراد عائلتي حولي .. سلام ووئام .. انني رجل عجوز .. هل تنصرينني يا ليديا ؟

وكان الفريد قد اسرع خارجا . وتوقفت ليديا لحظة ولم تتبعه . واومأ سيميون برأسه نحو الفريد وقال :

- انه مضطرب جدا .. هو وهاري لم يتفقا ابدا .. فقد اعتاد هاري أن يهزأ به وكان يدعوه بالمتمهل المدقق .

فتحت ليديا شفتيها وهمت بأن تتكلم ولكنها امسكت امام تلميح الرجل العجوز . واذ رأت أن هدوءها قد اخلف ظنه قالت :

- الأرنب والسلحفاة .. حسنا .. ان السلحفاة هي التي تفوز في السباق .

فقال سيميون لي :- ليس دائما .. ليس دائما يا عزيزتي ليديا .

فقالت وهي لا تزال تبتسم :- معذرة .. يجب ان الحق بالفريد ، فان الانفعالات المفاجئة تزعجه دائماً .

ضحك سيميون وقال :- نعم . انه لا يحب التغيير .. انه كان من محبي الهدوء دائماً .

فقالت :- ان الفريد شديد الاخلاص لك .

- وانت تستغربين هذا ; اليس كذلك ؟

- احيانا .

وغادرت ليديا الغرفة وسيميون يشيعها بنظراته ثم ضحك ضحكة خفيفة ودعك يديه وهو يقول :

- سوف الهو كثيرا .. كثيرا .

ونهض واقفا في مشقة كبيرة واتكأ على عصاته واجتاز الغرفة ومضى الى خزانة كبيرة في ركن من الغرفة وأدار القرص ولم يلبث ان انفتح الباب وتحسس سيميون بيديه المرتعشتين داخل الخزانة ، وأخرج كيسا صغيرا من الجلد فتحه وداعب باصابعه حفنة من الماس الخام وهو يقول :

- حسنا يا جميلاتي .. حسنا .. انتن هنا دائما يا صديقات العمر .. كانت اياما طيبة .. اياما حلوة .. لن تمتد اليكن يد بالتقطيع ولن تتحلى بكن امرأة لا في جيدها ولا في اصابعها او اذنيها . فانتن لي .. لي انا .. ملكي انا .. انكن صديقاتي .. ولكني لم امت بعد .. وقلبي مازال ينبض بالحياة ، والحياة مازالت حافلة بالملذات ، وسأغترف منها ما أشاء .

الفصل الثاني

ذهب تريسليان لكي يفتح الباب . كان الطارق قد دق الجرس في عنف وفي ضجر . وقبل ان يبلغ الباب بخطواته البطيئة دق جرس الباب من جديد .

احمر وجه تريسليان، واحنقته هذه الطريقة الوقحة لدق الجرس في بيت رجل نبيل . لو انها احدى هذه الجماعات التي تطرق الابواب لتتغنى بمناسبة عيد الميلاد فسيستقبلها بطريقته الخاصة .

وخلف لوح الزجاج الذى يلفه الصقيع رأى خيال رجل .. رجل طويل القامة يغطى رأسه بقبعة ففتح الباب ، وكما كان يتوقع رأى امامه رجلا غريبا . يرتدي ثيابا صارخة الالوان رخيصة الثمن .. صعلوكا وقحا يتسبول .

وقال الرجل الغريب :- اهذا أنت أيها العجوز الطيب تريسليان ! كيف حالك .

اتسعت عينا تريسليان واطلق تنهيدة عميقة وتفرس في الزائر

.. هذا الفك الابي الذى ينطق بالوقاحة وهذا الانف الكبير المغقوف ، وهاتان العينان الضاحكتان .. نعم ، كل هذه الصفات مجتمعة كانت هنا .. بالبيت .. منذ نحو عشرين سنة .. ولكنها كانت اشد جرأة ووقاحة في ذلك الوقت .

وشهق يقول :

- مستر هاري !

ضحك هاري وقال :- يبدو اننى سببت لك صدمة كبيرة فلماذا ؟ .. انهم يتوقعون قدومي مع ذلك .

- نعم يا سيذي .. بكل تأكيد يا سيدي .

- لماذا تتظاهر بالدهشة اذن ؟

وارتد هاري خطوة او خطوتين الى الوراء ، ورفع بصره الى البيت .. وهو كتلة من الطوب الاحمر ، بنى بطريقة فظة غير هندسية ولكنه كان مع ذلك متينا وقال :

- انه لايزال البيت البشع الكئيب ولكنه متين وهذا هو المهم . كيف حال ابي يا تريسليان ؟

- انه عاجز عن الحركة تقريبا ياسيدي ، فهو يلازم غرفته ولا يستطيع المشى الا بكل صعوبة ، ولكن صحته لا بأس بها عموما ، اذا نظرنا الى سنة .

- يا للشرير الكبير .

دخل هاري البيت ، وأخذ تريسليان منه كوفيته وقبعته الغريبة ، وقال :

- كيف حال أخى العزيز يا تريسليان ؟

- انه على خير مايرام يا سيدي .

ضحك هاري ضحكة فاترة وقال :- اظنه متلهفا على ان يراني اليس كذلك ؟

- اظن ذلك يا سيدي .

- اما انا فلا اظن ذلك . اظنه ، على العكس ، بتميز غضبا لعودتى ثانية . اننى لم أشعر ابدا ، أنا والفريد ، بشيء من الود . الا تقرأ الانجيل ابدا يا تريسليان ؟

- بل اقرؤه احيانا يا سيدي .

- الا تذكر عودة الابن العاق ؟ .. ان الاخ الطيب قد ساءته هذه العودة .. ساءته كل الاساءة . وانى واثق ان هذا الأفريد الذى لا يغادر البيت لا تروق له عودتى هو الآخر .

لزم تريسليان الصمت وخفض بصره ، وتصلب ظهره دليلا على

الاحتجاج ، وربت هاري على كتفه بيده وقال :

- ان العجل السمين في انتظاري فاذهب بي اليه مباشرة !

تمتم تريسليان يقول :- هلا مضيت الى الصالون يا سيدي ؟ .. لست ادري اين الآخرون حقا .. لم نستطع ان نرسل احدا الى المحطة لاستقبالك فاننا لم نعرف موعد قدومك .

هز هاري رأسه واجتاز البهو خلف الخادم وهو يردد البصر حوله في فضول :

- ارى ان كل شيء لا يزال في مكانه ، ولا أظن ان شيئاً تغير منذ ان غادرت البيت منذ عشرين عاما .

وتبع تريسليان الى الصالون حيث تمتم الرجل العجوز :- سأبحث عن مستر او مسز الفريد .

وسارع بالخروج .

اما هاري فقد دخل غرفة الاستقبال وتوقف فجأة امام فتاة جالسة على افريز الشباك. وطافت عيناه المندهشتان بشعرها الاسود وبشرتها الغريبة الشاحبة التى بلون القشدة، وهتف يقول :

- يا الهي ! .. اتكونين زوجة ابى السابعة .. واجملهن ؟

هبطت بيلار على الارض وتقدمت منه قائلة :- انا بيلار

استرافادوس لاشك انك انت خالي هاري .. اخو امي .

وقال هاري وهو يتفرس فيها :- اذن فأنت ابنة اختى جنيفر ؟

فأجابت :- نعم . لماذا سألتنى ان كنت زوجة ابيك السابعة ؟ .. هل تزوج ست زوجات حقا ؟

ضحك هاري وقال :- كلا . اعتقد انه لم يتزوج غير امرأة واحدة ، زواجا شرعيا .. حسنا يا بيت .. ما اسمك ؟

- بيلار .

- حسنا يا بيلار . يدهشنى حقا ان التقى بزهرة يانعة مثلك في هذا المتحف

- هذا المتحف .. ماذا تعني ؟

- أعنى متحف الدمى المحنطة .. طالما اعتبرت هذا البيت قذرا ولكننى أراه الآن أشد قذارة من أى وقت مضى .

فأسرعت بيلار تقول في استنكار :- اوه كلا . ان كل شىء هنا جميل ، فالمفروشات فخمة والسجاد .. في كل مكان سجادة سميكة .. وهناك مجموعة كبيرة من التحف الفنية .. كل شىء رائع وجميل وثمين جدا .

فقال هاري مكشرا وهو يتأمل ابنة أخته في طرب :-

انك على حق في هذه الناحية ، فأنا لم أفق من دهشتى بعد

وأمسك عن الكلام وهو يرى ليديا تدخل الصالون مسرعة ، وتقدمت هذه الاخيرة اليه مباشرة وقالت :

- كيف حالك يا هاري ؟ .. أنا ليديا .. زوجة الفريد !

- صباح الخير يا ليديا .

وضغط على يدها وهو يتأمل وجهها المنفعل الذكى ، وراقت له طريقة سيرها على الفور فان قليلا من النساء لهن مثل هذه الرشاقة وهذه الرقة .

ونظرت ليديا اليه بدورها نظرة فاحصة وفكرت تقول :- انه شديد القسوة .. وسيم .. وجذاب .. ولكنى لا أستطيع أن أوليه كل ثقتى .

وقالت في صوت مرتفع وهى تبتسم :- كيف تجد البيت بعد هذا الغياب الطويل: .. أهو مختلف كثيرا أم كسابق عهدك به ؟

- بل هو كسابق عهدي به .

وردد البصر حوله ثم قال :- هذه الغرفة قد أدخلت عليها بعض التعديلات . !

- نعم .. أكثر من مرة .

فاستدرك يقول :- اعني أنك أدخلت عليها تعديلات .، انك جعلتها تبدو مختلفة عما كانت قبلا .

- نعم . هذا صحيح .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة .. شيطانية .. اعادت الى ذاكرتها ابتسامة سيميون لى العجوز وقال .

- ان هذا الصالون يبدو اليوم أكثر جمالا ورقة . اذكر اننى سمعت أن الفريد تزوج بسليلة أحد فرسان غليوم الفاتح .

ابتسمت ليديا وقالت :- اظن ذلك ، ولكن شجرة العائلة شاخت منذ ذلك الوقت .

وسألها هاري :- وكيف حال هذا العزيز الفريد .، الا يزال كما هو ؟

- لا أدري هل تجده قد تغير أم لا .

- وكيف حال الآخرين ؟ .. هل تفرقوا في انحاء انجلترا ؟

- كلا . سيكونون جميعا هنا في عيد الميلاد .

اتسعت عينا هاري وقال :- اذن فهو اجتماع عائلي لقضاء عيد الميلاد كما هى العادة؟ .. ماذا حدث لابي؟ .. انه لم يكن عاطفيا في أي وقت من الاوقات.. ولا اذكر أنه اهتم بعائلته أقل

اهتمام . لا ريب أنه تغير .

فقالت ليديا في لهجة جافة :- هذا جائز .

أصغت بيلار الى هذا الحديث بعينين متسعتين وفي اهتمام ، وقال هاري :

- وكيف حال جورج ؟ .. الا يزال بخيلا كالعهد به ؟ .. شد ما كان يصرخ اذا اضطر الى انفاق نصف بنس من جيبه .

أجابت ليديا :- ان جورج يشتغل بالسياسة الآن . انه عضو في البرلمان عن دائرة واسترنجهام .

- ماذا تقولين ؟ .. جورج في البرلمان ؟ .. وايم الله ان هذا لرائع !

القى هارى رأسه الى الخلف وأخذ يضحك .. وكانت ضحكته غنية رنانة دوت في أرجاء الصالون في قوة وقسوة . وانبهرت انفاس بيلار وكادت تختنق وأجفلت ليديا .

وصدر صوت خلف هاري في هذه اللحظة فتوقفت ضحكته في حلقه وتحول الى مصدر الصوت في حدة . ولم يكن قد سمع صوت القادم ولكن ألفريد كان واقفا يتأمله في هدوء وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة .

مرت بهاري لحظة وهو لا يدري ماذا يفعل ثم علت شفتيه ابتسامة بطيئة وتقدم خطوة وهو يقول :

– آه ! .. انه هذا العزيز الفريد ؟

ووقف الاخوان وكل منهما يتفرس في الآخر . وامسكت ليديا أنفاسها وقالت تحدث نفسها :

– ما أسخفهما ! .. ما أشبههما بكلبين .. يختبر كل منهما الآخر بنظراته .

وازدادت عينا بيلار اتساعا وراحت تحدث نفسها قائلة :

– ما أحمقهما وهما واقفان هكذا » .. لماذا لا يتعانقان ؟ .. آه ، كلا . فالانجليز لا يتعانقون بالطبع .. ولكن يمكنهما أن يتبادلا بعض الكلمات؟.. لماذا يتفرس كل منهما في الآخر هكذا ؟

وأخيراً قال هاري :– آه ، حسنا .. من المضحك أن أجد نفسي في البيت من جديد .

– أظن هذا.. نعم.. فقد مرت سنوات طويلة منذ أن غادرته.

ورفع هاري رأسه ومر بسبابته على وجنته ، وهى حركة طبيعية لديه ، تدل على طبعه المشاكس وقال :

– نعم ... يسرني انني عدت ..

وأمسك بعد الكلمة الأخيرة قليلا ليعطى الكلمتين التاليتين كل ما يريد من معنى :

– ... الى البيت .

- ٢ -

قال سيميون لي :- أظن أنني كنت رجلا شريرا جدا ..

كان مضطجعا في مقعده الى الخلف وقد رفع ذقنه وراح يضرب فكه باصبعه في تأمل وتفكير وأمامه نار مشتعلة يتراقص لهيبها . وجلست بيلار بقربها وفي يدها قطعة من الورق المقوى تحمي بها وجهها من وهج النار ، وتمروح بها من لحظة لأخرى بحركة رشيقة من يدها . وكان سيميون ينظر اليها في رضى واعجاب .

واستطرد في حديثه ، ولعله كان يحدث نفسه اكثر مما كان يحدث الفتاة ، ومع ذلك فقد كان وجودها معه أكبر مشجع له على الحديث .

قال:- نعم .. كنت رجلا شريرا ، فما رأيك في هذا يا بيلار.

هزت بيلار كتفيها وأجابت :- كل الرجال أشرار . هكذا قالت لي الراهبات على الأقل ، ولهذا السبب نصلي من أجلهم .

فضحك سيميون وقال :- ولكني كنت اشدهم شرا ، ولست اندم على ذلك على كل حال . لست نادما على أي شيء ، فقد استمتعت بحياتي .. بل بكل دقيقة منها .. يقال ان الانسان يندم في شيخوخته ولكن هذه سخف وتبجح فانني لا أشعر بأي ندم ،

وكما قلت لك فانني أقدمت على الكثير . ارتكبت كل الموبقات والآثام فسرقت وخدعت وكذبت .. يا الهي ! .. نعم .. والنساء .. كان لي معهن مغامرات ومغامرات .. وقد قال لي أحدهم ذات يوم ان زعيما عربيا يملك حرسا مكونا من أربعين فارسا كلهم من ابنائه .. وكلهم في نفس السن تقريبا .. آه .. أربعون ! .... لا أدري هل يبلغ أولادي هذا العدد ، ولكنني استطيع مع ذلك أن أجمع حرسا لا بأس به إذا جمعت أولادي حولي .. آه يا بيلار ! .. ما رأيك في هذا ؟ هل صدمت شعورك .

نظرت بيلار اليه وقالت :- كلا . ولماذا تصدم شعوري ؟ .. ان الرجال يشتهون النساء دائما . وابي كان كذلك هو الآخر .وهذا هو السبب في أن الزوجات لا يشعرن بالسعادة معظم الوقت وفي أنهن يذهبن الى الكنيسة ويصلين .

عبس سيميون العجوز وقال :- انني أشقيت أدلايد .

وكان يتكلم همسا كما لو كان يحدث نفسه واستطرد :- يا الهي!.. كانت امرأة جميلة ونضرة كالوردة في أول العهد من زواجنا ولكنها لم تكف بعد ذلك عن التأوة والعويل . وبكاء المرأة من شأنه أن يغيظ أشد الرجال هدوءا .. لم تكن تحكم عقلها .. هذا

ما كان من شأن أدلايد .. لو أنها ثارت في وجهي » .. ولكنها لم تفعل ابدا ! .. ولا مرة واحدة .. وقد ظننت حين تزوجتها أنني سأستطيع أن «أستقر» وأن أكون لنفسي اسرة .. وان اقطع كل صلة لي بالماضي .

وخبا صوته ونظر الى النار المتأججة في الموقد وضحك فجأة ضحكة تنطق بالسخط وقال :

اكون أسرة .. وأى اسرة .. ! .. انظري اليهم جميعا .. جميعا .. لم ينجب أحد منهم طفلا واحدا لكي يخلد اسمي .. فما شأنهم؟ .. اليس في عروقهم نقطة من دمي ؟ .. لم ينجب أي منهم طفلا ، سواء كان شرعيا أو غير شرعى .. خذى الفريد مثلا .. لا يعلم غير الله الي أى حد يضايقني الفريد .. فهو ينظر الي بعينيه كما لو كان كلبا أمينا .. على أهبة أن يفعل كل ما أطلب منه .. يا لله ما أشد غبائه ! .. وزوجته ليديا ! ... انني احب ليديا فهى راجحة العقل ولكنها لا تحبنى مع ذلك .. كلا ، انها لا تحبنى ولكنها تحتملني بسبب هذا الاحمق الفريد .

ورفع بصره الى الفتاة الجالسة بجوار النار وقال :- بيلار .. أرجو أن تتذكري هذا .. لا شيء يزعج المرء ويضايقه مثلما يفعل

الاخلاص الاعمى .

ابتسمت له في حين استطرد هو وقد شجعه وجود الشباب والانوثة المتدفقة بجانبه :

– وجورج ؟ .. أنه أخرق .. كيس منفوخ بالهواء لا مخ له ولا عقل .. وشديد البخل مع ذلك .. ودافيد ؟ .. ان دافيد كان دائما معتوها .. معتوها وحالما .. انه ابن امه حقا .. الشيء الوحيد المعقول الذى أقدم عليه هو اقترانه بتلك المرأة الراسخة الجميلة الراجحة العقل .

وضرب بيده على حافة مقعده وقال :– ان هاري أفضلهم كلهم .. هذا العزيز المسكين هاري .. العضو الفاسد في العائلة .. مهما يكن من أمره فهو يتدفق حيوية ومرحا .

قالت بيلار تؤيده :– نعم . انه وسيم .. وهو يضحك .. يضحك بصوت مرتفع ويطوح برأسه الى الخلف . أوه ، نعم .. اننى احبه كثيرا .

نظر الرجل العجوز اليها وقال :– هل تحبينه حقا يا بيلار ؟ .. ان هاري يعرف كيف يحظى باعجاب الفتيات دائماً .. انه ورث ذلك عني .

وبدأ يضحك .. ضحكة بطيئة مكتومة يتخللها السعال ثم قال :- اننى استمتعت بحياتي .. استمتعت بها جيدا .. لم ينقصني فيها شيء

وقالت بيلار :- هناك حكمة اسبانية تقول :- يقول الرب : خذ ما يروق لك وادفع الثمن .

ربت الشيخ العجوز بيده على مسند مقعده في استحسان وقال :- هذا صحيح .. هذا صحيح .. خذ ما يروق لك ... لقد أخذت ما راق لي .. طوال حياتي .. أخذت ما أردت .

واستوقفته بيلار قائلة في صوت مرتفع واضح :- وهل دفعت الثمن ؟

أمسك سيميون عن الضحك ونظر اليها متفرسا وقال :- ماذا تقولين ؟

- سألتك ان كنت قد دفعت ثمن ما أخذت يا جدي

أجاب سيميون في بطء :- لا .. لا أدري .

وضرب بيده على مسند ذراعه وقال في غضب فجأة :- لماذا تقولين ذلك يا ابنتى ؟ .. ما الذي دفعك الى هذا القول ؟

- اننى اتساءل ؟ ..

وتوقفت يدها الممسكة بالورقة التى تمروح بها . كانت عيناها سوداوين غامضتين . وطوحت برأسها الى الخلف وهى مدركة بمدى قوتها وانوثتها .

وقال سيميون لي

- ايتها الشيطانة الصغيرة !

وقالت في صوت رقيق :- ومع ذلك فأنت تحبنى يا جدي ، وتحب أن أجالسك .

فقال سيميون :- نعم . أحب ذلك فقد مر وقت طويل لم ار فيه الشباب ولا الجمال .. وهما يملآن عظامي دفئا .. وأنت من لحمى ودمى .. بارك الله جنيفر فقد أثبتت أنها أفضل الجميع . .

ابتسمت بيلار في حين استطرد سيميون :- ولكن إعلمى انك لا تخدعينني ، فانني أعرف لماذا تجلسين هنا وتصغين الى ثرثرتى في صبر وأناة . انك تفعلين ذلك من أجل المال .. نعم ، من أجل المال .. فلا اخالك تدعين أنك تحبين جدك العجوز .

فقالت بيلار :- كلا . اننى لا أحبك ، ولكنى أميل اليك .. اميل اليك كثيرا جدا .. ويجب أن تصدق قولي هذا لأنه الحقيقة، وأظن أنك رجل شرير ولكنى أحب ذلك أيضا فأنت أكثر حيوية

من كل الاشخاص الآخرين الذين يقيمون في هذا البيت ، ثم انك تسرد على مسامعي أشياء مبهمة فأنت قد سافرت وحفلت حياتك بشتى المغامرات ، لو كنت رجلا لتشبهت بك .

هز سيميون رأسه وقال :- نعم . انني اصدق ما تقولين .. فان الدم الغجري يجري في عروقنا . وقد قيل ذلك دائماً ولكن اولادي لم يرثوا شيئاً منه ، فيما عدا هاري .. غير أني أعتقد أنك ورثت منه الشيء الكثير ، واعلمي انني استطيع أن أكون صبورا عند اللزوم .. وقد انتظرت ذات مرة خمسة عشر عاما لكي أنتقم من رجل لحقتني منه اهانة ، وهذه صفة أخرى مميزة من صفات آل لي ، فهم لا ينسون أنهم يثأرون لاقل اهانة تلحق بهم ولو اضطروا الى الانتظار أعواما كثيرة .. لقد خدعني رجل فانتظرت خمس عشرة سنة حتى سنحت لي الفرصة .. وضربت ضربتي فدمرته .. وأفلسته تماما .

وضحك الرجل العجوز ضحكة رقيقة فسألته بيلار :- هل حدث هذا في افريقيا الجنوبية ؟

- نعم ، وهي بلد كبير .

- هل عدت اليها بعد ذلك ؟

- عدت اليها بعد زواجي بخمس سنوات .. وكانت هذه هى آخر مرة .

- ولكن قبل هذا .. هل أقمت فيها مدة طويلة ؟

- نعم .

- حدثنى عن حياتك هناك .

وبدأ يتكلم . وأصغت بيلار اليه وهى تحمى وجهها خلف مروحتها الورق.. وابطأ في حديثه أخيراً وقد نال منه التعب وقال:

- انتظري . سأريك شيئاً .

وفي حذر شديد نهض واقفا واتكأ على عصاه واجتاز الغرفة في بطء . وفتح الخزانة الكبيرة وتحول اليها مشيرا اليها بأن تقترب :

- انظري الى هذه .. تحسسيها ودعيها تنساب بين اصابعك.

ونظر الى وجهها الذى ارتسمت عليه امارات الحيرة وضحك ثم قال :

- هل تعرفين ما هذه ؟ .. احجار من الماس يا صغيرتي .. من الماس .

فتحت بيلار عينيها وقالت وهى تنحنى فوقها:- ولكنها آشبه

بالحصى .

فضحك مرة أخرى وقال :- هى أحجار من الماس الخام .. هكذا يعثرون عليها في بادىء الامر .

وسألته غير مصدقة :- وهل تكون ماسات حقيقية اذا ما قطعوها ؟

- بكل تأكيد .

- وتتلألأ وترسل بريقا .

- نعم .

وقالت في لهجة صبيانية ، - اوه .. لا استطيع أن اصدق ذلك ، فقال وقد أطربه أمرها :- هذا صحيح مع ذلك :

- وهل لها قيمة ؟

- قيمة كبيرة .. من العسير تقديرها ما لم تقطع .. ومع ذلك فان هذه الحفنة الصغيرة تساوي آلافا كثيرة من الجنيهات .

قالت بيلار وهى تتوقف بين كل كلمة وأخرى :- آلاف كثيرة .. من .. الجنيهات .

- لنقل انها تساوي تسعة أو عشرة آلاف .. فهى أحجار كبيرة .

قالت وقد اتسعت عيناها :- لماذا لا تبيعها اذن ؟

- لانه يروق لي الاحتفاظ بها .

- ولكن كل هذا القدر من المال ؟

- لست في حاجة اليه .

قالت متأثرة :- اوه . انني أرى .. ولكن لماذا لا تقطعها لكي تبدو جميلة ؟

- لانني أفضلها هكذا .

وتجهمت اساريره وتحول عنها وبدأ يحدث نفسه قائلاً :- انها تعود بي الى الوراء .. ان مجرد لمسها وانسيابها بين اصابعي يعيد كل شيء الى ذهني .. اشعة الشمس والفلاة والابقار .. والعجوز ايب .. والفتيان .. والليالي ..

وسمع طرقة خافتة بالباب فأسرع يقول :- اعيديها الى الخزانة حالا ثم أغلقيها .

ثم قال في صوت مرتفع :- ادخل

ودخل هوربوري في سكون واحترام وقال :- الشاي جاهز في الطابق الأرضي .

- ٣ -

قالت هيلدا :- ها أنت أخيراً يا دافيد . اننى بحثت عنك في كل مكان .. هلم بنا من هذه الغرفة فهى شديدة البرودة .

مضت دقيقة قبل أن ينطق دافيد . كان واقفا ينظر الي مقعد .. مقعد منخفض منجد ومكسو بالساتان الباهت . وقال فجأة :

- هذا مقعدها .. كانت تجلس عليه دائماً .. مازال كما هو .. لم يتغير فيه شيء غير لونه الذى بهت .

قطبت هيلدا جبينها وقالت :- انني أفهم .. ولكن تعال يا دافيد . ان الجو هنا بارد جدا .

ولم يهتم دافيد بها ، وردد البصر حوله ثم قال :- كانت تجلس هنا .. معظم الوقت . واذكر اننى كنت اجلس هنا على هذه الطاولة عند قدميها بينما كانت تقرأ لى قصة «جاك ، قاتل العملاق» .. نعم هو ذلك .. «جاك قاتل العملاق» .. كنت في السابعة من عمرى عندئذ .

تأبطت هيلدا ذراعه في عزم وقالت :- لنعد الى غرفة الاستقبال يا عزيزي .. ان هذه الغرفة ينقصها وسائل التدفئة .

قاطعها في سكون ولكنها أحست به يرتعد وهى ممسكة

بذراعه وتمتم يقول :

- ان كل شيء بقى على حاله .. بقى على حاله .. كأن الوقت لم يتحرك !

بدا القلق على هيلدا ، ومع ذلك فقد قالت في صوت مرح :

- اننى اتساءل أين ذهب الآخرون .. لا ريب أنه وقت تناول الشاي .

حرر دافيد ذراعه وفتح بابا آخر وقال :- يجب أن يكون في هذه الغرفة بيانو .. أوه ، نعم .. ها هو ذا . هل الأوتار مشدودة يا ترى ؟

وجلس أمامه وفتحه ومر بأصبعه على المفاتيح في رقة ثم قال:

- نعم .. ان الاوتار مشدودة .

وبدأ يعزف . وانسابت الانغام تحت اصابعه في رقة وقالت هيلدا :

- ما هذه المقطوعة ؟ .. يبدو لي انني اعرفها ولكنني لا استطيع ان اتذكر .

فقال:- اننى لم أعزفها منذ سنوات. كانت تعزفها غالبا.. وهى مقطوعة من مقطوعات مندلسوهن المعروفة باسم «اغنيات بلا

كلمات»

وملا اللحن العذب ارجاء الغرفة . وقالت هيلدا :- اعزف احدى مقطوعات موتسارت .. ارجوك .

هز دافيد رأسه وبدأ يعزف مقطوعة أخرى لمندلسوهن ثم مر باصابعه فجأة فوق المفاتيح كلها مرة واحدة مصدرا صوتا متنافراً ونهض وكان بدنه كله يرتعش فأسرعت هيلدا اليه قائلة :

- دافيد .. دافيد ..

ولكنه طمأنها قائلاً :- ليس بي شيء .. ليس بي شيء .

- ٤ -

صلصل جرس الباب بطريقة عدائية . ونهض تريسليان وغادر مكانه بالمطبخ ليفتح في خطوات بطيئة .

وصلصل الرنين مرة أخرى فعبس تريسليان .. ومن خلال اللوح الزجاجي الذى يكسوه الصقيع رأى خيال رجل يرتدي قبعة رخوة .

وضع تريسليان يدا فوق جبينه ، وقد أزعجه شيء ما .. بدا الامر وكأنه يحدث مرتين .

من المؤكد ان هذا قد حدث قبل ذلك .. من المؤكد .. وجذب

المزلاج وفتح الباب .

وتلاشى السحر عندئذ ، فقد قال الرجل الواقف بالباب :-
هل يقيم مستر سيميون هنا ؟

- نعم يا سيدي .

- هل يمكنني أن أقابله من فضلك ؟

تنبهت صدى ذكرى بعيدة في ذهن تريسليان .. كانت أشبه بترديد لنغم صوت آخر يعيد الي ذاكرته الايام الخوالي ، عندما أقبل مستر لي الى انجلترا لاول مرة . وهز رأسه في شيء من الشك وقال :

- ان مستر لي عاجز عن الحركة يا سيدي ، وهو لا يقابل زوارا ، واذا ..

فقاطعه الرجل الغريب وقال وهو يخرج من جيبه مظروفا ناوله اياه :

- ارجو إن تعطى هذا لمستر لي .

- حسنا يا سيدي .

أخذ مستر لي المظروف وأخرج منه القصاصة الصغيرة التى به . وبدت عليه امارات الدهشة ولكنه ابتسم وقال :

- عظيم !

ثم تحول الى رئيس الخدم وقال له :- دع مستر فار يصعد .

- حسنا يا سيدي .

وقال سيميون :- كنت أفكر الآن بالذات في هذا العزيز ابنزر فار . كان شريكي هناك في كيمبرلي وها هو ذا ابنه يأتى .

ولم يلبث أن عاد تريسليان وقال :- مستر فار !

دخل ستيفن فار في شيء من الانفعال وحاول إخفاء انفعاله فأبدى شيئاً من التيه وقال في لهجة ابناء جنوب افريقيا :

- يسرني أن أراك .. اذن فأنت ابن أيب ؟

ابتسم ستيفن فار في شيء من الخجل وقال :- هذه زيارتي الاولي للوطن العزيز ، وقد دأب أبي على أن يقول لي أن اسرع لزيارتك بمجرد قدومى الي هذا البلد .

- حسنا يا بني .

ونظر الشيخ حوله ثم قال:- هذه حفيدتي، بيلار استرافادوس.

وقالت بيلار في رزانة :- كيف حالك ؟

وقال ستيفن فار لنفسه في شيء من الاعجاب:- يا للشيطانة الصغيرة الباردة ! .. انها دهشت لزيارتي ، ولكن سرعان ما

تغلبت على دهشتها .

وتمتم يقول في شيء من الكذر :- يسرني أن اتعرف بك يا مس استرافادوس .

فقالت بيلار :- شكرا لك .

وقال سيميون لي :- أجلس وحدثنى عن نفسك . هل جئت الى انجلترا منذ وقت طويل ؟

- أوه . لا شيء يدعوني الى الاسراع بالعودة الآن وقد اصبحت هنا .

فقال سيميون لي:- هذا حسن. يجب أن تبقى معنا بضعة أيام .

- أوه ، ولكن لا يمكن أن أفرض نفسى هكذا يا سيدي ، فلم يبق على عيد الميلاد غير يومين .

- يجب أن تقضى عيد الميلاد معنا .. الا اذا كانت لديك مشاريع أخرى .

- كلا . ليست لدي أية مشاريع .. ولكنى لا أريد ...

فقاطعه سيميون قائلاً :- انتهينا اذن ..

وتحول الى حفيدته قال :- انتهينا اذن ...

- نعم يا جدي .

- اذهبي وأخبري ليديا أن لدينا مدعوا آخر ، وقولي لها أن تأتي لتراني .

غادرت بيلار الغرفة ، وتابعتها عينا ستيفن فار . وسجل سيميون لي هذه الواقعة في شيء من الطرب وقال :

- هل قدمت من افريقيا الجنوبية رأسا ؟

- نعم .

وراحا يتحدثان عن تلك البلاد ، وجاءت ليديا بعد دقائق قلائل فخاطبها سيميون قائلاً :

- اقدم لك ستيفن فار ، ابن صديقي الحميم وشريكي ابنزر فار. انه سيقضى معنا عيد الميلاد اذا استطعت أن تجدي له غرفة.

ابتسمت ليديا وقالت :- بكل تأكيد .

ونظرت الى الشاب الغريب نظرة فاحصة ، والى وجهه البرونزي وعينيه الزرقاوين ورأسه التى يطوحها قليلا الى الخلف.

وقال سيميون لي يخاطبه ،

- زوجة ابنى .

فقال ستيفن :- الحق انني أشعر بالحرج .. فقد أقحمت نفسي في اجتماع عائلي .

ولكن سيميون قال له :- انت واحد منا يا بنى فاعتبر نفسك في بيتك .

- انك كريم جدا يا سيدي .

وعادت بيلار في هذه اللحظة فجلست بجوار الموقد في هدوء .. وامسكت بالمروحة في يدها وراحت تروح بها في بطء وفي حركة رشيقة من يدها وقد أطرقت بعينيها في حشمة ورصانة .

الفصل الثالث

٢٤ ديسمبر

قال هاري وهو يطوح برأسه الى الخلف :- هل تريد مني حقا أن أقيم هنا يا أبي ؟ .. ان بقائى قد يثير الاضطرابات والفتنة .

فسأله سيميون في صوت حاد :- ماذا تعني ؟

- أعنى أخى الفريد .. اخي الطيب الفريد .. انه لن يطيق بقائي هنا .

فصاح سيميون :- وما شأنه هو ؟ .. اننى السيد هنا في هذا البيت !

- ومع ذلك فاني أظنك تعتمد على الفريد نوعا ما ، ولا أريد أن ازعج ..

فصاح أبوه :- سوف تفعل كما أقول لك .

وقال هاري :- لا أدري هل أستطيع ملازمة البيت ! ..

سيكون ذلك عسيرا على خاصة واننى اعتدت التنقل من مكان الى مكان .

فقال أبوه :- من الاوفق أن تتزوج وأن تستقر .

- ومن اتزوج ؟ .. للاسف ان المرء لا يستطيع ان يتزوج من ابنة اخته ! .. ان الصغيرة بيلار جذابة جداً .

- هل لحظت ذلك ؟

- بمناسبة الاستقرار ، لقد احسن جورج صنعا ، فانه وقع على فتاة فاتنة . من هى ؟

هز سيميون كتفيه وقال :- وكيف اعرف ؟ .. اعتقد ان جورج وقع عليها في حفلة لعرض الازياء ، وكانت تقوم بدور المانيكان، وهى تقول ان اباها ضابط بحري على المعاش .

فقال هاري :- لا ريب انه ضابط في سفينة . سوف يلاقي جورج متاعب جمة اذا لم يحسن مراقبتها عن كثب .

وقال سيميون لي :- ان جورج مغفل .

- لماذا تزوجته ؟ .. أمن اجل ماله ؟

هز سيميون كتفيه في حين قال هنرى :- حسنا يا أبى .. هل تظن انك تستطيع ان تقنع الفريد بذلك

- سوف نسوى هذه المسألة حالا .

وضغط الشيخ العجوز جرسا موضوعا فوق المنضدة التى بجانبه وسرعان ما ظهر هوربوري فقال له :

- قل لمستر الفريد أن يأتى .

وما انصرف هوربوري حتى قال هاري :- ان هذا الرجل يسترق السمع بالابواب .

- هذا جائز .

وأقبل الفريد مهرولا وتجهمت اساريره عندما رأى أخاه وقال يسأل أباه في حدة :

- هل ارسلت في طلبي يا أبى ؟

- نعم . اجلس . خطر لى أنه لابد لنا من اعادة تنظيم معيشتنا في البيت الآن وقد تقرر أن يقيم به شخصان آخران .

- شخصان ؟

- ستقيم بيلاز في البيت بعد اليوم طبعا . وقد عاد هاري الى البيت نهائيا .

فسأله الفريد : أيقيم هاري في البيت معنا ؟

فقال هاري :- وما المانع يا عزيزي ؟

تحول ألفريد اليه في حدة وقال :- اظن انك تعرف السبب .

- اننى آسف . ولكنى لا اعرف السبب .

- بعد كل الذي حدث ؟ .. بعد السلوك المشين الذى سلكه ؟ .. والفضيحة ..

أتى هاري باشارة من يده وقال :- لقد انطوى كل هذا مع الماضي ايها العزيز .

- انك سلكت مسلكا مشينا مع ابيك بعد كل ما صنع من أجلك.

- اسمع يا الفريد .. أظن ان هذا من شئون أبى وليس من شئونك ؟ .. اذا كان أبى مستعدا لكي يصفح وينسى

وقال سيميون :- اننى مستعد لذلك .. مهما يكن من أمر فهاري ابنى كما تعرف يا الفريد .

فقال الفريد: نعم، ولكنني استنكر تصرفه نحوك يا أبي و ...

فقال سيميون قائلاً :- قلت أن هاري سيقيم هنا وأننى أريد ذلك .

وألقى يده فوق كتف هاري وأردف:- انني احب هاري كثيرا.

نهض الفريد وغادر الغرفة . كان وجهه شديد الامتقاع .

ونهض هاري هو الآخر وخرج في اثره وهو يضحك .

وضحك سيميون في سره ولكنه لم يلبث أن اجفل ونظر حوله قائلاً :

- من هذا بحق الشيطان ؟ .. اوه ، أهو أنت يا هوربوري ؟ .. لا تتبسلل هكذا يا صاحبي .

- معذرة يا سيدي .

- لا أهمية لذلك واسمع . لدي بعض الاوامر لك . اريد أن يأتى الجميع هنا بعد الغداء .. الجميع .

- حسنا يا سيدي .

- ثم هناك شيء آخر . عليك أن تأتى بهم ، وعندما تبلغ منتصف الطرقة ارفع صوتك بحيث اسمعك .. قل اي شيء .. هل تفهم ؟

- نعم يا سيدي .

وهبط هوربوري الى المطبخ وقال لتريسليان :- اعتقد اننا سنشهد عيد ميلاد جميل .

فسأله رئيس الخدم في حدة :- ماذا تعني ؟

- انتظر وسوف تري يا مستر تريسليان .. ان عيد الميلاد على الابواب ولا أظن أن اهل هذا البيت سيشعرون بأى سرور او ابتهاج .

- ٢ -

اقبلوا الى الغرفة ووقفوا ببابها . وكان سيميون لي يتكلم بي التليفون ، فدعاهم الى الدخول باشارة من يده وقال لهم :

- اجلسوا جميعا .. امهلوني دقيقة واحدة .

واستأنف مكالمته التليفونية فقال :- هل أتكلم مع مكتب شارلتون وهودجكنس وبروس ؟ .. أهذا انت يا شارلتون ؟ .. انا سيميون لي .. نعم ، اليس كذلك ؟ .. نعم .. كلا .. اريد ان تحرر وصية أخرى . نعم ، فقد مرت مدة طويلة منذ ان حررت الوصية الحالية .. وقد تغيرت الظروف .. اوه ، كلا .. لا داعي للتسرع .. لا اريد أن أفسد عيد الميلاد .. لنقل اليوم التالي لعيد الميلاد او اليوم الذي يليه .. تعال وسوف اذكر لك ما اريد .. كلا .. سيكون كل شيء على ما يرام .. انني لن اموت في هذه الاثناء .

واعاد السماعة ثم نظر الى اعضاء اسرته الثمانية وضحك ضحكة خافتة ثم قال :

- اراكم مقطبين فما الخبر ؟

فقال الفريد :- انك طلبتنا ..

ورد سيميون على الفور يقول :- أوه .. انني آسف .. ليس هناك أي شيء خطر .. هل حسبتم انه اجتماع عائلى ؟ .. كلا .. اننى متعب اليوم ، وهذا كل شيء ولا داعى لأى منكم أن يصعد الى بعد العشاء ، فانني سآوى الى فراشى مبكرا لانني اريد ان اكون نشيطا في يوم عيد الميلاد ..

ونظر اليهم وهو يضحك ضحكة خافتة فاسرع جورج يقول :- طبعا .. طبعا .

وقال سيميون :- ان عيد الميلاد سنة قديمة عظيمة .. تحيى الشعور بالتضامن العائلي.. ما رأيك في هذا يا عزيزتى مجدالين:

أجفلت مجدالين لى وفتحت فمها الغبي ولكنها لم تلبث أن أطبقته قائلة :

- أوه .. أوه .. نعم .

وقال سيميون :- دعينى ارى .. انك كنت تقيمين مع ضابط على المعاش ..

وتوقف لحظة ثم اردف :- ابيك .. ما أظنك استمتعت بعيد الميلاد قبل هذه السنة .. فلكي يستمتع الانسان بعيد الميلاد لابد أن تكون له اسرة كبيرة ..

- حسنا .. حسنا .. نعم .. هذا جائز .

وتجاوزتها عينا سيميون لي وقال :- لا أريد التحدث عن أشياء مكدرة في مثل هذا الوقت من السنة ، ولكنى اعلم يا جورج انني ارى نفسى مضطرا الى تخفيض الراتب الذى اقدمه لك تخفيضاً يسيراً ، فان نفقات البيت ستزداد في المستقبل .

اضطرم وجه جورج وقال :- ولكن يا أبى .. لا يمكن ان تقدم على مثل هذا العمل .

فأجابه سيميون في هدوء :- أوه ، هل تظن ذلك ؟

- أن نفقاتي كثيرة . كثيرة جدا بحيث لا أدري كيف اواصل بين الطرفين ، على الرغم من أنى أتدبر معيشتى بشق النفس .

فقال سيميون :- دع زوجتك تساعدك في الاقتصاد فان النساء يحسن التصرف في هذه الناحية . انهن يفكرن في الاقتصاد في نواح كثيرة لا يحلم الرجل بها . والمرأة الذكية يمكن أن تصنع ثيابها بنفسها ، وانى اذكر ان زوجتى كانت بارعة في اشغال الابرة .. كانت امرأة بارعة في كل النواحي ، وكانت طيبة .. ولكنها كانت كئيبة الى حد كبير .

هب دافيد واقفا ولكن سيميون قال له :- اجلس يا بني ،

فانك اوشكت أن توقع الفازة التى الى جانبك .

وقال دافيد :- ان امى ..

فقاطعه ابوه قائلا :- ان املك كانت تفكر بعقل الاوزة واظن ان اولادها ورثوا عنها ذلك العقل .

ونهض فجأة وقد اضطرمت وجنتاه واستطرد يقول في صوت حاد مرتفع :

- انكم جميعا لا تساوون دانقا واحدا .. اننى مللتكم جميعا ، فأنتم لستم رجالا .. ليس فيكم من الرجولة إلا اسمها فقط وان بيلار وحدها تساوي أى رجلين منكم مجتمعين ، وانى لعلى يقين من أن لي في كل مكان من الارض ابنا غير شرعي وانه على الرغم من ذلك يفضلكم بكثير. وان كنتم انتم ابنائي الشرعيين .

فصاح هاري :- حسبك يا أبي ولا تزد .

وكان قد هب واقفا وقد اكفهر وجهه فصاح به أبوه :- هذا القول ينطبق عليك أنت أيضاً ، فماذا فعلت من خير ؟ .. رحت تلاحقنى من كل مكان في العالم تطالبني بالنقود ! قلت لكم اننى سئمت رؤيتكم جميعا فاغربوا عنى .

واضطجع في مقعده الى الوراء وهو يلهث قليلا .

وفي بطء خرج أفراد اسرته الواحد بعد الآخر . وكان جورج مضطرم الوجه يتميز غضباً ومجدالين تبدو مذعورة . وكان دافيد شاحبا يرتعش ، وأسرع هاري خارج الغرفة في تبجح ظاهر ومشى الفريد وكأنه في حلم وتبعته ليديا شامخة الرأس وتوقفت هيلدا بعتبة الباب ثم عادت الى الداخل في تؤدة .

ووقفت على مقربة منه ، وأجفل حين فتح عينيه ورآها بجواره . كان في هيئتها شيء من التهديد وهي واقفة مكانها راسخة لا تتحرك .

وقال محنقا :- ما الخبر ؟

- عندما جاءتنا رسالتك صدقت ما بها .. صدقت انك تريد ان ترى اولادك مجتمعين حولك في عيد الميلاد حقا ، ولهذا اقنعت دافيد بقبول دعوتك .

- حسنا ؟

فقالت هيلدا في تؤدة :- صحيح انك اردت أن تجمع افراد اسرتك حولك ولكن ليس للسبب الذي ذكرته .. انك انما اردت ان تجمعهم لكي تلقي بينهم بذور الشقاق والحقد . كان الله في

عونك ، إذا كان في هذا ما يطربك .

ضحك سيميون لي في فتور وقال :- ان لي مزاجي الخاص ولا أتوقع من احد أن يقوم مزاجي وحبي للدعابة .. يكفيني انني استمتع بهما .

لم تنطق بكلمة ، واستولى على سيميون لي احساس غامض بالرهبة وقال في حدة :

- فيم تفكرين ؟

فاجابته في بطء :- انني خائفة .

فقال :- خائفة ؟ .. مني ؟

ولكنها أجابته قائلة :- لست خائفة منك .. وإنما عليك .

وتحولت عنه كالقاضي الذى اصدر حكمه ، ومضت خارج الغرفة في بطء شديد .

وحدق سيميون في الباب لحظة ثم نهض واقفا ومضى الى الخزانة وغتم يقول :

- فلنلق الآن نظرة على جميلاتي .

- ٣ -

دق جرس الباب العمومي في نحو الساعة الثامنة إلا الربع، وذهب تريسليان لكي يرى من الطارق . وحين عاد الى المطبخ رأى هوربوري وقد أخذ بين أصابعه فنجانا من فناجين القهوة وراح يتأمله في إعجاب وقال هذا الاخير يسأل رئيس الخدم :- من كان الطارق ؟

- مستر صجدن رقيب البوليس .

أفلت الفنجان من بين اصابع هوربوري ووقع فوق الارض وتحطم .

وقال تريسليان في أسى :

أرأيت ما فعلت ؟ .. انني استخدم هذه الفناجين وأقوم بتنظيفها من احدى عشرة سنة ولم أكسر فنجانا واحدا منها ، وتأتي انت وتمسك بواحد منها من غير داع ..

فقال هوربوري يعتذر وقد تفصد وجهه بالعرق :- لا لا أدري كيف حدث هذا .. هل قلت رقيب البوليس ؟

- نعم . مستر صجدن .

مرر الخادم لسانه فوق شفتيه الشاحبتين وقال :- وماذا ..

ماذا يريد ؟

- انه يجمع اعانة لملجأ ايتام البوليس .

- اوه ..

قطب هوربوري وجهه وقال في لهجة طبيعية اكثر :- هل حصل على شيء ؟

- انني أخذت السجل الى مستر لي العجوز فأمرني أن ادع الرقيب يصعد اليه وان اضع الشيري فوق المنضدة .

وقال هوربوري :- هذا الوقت من السنة هو وقت التبرعات ، ولابد لي من الاعتراف بأن الرجل العجوز كريم حقا على الرغم من مساوئه الاخرى .

وقال تريسليان في احترام :- لقد كان مستر لي مبسوط اليد دائماً .

هز هوربوري رأسه وقال : هذا خير ما يمكن أن يوصف به حسنا ، انني خارج الآن .

- أذاهب أنت الى السينما ؟

- ارجو ذلك . الى الملتقى يا مستر تريسليان .

نظر تريسليان الى الساعة المعلقة الى الحائط ثم سار الى قاعة الطعام ، وهناك وضع الخبز في فوط السفرة ، وبعد أن تأكد من أن كل شيء معد على ما يرام دق الجرس في البهو .

وفيما كان صوت رنين الجرس يتلاشى هبط الرقيب صجدن . وكان رجلا عريض الكتفين حلو التقاطيع ، يرتدى بذلة زرقاء يحرص على تزريرها بعناية وينطق كل ما فيه على انه مدرك مدى اهميته . وقال في رقة :

- أظن أن الصقيع سيهبط الليلة ، وهذا افضل فاننا لم نشعر بالشتاء هذا العام بعد .

فقال تريسليان وهو يهز رأسه:- ان الرطوبة تؤثر في مفاصلى فانني مريض بالروماتزم .

وايده الرقيب فقال ان الروماتيزم مرض مؤلم ، وشيعه تريسليان حتى الباب .

أغلق رئيس الخدم العجوز الباب بالمزلاج ثم عاد الى البهو في بطء ومر بيده فوق عينيه وتنهد ثم اعتدل في وقفته وهو يرى ليديا تمر به في طريقها الى غرفة الصالون . وكان جورج لي يهبط درجات السلم في هذه اللحظة .

ووقف تريسليان على استعداد ، وعندما دخلت المدعوة مجدالين الصالون دخل تريسليان وقال :

- لقد اعد العشاء .

كان تريسليان خبيرا بازياء النساء ، على طريقته الخاصة . كان يلاحظ وينتقد دائماً ثياب السيدات وهو يدور بالمائدة والدورق في يده لاحظ أن مسز الفريد قد ارتدت ثوبها الجديد المزين بالازهار والمصنوع من التفتاه البيضاء والسوداء وهو رسم جريء في حد ذاته ملفت للأنظار ولكنها استطاعت أن تظهر به بدون أى اكتراث مع أن الكثيرات غيرها ما كن ليقدمن على ذلك . وكان الثوب الذى ترتديه مسز جورج ثوبا ثمينا من تصميم احد محال الازياء الشهيرة ، ولا ريب انه كلفها مبلغا باهظاً ، وتساءل تريسليان كيف يستطيع مستر جورج أن يدفع ثمنه خاصة والمعروف عنه انه بخيل وأنه لا يحب أن ينفق شيئاً من ماله أبداً .. وأنتقل بعد ذلك الى مسز دافيد .. وهى سيدة مليحة ولكنها لا تحسن اختيار الالوان التى تناسبها ، فقد كانت ترتدي ثوبا من القطيفة المشجرة قرمزي اللون فوق ذلك . في حين انه كان من الاصوب أن ترتدي ثوبا عاديا من القطيفة السوداء. اما مس بيلار فلم يكن نوع الثوب الذى ترتديه ليهمها في شيء ، فهى بوجهها وشعرها كانت تبدو جميلة في كل شيء ، كانت ترتدي ثوبا من القماش الابيض الرخيص ، ولكن مستر لي سوف

يصحح هذا الوضع ، فانه قد اعجب بها كل الاعجاب وهذا هو الحال مع كل رجل تتقدم به السن ، فان فتاة شابة تستطيع أن تصوغه وتكيفه كيف تشاء .

وتمتم تريسليان في اذن مسز جورج في احترام :- نبيذ أبيض أم أحمر .

ويطرف عينه ، لحظ أن وولتر الخادم يقدم الخضروات قبل الصلصة ، مرة ثانية ، بعد الدرس الذي لقنه اياه .

قدم تريسليان البطاطس المحمرة، وادهشه ان يرى أن اهتمامه بزينة النساء وهواجسه فيما يتعلق بوالتر وعدم كفايته قد اصبحتا طي الماضي بعد أن لاحظ ان الجميع يخيم عليهم الصمت في تلك الليلة .. لم يكن الصمت مخيماً على الجميع على الاقل لان مستر هاري كان يتكلم بما يكفي عشرين شخصا .. كلا .. لم يكن مستر هاري هو الذي يتكلم وانما هو ذلك السيد الي أقبل من أفريقيا الجنوبية .. وكان الآخرون يتكلمون هم أيضاً ولكنهم ، كانوا يتكلمون في حركات تشنجية . كان امرهم غريبا بعض الشيء فمستر الفريد مثلا ، كان يبدو مريضا حقا ، كما

لو كان قد اصيب بصدمة او بشيء ما . كان يبدو مبهوراً يدير الطعام في طبقة دون أن يلمسه ، وكانت مسز الفريد تنظر اليه في انزعاج ، وقد رأى تريسليان ذلك .. كانت لا تنفك تنظر اليه في هدوء ومن غير أن يلحظ أحد ذلك . وكان زجه مستر جورج مضطرما ، وكان يزدرد طعامه دون أن يمضغه .. انه سوف يصاب بنوبة في احدى هذه المرات اذا لم يتوخ الحذر . وكانت مسز جورج لا تأكل وانما كانت تتظاهر بانها تأكل . اما مس بيلار فقد كانت تأكل بشهية مفتوحة وتضحك وتثرثر مع ذلك الشاب القادم من أفريقيا الجنوبية ، ولا ريب انه كان معجبا بها .. كان يبدو على هذين الشابين انه لا يشغل ذهنيهما أى شيء .

ولكن مستر دافيد ؟ ... لقد شعر تريسليان بالانزعاج على مستر دافيد .. فقد كان أشبه بامه ، وكان لا يزال يبدو صغيراً بشكل عجيب ، ولكنه كان شديد الانفعال .. وها هو قد افلت كأسه من يده .

جمع تريسليان الكأس المحطمة وجفف غطاء المائدة في براعة ومهارة . وبدا كل شيء نظيفاً من جديد .. ولم يبد على مستر دافيد انه لحظ شيئاً مما وقع .. كان يحدق امامه ممتقع الوجه .

تذكر تريسليان عندئذ التغيير الذى طرأ على هوربوري في المطبخ حين سمع أن احد ضباط البوليس جاء الى المنزل .. تماما كما لو انه ..

طرح تريسليان هذه الفكرة من ذهنه ، فقد اوقع والتر خوخة من انطبق الذى يحمله .. أن خدم اليوم لاخير فيهم .. انهم لا يتمتعون بأى خبرة أو ذكاء ومن الاوفق لهم أن يلتحقوا بخدمة الاصطبلات .

ودار على الجالسين بالنبيذ الحلو . كان مستر هاري يبدو شارد الذهن الليلة . كان دائم النظر الى مستر الفريد . لقد كان الود مفقودا دائماً بين الاخوين منذ ان كانا طفلين . كان مستر هاري الابن الوحيد المدلل لابيه طوال عمره ، وقد حقد الفريد عليه لهذا السبب فان مستر لي لم يبد أى اهتمام بألفريد أبدا ، في حين أن هذا الاخير كان شديد الاخلاص لابيه .

ولم تلبث مسز ألفريد أن نهضت ودارت بالمائدة .. ما اجمل هذا الرسم المنقوش على التافتاة ! .. وهذه الحرملة تناسبها جدا .. انها حقا سيدة رشيقة جدا .

وذهب الى مطبخه بعد أن اغلق الباب على الرجال الذين

راحوا يرشفون نبيذهم ، واخذ صينية القهوة الى قاعة الاستقبال ، وكانت السيدات الاربع قد انتقلن اليها ، وخطر له انهن لا يشعرن بأي ارتياح ، وانهن لا يتبادلن الحديث . وناولهن القهوة في صمت .

وخرج من قاعة الاستقبال ، وفيما هو ذاهب الى مطبخه سمع باب غرفة الطعام يفتح ، وخرج دافيد لي واجتاز البهو في طريقه الى قاعة الاستقبال .

وعاد تريسليان الى مطبخه ، وزجر والتر . ولم يسكت هذا الاخير وانما رد عليه في شيء من الوقاحة .

وجلس تريسليان في المطبخ وحده في ضجر . كان يخالجه شعور من الغم ! كل هذا الضيق وهذا التوتر في عشية عيد الميلاد .. لم يرق له ذلك أبداً .

وبذل مجهوداً لكي ينفض عن نفسه هذا الاحساس ، وذهب الى قاعة الاستقبال ورفع فناجين القهوة . كانت القاعة شاغرة ليس بها أحد فيما عدا ليديا ، وكانت واقفة في آخر الحجرة تكاد تحجبها ستارة النافذة . وكانت واقفة تحدق في جوف الليل .

وفي الغرفة المجاورة تناهى اليه صوت البيانو .

كان مستر دافيد يعزف مقطوعة المارش الجنائزى ، وقد تساءل تريسليان لماذا يعزف مستر دافيد هذه المقطوعة بالذات .. حقا ، ان كل شيء يسير بطريقة خاطئة .

واجتاز البهو في بطء وعاد الى مطبخه . وسمع في هذه اللحظة الجلبة التي فوق رأسه :- صوت صيني يتكسر ومفروشات تنقلب واصوات ارتطام وتحطيم متتابعة وقال يحدث نفسه .

- يا الهى ! .. ماذا يفعل سيدي ؟ .. ما الذي يحدث فوق ؟

وعندئذ دوت صيحة عالية واضحة .. صرخة مروعة انتهت الى حشرجة يقشعر لها البدن .

ووقف تريسليان مسمرا مكانه لحظة ثم اسرع الى البهو وصعد السلم . وكان هناك آخرون غيره ، فقد سمع كل من في البيت تلك الصرخة المدوية .

وصعدوا كلهم السلم وداروا بالمنحنى ، وتجاوزوا فجوة تقوم فيها بعض التماثيل البيضاء المخيفة ، وقطعوا الطرقة مسرعين الى غرفة سيميون لي . وكان مستر فار قد سبقهم اليها هو ومسز دافيد ، وكانت تعتمد بظهرها على الحائط في حين كان هو يلوى مقبض الباب . وقال :

- ان الباب موصد .. الباب موصد .

واندفع هاري لي نحوه وامسك المقبض هو الآخر وقال وهو يعالجه :

- ابي .. افتتح لنا يا أبى .

ورفع يده . وارهفوا السمع ولكن لم يجبهم غير الصمت .. لم يصدر أى صوت من الداخل .

وصلصل جرس الباب العمومي ولكن احدا لم يعره أى التفات.

وقال ستيفن فار :- يجب أن نحطم الباب . هذه هى الوسيلة الوحيدة .

وقال هاري :- سيكون ذلك عملا شاقا ، فان هذه الابواب من الخشب المتين . تعال معى يا الفريد .

واندفعوا نحو الباب بكل ثقلهم . وأخيراً ذهبوا وجاءوا بدكة من خشب البلوط واستخدموها في تحطيم الباب . وتخلخل الباب اخيراً وانخلعت المفصلات وخرج الباب من اطاره .

ووقفوا لحظة متزاحمين ينظرون الى الداخل ، وطالعهم منظر بشع ليس من العسير أن ينساه أحد منهم .

كان كل شيء يدل على أنه كانت هناك معركة رهيبة الفازات الصينية في كل مكان بأرض الغرفة . مما يدل على أن معركة حامية قد دارت بها . فقد انقلبت المقاعد والمناضد الثقيلة وتناثرت السجادة ، وامام الموقد رقد جسد سيميون لي يسبح في بركة من الدماء .. وتناثر الدم في كل مكان .. كانت الغرفة أشبه بالمجزر .

وارتفعت تنهيدة كبيرة تنطق بالذعر ثم ارتفع صوتان في نفس الوقت ، ومن الغريب ان كلا منهما نطق بعبارة مقتبسة ، فقد قال دافيد لي :

– ان طواحين الرب تسحق في بطء ...

وقالت ليديا في همس مضطرب :– من كان يظن أن بهذا الرجل العجوز كل هذا الدم ؟

– ٤ –

دق الرقيب صبجدن الجرس ثلاث مرات وأخيرا تملكه اليأس فتحول الى المطرقة وقرع الباب .

وأقبل الخادم والتر في النهاية ففتح له الباب وهو بادي الذعر ، وقال له وقد ظهرت في عينيه نظرة ارتياح :

- أوه .. كنت على وشك أن أتصل تليفونيا بالبوليس .

فسأله الرقيب صجدن في حدة :- ولماذا ؟ .. ما الذي يحدث هنا ؟

فهمس والتر :- انه مستر لي العجوز .. انه قتل

دفع الرقيب الخادم بعيدا عنه ثم اندفع نحو السلم . ودخل غرفة العجوز من غير أن يلحظ وجوده احد . وفيما هو يدخل رأى بيلار تنحني وتلتقط شيئاً من فوق أرض الغرفة . ورأى دافيد لي واقفا ويداه فوق عينيه . ورأى الآخرين متجمعين بعضهم حول بعض . وخرج الفريد من بينهم وتقدم نحو جثة أبيه . ووقف بجوارها وأخذ ينظر اليها وقد امتقع لونه .

قال جورج لي في لهجة خطيرة :- لا يجب أن يلمس احد شيئاً .. تذكروا ذلك .. لا تلمسوا شيئاً .. أى شيء الى أن يأتى البوليس ، فهذا أمر على جانب كبير من الاهمية ،

وقال صجدان :- معذرة .

وشق طريقه الى الامام وهو يبعد النساء في رقة . وعرفه الفريد فقال :

- آه . أها أنت ايها الرقيب صجدن ؟ .. انك اتيت بسرعة .

ولم يضيع الرقيب وقته في الشرح واكتفى بأن قال :-
نعم يا مستر لي .. ما الخبر ؟
فقال الفريد لي :- أن أبي قتل .. ذبح ..
وتهدج صوته وأخذت مجدالين تبكي فجأة في عصبية
ورفع الرقيب صجدن يده في حركة كبيرة رسمية وقال في لهجة الامر :

- فليغادر الجميع الغرفة فيما عدا مستر لي ومستر .. جورج لي .

ومضوا جميعا الى الباب في بطء وفي تردد كقطيع من الغنم . واعترض الرقيب صجدن طريق بيلار فجأة قائلاً في رقة :
- معذرة يا آنسة .. لا يجب أن تلمسي أو أن تأخذى أى شيء .

ووقفت تتفرس فيه ، وتدخل ستيفن فار فقال في استياء :- طبعاً .. انها تعرف ذلك .

وعندئذ قال الرقيب صجدن بنفس لهجته الرقيقة :- انك التقطت شيئاً من فوق الارض منذ لحظة .

اتسعت عينا بيلار ونظرت اليه وقالت غير مصدقة :- أنا ؟

وعاد الرقيب صجدن يقول في رقة وفي لهجة اكثر حزنا :-
نعم يا آنسة ، فانني رأيتك
- أوه .
- أرجو ان تعطيني اياه .. انه في يدك الآن
فتحت بيلار يدها في بطء ، وكان فيها قطعة من المطاط وقطعة من الخشب فاخذهما ووضعهما في مظروف دسه في جيبه وهو يقول :- شكرا لك .
وتحول عنها . وبدت في عيني ستيفن فار لمدة دقيقة امارات الاحترام المقرون بالدهشة والخوف كما لو انه لم يقدر ذلك الضابط حق قدره .
وخرج الجميع من الغرفة في بطء . وسمعوا صوت الرقيب يتناهى اليهم وهو يقول :
- والآن ، اذا سمحتما لي ...

- ٥ -

قال الكولونيل جونسون وهو يضع قطعة من الوقود في الموقد ثم يدني مقعده من النار :

- ليس هناك افضل من نار الموقد للتدفئة .

واردف يقول في كرم وهو يشير لضيفه الى ادوات الشراب الموضوعة فوق منضدة صغيرة بجوارهما :- تفضل .

رفع الضيف يده يرفض في حركة مهذبة ثم أدنى مقعده من النار المتأججة وهو يقول لنفسه إن تدفئة القدمين لا تمنع البرد من أن يهرأ الكتفين .

كان في مقدور الكولونيل جونسون ، رئيس بوليس ميدبلشاير أن يعتقد أن نار الموقد افضل شيء للتدفئة ولكن هركيول بوارو كان له رأى آخر فقد كان يعتقد أن اجهزة التدفئة العامة هى افضل وسيلة للتدفئة .

وقال المضيف مستأنفا حديثه السابق : ان قضية كارتايت هذه قضية غريبة حقا .. ما اغرب ذلك الرجل ! .. انه يخلب الناس بمعاملته ، وعندما اقبل معك اسرنا جميعا بطريقته .

وهز رأسه وقال :- لن تعرض لنا مثل هذه القضية مرة اخرى ابدا .. ولحسن الحظ ان استخدام النيكوتين من الاشياء النادرة الحدوث .

فقال بوارو :- مضى عليك وقت طويل كنت تعتقد فيه ان

الانجليز لا يستخدمون السم في قتل ضحاياهم .. وان هذه الطريقة مقصورة على الاجانب فقط وغير جديرة بالرجل الانجليزي الرياضي .

فقال رئيس البوليس :- لا أظن اننا نستطيع أن نقول ذلك .. فقد وقعت جرائم قتل كثيرة بواسطة سم الزرنيخ .. وعددها اكثر مما نظن طبعا .

- هذا جائز .

وقال جونسون :- ان القتل بالسم يسبب لنا تعقيدات كثيرة ، فهناك تناقض شهادة الخبراء ، ثم أن الاطباء يظهرون حرصا كبيرا في تقريراتهم . ثم أن من العسير بعد ذلك تقديم القضية الى المحاكم .. كلا . اذا كان ولابد من أن يقتل احدهم الآخر (لاقدر الله) فيجب أن تكون الجريمة شديدة الوضوح على الاقل .. اعنى جريمة قتل لا يلتبس علينا فيها سبب الموت .

هز بوارو رأسه وقال :- كطلقة الرصاصة أو طعنة السكين أو تحطيم الجمجمة .. ها هو ما تفضله .

- أوه ، لا تقل ذلك يا عزيزي . ولا يخطر ببالك انني احب قضايا القتل .. اننى ارجو ان لا تقع جريمة قتل اخرى في

مقاطعتي ، ومهما يكن من امر فلا أظن أن احدا يقدم على قتل احد اثناء زيارتك لنا .

بدأ بوارو يقول في تواضع :- ان سمعتني ..

ولكن جونسون استطرد يقول :- اننا نمر الآن بفترة عيد الميلاد حيث يسود السلام والوئام .. والحب والصفاء .. السلام في كل مكان .

اندفع بوارو في مقعده الى الخلف وضم اطراف اصابعه ،ثم تأمل مضيفه في تفكير وقال :

- اذن فمن رأيك أن فترة عيد الميلاد لا يحتمل أن تقع فيها جرائم قتل .

- هذا ما أعنيه .

- لماذا ؟

وارتسمت امارات الدهشة على جونسون واردف :-

- لانها كما سبق أن قلت فترة تسامح وصفاء ووئام .

تمتم بوارو :- ان الانجليز قوم عاطفيون جدا .

وقال جونسون في جرأة :- وأى ضير في هذا ؟ .. أى ضير في أن نحتفظ بعاداتنا القديمة .. وفي أفراحنا التقليدية القديمة .

- لا ضير في ذلك .. بل أن الامر اكثر فتنة وروعة ، ولكن

دعنا نفحص الحقائق بعضا من الوقت . انك قلت أن فترة عيد الميلاد فترة تسامح ، وهذا يعني على ما أظن كثيرا من الاكل والشراب ، بل أنه يعني الافراط في الاكل والشراب ، والافراط في الاكل يتسبب في عسر الهضم ، ومع عسر الهضم تأتى الانفصالية .

وقال الكولونيل جونسون .

– ان الانفصالية لا تتسبب في القتل .

– لست واثقا من ذلك .. لننظر الى نقطة اخرى .. ان عيد الميلاد يسود فيه السلام والوئام ، ومعنى هذا انك تقول ان الصلح يتم بين المتخاصمين وان المختلفين في الرأى يتوافقون من جديد ولو مؤقتاً .

هز جونسون رأسه وقال :– الفترة المناسبة لدفن العداوات .. هذا صحيح .

واستأنف بوارو فكرته قائلاً :– ولنتكلم عن العائلات الآن .. العائلات التى وقعت بينها الفرقة خلال السنة تجتمع وتترابط من جديد ، وبناء على ذلك يا صديقي ستبذل مجهودات كثيرة ، فان الناس الذين لا يربط الود بين قلوبهم سيبذلون جهدا كبيرا لكي

يبدوا متحابين . وبناء على ذلك ، فان فترة عيد الميلاد تكون قائمة كلها على الرياء .. الرياء الجدير بالاحترام .. الرياء المشروع للسبب الوجيه .. هذا مفهوم ، ولكنه رياء مع ذلك .

فقال الكولونيل جونسون في شك :- ليس هذا ما أقول .

ابتسم بوارو وقال :- كلا . كلا .. انا الذى اقول ذلك وليس انت . انني اذكر لك انه بناء على ما تقدم .. من المجهود الذهني والارتباك الطبيعي ، فان من المحتمل جدا ان الكراهية على الرغم من اعتدالها وان الخلاف على الرغم من تفاهته يأخذان فجأة طابعا شديد الخطورة ، وتكون عاقبة التظاهر بالحب والصفح والشهامة سببا في ازدياد الكراهية والقسوة والبغضاء ان عاجلا وإن آجلا . واذا انت حاولت أن تسد تيار سلوكك الطبيعي يا صديقي العزيز فسوف ينفجر هذا التيار وتقع الكارثة ان عاجلا وان آجلا .

نظر الكولونيل جونسون اليه في شدة وقال متذمرا : لا ادري هل تجد في كلامك هذا أو تهزل ؟

فابتسم بوارو وقال :- لست مجدا في كلامي .. لست مجدا بالطبع ، ولكنني اقول الحقيقة مع ذلك .. ان الظروف والمناسبات

المصطنعة تحدث رد فعلها الطبيعي .

دخل خادم الكولونيل جونسون في هذه اللحظة وقال :- ان الرقيب صجدن علي التليفون يا سيدي .

- حسنا . انني قادم .

وغادر رئيس البوليس الغرفة وهو يعتذر .. وعاد بعد نحو ثلاث دقائق ، وقد ارتسمت على وجهه امارات الاهتمام والاضطراب وقال :

- اللعنة ! .. جريمة قتل .. وفي عشية يوم الميلاد !

- رفع بوارو حاجبيه وقال :- اهي جريمة قتل حقيقية ؟

- اوه ، طبعا . طبعا .. هي جريمة قتل حقا ... وجريمة بشعة فوق ذلك .

- ومن القتيل ؟

- سيميون لي العجوز .. احد اثرياء المدينة .. جمع ثروته أصلا في افريقيا الجنوبية .. ومناجم الذهب .. او بالاحرى في مناجم الماس على ما اعتقد .. واستثمر امواله في اقامة مصنع لصنع قطع الغيار الخاصة بالمناجم ، من اختراعه هو بالذات .. وقد ربح منها مالا وفيرا .. ويقال انه جمع اكثر من مليونين من

الجنيهات .

وقال بوارو :- أهو محبوب ؟

فأجاب جونسون في بطء : لا اعتقد ان احدا يحبه . انه رجل غريب ، وهو عاجز يلازم غرفته من بضع سنوات . وانا شخصيا لا اعرف عنه شيئاً كثيرا ولكنه أحد الشخصيات البارزة في البلد .

- سوف تثير هذه القضية ضجة كبيرة اذن .

- نعم . يجب ان اذهب إلى لانجديل بأسرع ما يمكن .

وتردد وهو ينظر الى ضيفه . وفطن بوارو بالسؤال الذي لا يجرؤ جونسون على النطق به فقال :

- وهل تريد منى أن ارافقك ؟

فقال جونسون في ارتباك :- يخجلني ان اطلب منك ذلك ، ولكن أرجو أن تفهم موقفي جيدا . ان الرقيب صجدن رجل موفق لا يفضله احد ، مجد حريص وراسخ في مهنته .. حسنا ، ولكن ينقصه الخيال .. وبما انك موجود بيننا فانني افضل الاستفادة .. بنصائحك .

ونطق بكلماته الاخيرة في بطء وهو يتوقف بعد كل كلمة

لكي يعطيه أهمية .. بوارو فأجاب :

- سوف يسرني ذلك . يمكنك أن تثق بانني سابذل كل ما استطيع من عون ومساعدة ، ولكننا لن نحاول أن نجرح شعور الرقيب صجدن .. ولسوف تكون هذه القضية قضيته هو لا قضيتي انا .. وسأكتفي انا بتقديم نصائحى بصورة غير رسمية .

فقال الكولونيل جونسون بحرارة :- انك رجل كريم يا بوارو وانطلق الرجلان على هذا الاطراء .

- ٦ -

فتح لهما الباب شرطى وادى لهما التحية . وتقدم الرقيب صجدن قائلاً :-

- يسرني انك اتيت يا سيدي .. هلا تفضلت بالدخول الى هذه الغرفة ، على اليسار .. مكتب مستر لي ! .. سأذكر لك القضية اجمالا .. انها قضية غريبة يا سيدي .

ورافقهما إلى غرفة صغيرة على يسار البهو ، بها تليفون ومكتب كبير تغطيه الاوراق ، وبالجدران رفوف مرصوصة بالكتب .

وقال رئيس البوليس :- اقدم لك مستر هركيول بوارو يا صجدن ، واظنك سمعت به . كان معى حين اجاءتنى مكالمتك .. الرقيب صجدن .

انحنى بوارو انحناءة يسيرة ونظر الى الرجل . رأى إمامه رجلا طويل القامة عريض الكتفين ، ذا هيئة عسكرية ، له أنف معقوف وفك قوى وشارب كبير اشقر اللون . وتفرس صجدن في هركيول بوارو ، اما بوارو فقد تفرس في شارب صجدن وبدا كأن كثافته قد خلبته .

وقال الرقيب :- اننى سمعت عنك بالطبع يا مستر بوارو .. واذا لم تخنى الذاكرة فانك كنت في هذه الناحية من العالم من بضع سنوات .. موت مستر بارتولوميو سترانج .. قضية التسمم بالنيكوتين . لم تكن في دائرتى ولكننى تتبعت القضية طبعا .

قال الكولونيل جونسون بفارغ الصبر :- والآن يا صجدن . هل ذكرت لنا الوقائع ؟ ... تقول انها قضية واضحة ؟

- نعم يا سيدي . انها جريمة قتل ما في ذلك شك ، فقد ذبح مستر لي وجز عنقه ؛ وقد فهمت من الطبيب الشرعي ان الوريد الوداجي قطع ، ولكن هناك شيئاً غريباً في هذه المسألة .

– ماذا تعني ؟

– اريد ان تسمع قصتى اولا ياسيدي .. هذه هى الوقائع . في نحو الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم اتصل بي مستر لي تليفونيا في محطة بوليس اوشنفيلد ، وبدا صوته غريبا بعض الشيء .. وقد طلب منى القدوم لزيارته في الساعة الثامنة من مساء اليوم . وقد حدد لي ذلك الوقت بالذات ولكنه طلب منى أن أذكر لرئيس الخدم اننى قادم لجمع اعانة لبعض جمعيات البوليس الخيرية .

نظر رئيس البوليس اليه في حدة وقال :– كأن يريد اذن أن يقدم لك سببا وجيها لدخولك البيت .

– هو ذلك يا سيدي . حسنا .. ومستر لي شخصية كبيرة طبعا ، وقد نزلت عند رغبته . وجئت هنا قبل الثامنة بقليل وقدمت نفسى على أننى اهتم بجمع الاشتراكات لملجأ ايتام البوليس . وتركنى رئيس الخدم ثم عاد ليخبرني بأن مستر لي سيراني ، وتقدمنى حتى غرفة مستر لي ، وهى تقع في الطابق الاول فوق غرفة الطعام مباشرة .

توقف الرقيب صجدن ليسترد نفسه ثم استطرد في لهجة

رسمية كما لو كان يقدم تقريراً :

- كان مستر لي جالسا على مقعد بجوار الموقد ، وكان يرتدي روبا ، وعندما غادر رئيس الخدم الغرفة واغلق الباب خلفه طلب مني مستر لي أن اجلس بجواره . وذكر لي عندئذ في شيء من الارتباك بانه يريد أن يقدم لي تفاصيل سرقة وقعت له . وسألته ما الذي سرق منه فاجابني بان لديه من الاسباب ما يجعله يعتقد أن مجموعة من الماسات (واعتقد انه ذكر لي مجموعة من الماسات الخام) تقدر بعدة آلاف من الجنيهات قد سرقت من خزانته .

فسأله رئيس البوليس :- مجموعة من الماسات .

- نعم يا سيدي . وقد القيت عليه اسئلة كثيرة روتينية ، ولكنه كان مترددا ، كانت اجاباته مبهمة بعض الشيء . واخيراً قال :- يجب أن تفهمني ايها الرقيب . انني قد اكون مخطئاً في هذه المسألة . فاجبته ، انني لا افهمك يا سيدي . اما ان تكون الماسات قد اختفت ام لا فاجابني بان الماسات قد اختفت بالتأكيد، ولكن من الجائز ايها الرقيب ان اختفاءها مرجعه دعابة سخيفة . وبدا لي ذلك غريبا ، ولم انطق بشيء واستطرد هو يقول : ان

من العسير على ان اوضح لك كل شيء بالتفصيل ولكن شكوكي تنحصر في شخصين اثنين فقط ، ربما أقدم أحدهما على السرقة بقصد الدعابة . اما اذا كان الاخر هو الذي اخذها فمعنى ذلك انها سرقت نهائيا فقلت له:- ماذا تريد منى أن أفعل بالتحديد؟ .. فأجابنى مسرعا ، اريد منك أن تعود الى بعد نحو ساعة ايها الرقيب .. بل ليكن بعد ساعة وربع ، وسأستطيع عندئذ أن أقول لك نهائياً اذا كانت قد سرقت أم لا . وتملكتني الحيرة بعض الشيء ولكننى قبلت وانصرفت .

فقال الكولونيل جونسون :- هذا غريب .. غريب جدا .. ما رأيك يا بوارو ؟

وقال بوارو :- هل يمكنني أن اسألك ايها الرقيب . ماهى الاستنتاجات التى توصلت اليها ؟

داعب الرقيب فكه وهو يرد في حذر :- لقد خطرت لي آراء كثيرة ، ولكنى رأيت على العموم ان الامر لا يمكن ان يكون دعابة ، وان الماسات قد سرقت حقا وان الرجل العجوز لم يكن متأكدا من السارق . ورأيي أنه كان يذكر الحق حين قال ان واحدا من اثنين هو الذى سرق الماسات وأحد هذين الشخصين خادم اما

الآخر فهو من افراد اسرته .

هز بوارو رأسه في استحسان وقال :- حسنا جدا .. نعم .. ان هذا يفسر موقفه تماما .

- وهناك رغبته في أن أعود اليه فيما بعد . كان يريد في أثناء ذلك أن يستجوب الشخص الذى يشك فيه . كان يريد ان يقول له أنه اطلع البوليس على الامر وانه اذا اعاد اليه الماسات فانه يستطيع أن يكتم أمره .

فقال الكولونيل جونسون :- واذا لم يستجب ذلك الشخص ؟

- كان ينوى عندئذ أن نتولى نحن الامر عنه .

قطب الكولونيل جبينه وفتل شاربه وقال معترضا :- لماذا لم يقم بهذا الاجراء قبل أن يستدعيك ؟

هز الرقيب رأسه وقال :- كلا . كلا يا سيدي . لو انه تصرف كما تقول لاعتقد السارق ان الامر لايعدو ان يكون مجرد تهويش من ناحيته ، ولن يقتنع بأن الرجل العجوز قد ابلغ البوليس حقا فانه يقول لنفسه عندئذ أن الرجل العجوز لن يستدعي البوليس ولا تهمه شكوكه في شيء ولكن اذا قال له سيميون انه اطلع رجال البوبيس على السرقة وان الرقيب غادر

البيت منذ لحظات فان السارق سيسأل رئيس الخدم عندئذ وسيؤيد له هذا الاخير النبأ ، قائلا ، نعم ، لقد كان الرقيب هنا قبل العشاء فيقتنع السارق عندئذ بأن الرجل العجوز قد ابلغ رجال البوليس حتما فيسارع باعادة الماسات إليه .

قال الكولونيل جونسون :- نعم . انني افهم الآن . الديك فكرة عمن يكون السارق يا صجدن ؟

- كلا يا سيدي .

- ولا أية اشارة .

- كلا يا سيدي .

هز جونسون رأسه وقال :- حسنا . استمر في قصتك اذن .

وراح صجدن يقول في لهجته الرسمية :- عدت الى البيت في الساعة التاسعة والربع بالتدقيق ياسيدي . وعندما هممت بدق الجرس سمعت صرخة بداخل البيت ثم صيحات مبهمة وجلبة شديدة . ودققت الجرس عدة مرات ثم قرعت الباب بالمطرقة أخيراً . ومضت ثلاث أو اربع دقائق قبل ان يفتح الباب ، ورأيت أمامي خادما لم اكد اراه حتى ادركت ان امرا جللا قد وقع ، فقد كان يرتجف من قمة رأسه الى اخمص قاميه ، وكان يوشك ان يقع

مغميا عليه . وقال لي ان مستر لي العجوز قتل . وصعدت الدرج مسرعا ووجدت غرفة مستر لي في حالة شديدة من الفوضى والاضطراب . كان من الواضح انه دارت بالغرفة معركة حامية ، وكان مستر لي نفسه طريحا امام الموقد يسبح في بركة من الدماء وقد جز عنقه .

فسأله رئيس البوليس في حدة :- اما كان في مقدوره قطع عنقه بنفسه ؟

هز صجدن رأسه وقال :- هذا محال يا سيدي ، فقد كانت المقاعد والمناضد مقلوبة ، والتحف والاواني الصينية محطمة ، وفوق ذلك لم يكن هناك اي اثر للسكين التى ارتكبت بها الجريمة.

قال رئيس البوليس في تفكير :- نعم . هذا امر قاطع . الم يكن بالغرفة احد ؟

- كان بها أكثر أفراد العائلة يا سيدي. كانوا متجمعين بها .

قال الكولونيل جونسون في حدة :- الديك فكرة يا صجدن ؟

فأجابه الرقيب في بطء :- انها قضية رديئة يا سيدي . يخيل لي أن واحدا منهم هو الذى ارتكب الجريمة ، فلا ارى كيف يستطيع أى شخص من الخارج ان يرتكبها ويهرب قبل أن ينكشف

امره .

- هل كانت النافذة مغلقة أو مفتوحة ؟

- ان بالغرفة نافذتين يا سيدي ، كانت احداهما مغلقة وموصدة من الداخل ... اما الاخرى . وكانت مفتوحة بضع بوصات قلائل من اسفل ، ولكنها كانت مثبتة في ذلك الوضع بواسطة مسمار لولبي . وقد حاولت انا نفسي ان افتحها ولكننى لم استطع فقد علاها الصدأ ولم يفتحها أحد منذ سنوات ، والجدار املس جدا من الخارج ، وليس به أى خدش ، ولا اظن ان احدا ما استطاع مغادرة الغرفة من هذا الطريق .

- كم بابا بهذه الغرفة ؟

- باب واحد فقط . والغرفة تقع في آخر الممر وكان الباب مغلقاً بالمفتاح من الداخل . وعندما سمعوا صوت المعركة وصرخة الرجل العجوز اسرعوا الى الطابق الاول ثم اضطروا الى تحطيم الباب لكي يدخلوا الغرفة .

قال جونسون في حدة :- ومن كان بالغرفة ؟

فاجابه الرقيب صجدن في لهجة خطيرة :- لم يكن بالغرفة أحد ياسيدي فيما عدا الرجل لعجوز الذي لم يمض علي مقتله اكثر من دقائق معدودات .

حدق الكولونيل جونسون في صجدن بضع دقائق قبل أن يغمغم قائلاً :

- هل تقصد أن تقول ايها الرقيب ان هذه احدى الجرائم المعقدة التى نقرأ عنها في القصص البوليسية ، حيث نرى القتيل يلقي مصرعه في غرفة مغلقة على يد قاتل فوق قوى الطبيعة ظاهريا ؟

اضطرب شارب الرقيب على اثر ابتسامة خفيفة وهو يرد في لهجة خطيرة :

- لا اظن ان الامر من السوء الى هذه الدرجة يا سيدي .

فقال الكولونيل جونسون:- لابد اننا ازاء حادث انتحار اذن .

- لو صح ذلك فأين سلاح الجريمة ؟ .. كلا ياسيدي .

- اذن كيف هرب القاتل ؟ .. امن الشباك ؟

هز صجدن رأسه وقال :- لا اعتقد ذلك يا سيدي .

- ولكنك تقول ان الباب كان موصدا من الداخل .

هز الرقيب رأسه واخرج مفتاحاً من جيبه ألقاه فوق المنضدة وقال :

- لا توجد عليه ولا بصمة واحدة .. ولكن انظر اليه جيدا يا سيدي .. انظر اليه بهذه العدسة المكبرة .

انحني بوارو الى الامام وفحص المفتاح هو وجونسون معا . واطلق رئيس البوليس صيحة وقال :

- انني بدأت افهم ما تعنيه .. هذه الخدشات الخفيفة التي على طرف ماسورة المفتاح .. هل تراها يا بوارو ؟

- نعم . معنى هذا ، اذا لم اخطىء ، ان المفتاح ادير من خارج الباب .. ادير بواسطة اداة ادخلت في ثقب الباب وامسكت بماسورة المفتاح .. ومن المحتمل ان زردية عادية قد استخدمت في ذلك .

هز الرقيب صجدن رأسه وقال :- هذا جائز .

وقال بوارو ، - اذا كان الامر كذلك فان القاتل اراد ان يحملنا على الاعتقاد باننا ازاء حادث انتحار مادام الباب مغلق بالمفتاح وليس بالغرفة احد .

- هو ذلك يا مستر بوارو . ليس هناك أى شك في ذلك .

هز بوارو رأسه في شك وقال:- ولكن الفوضى التي بالغرفة؟ ان ذلك يبعد فكرة الانتحار ، إذا كان القاتل يريد أن يوعز الينا

بفكرة الانتحار لاعاد النظام الى الغرفة بكل تأكيد .

فقال الرقيب صجدن :- ولكنه لم يجد متسعا من الوقت لكي يفعل ذلك يا مستر بوارو . هذه هى النقطة الحاسمة . كان ينوي مباغتة الرجل العجوز وهو غافل عنه . ولكن الامور لم تجر كما يشتهي ، فقد وقعت بينهما معركة شديدة ، وزاد الطين بلة أن الرجل العجوز صرخ مستنجدا فاندفع الجميع اليه ، ووجد القاتل ما يكفي من الوقت لكي يخرج من الغرفة ويدير المفتاح من الخارج .

فقال بوارو : - هذا صحيح . ان قاتلك ارتكب خطأ فظيعا ، ولكن لماذا ؟ .. نعم . لماذا لم يترك سلاح الجريمة على الاقل ؟ .. فانه من الطبيعي أن تستبعد فكرة الانتحار اذا لم يوجد السلاح، وهذه فكرة خطيرة جدا .

فقال صجدن في اصرار :- ان المجرمين يرتكبون الاخطاء عادة وقد اثبتت التجربة ذلك .

زفر بوارو زفرة خافتة وقال :- ومع ذلك ، وعلى الرغم من اخطاء قاتلك فهو قد هرب .

- لا أظن انه هرب حقا .

- هل تعني أنه مازال موجودا بالبيت ؟

- لا أرى من يمكن ان يكون اذا لم يكن من اهل البيت . انه واحد من أفراد الاسرة .

فقال بوارو في رقة :- ومع ذلك فقد هرب ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، فأنت لا تعرف من هو .

وأجابه الرقيب صجدن في رقة وعزم :- اعتقد أننا سوف نعرف ذلك قريبا ، فنحن لم نستجوب أهل البيت بعد .

وقاطعه الكولونيل جونسون قائلاً :- ولكن هناك شيئاً يثير دهشتي يا صجدن ، وهو أن ذلك الذى أدار المفتاح من الخارج لابد وأن له دراية بمثل هذا العمل ، ولا ريب أن له سابق تجربة بالجريمة فان مثل هذه الادوات الدقيقة ليس من اليسير استخدامها .

- هل تعنى انه مجرم محترف الاجرام ؟

- هذا ما أعنيه .

فقال صجدن :- يبدو ان الامر كذلك حقا .. وبناء على ذلك يبدو ان هناك لصا محترفا بين الخدم ، وهذا يفسر لنا سرقة الماسات ، ولابد ان نستنتج منطقيا ان وقوع الجريمة قد اعقب

السرقة .

- حسنا ، وما وجه الخطأ في هذا الاستنتاج ؟

- هذا ما استنتجه في باذىء الامر في الواقع ، ولكن المسألة عويصة ، ففي البيت ثمانية من الخدم ، ست نساء ومن هؤلاء الست خمس منهن يخدمن في البيت من اربع سنوات او اكثر وهناك رئيس الخدم والخادم وقد قضى رئيس الخدم اكثر من اربعين عاما بالبيت ، وهو رقم قياسي اذا جاز لنا هذا القول . اما الخادم فهو من اهالي البلد ، وهو ابن البستاني ، وقد الحق بالعمل هنا ، ولا اتصوره مجرما محترفا . والشخص الوحيد الباقي هو وصيف مستر لي الخاص ، وهو حديث العهد بالبيت نسبيا ، ولكنه كان خارج البيت ولايزال بالخارج حتى هذه اللحظة فقد غادر البيت قبل الثامنة بقليل .

وقال الكولونيل جونسون :- هل معك كشف بأسماء الاشخاص الذين كانوا بالبيت ساعة وقوع الجريمة ؟

- نعم يا سيدي . لقد دونت اسماءهم نقلا عن لسان رئيس الخدم .

وأخرج دفتره من جيبه واستطرد :- هل اذكرهم لك ياسيدي»

– اذا سمحت يا صجدن .

– مستر ومسز الفريد لي .. مستر جورج لي ، عضو البرلمان وزوجته .. مستر هارلي .. مستر ومسز دافيد لي .. مس ..

وتوقف الرقيب لحظة وهو يستوعب الاسم جيدا ثم نطقه كما لو كان ينطق اسم قطعة فنية :

– مس بيلار استرافادوس .. مستر ستيفن فار . اما الخدم فهم ادوارد تريسيليان رئيس الخدم .. والتر تشامبيون الخادم .. اميلى الطاهية. وكويني جونس مساعدتها ، جريس سبينت الخادمة الاولى ، جريس سبث الخادمة الثانية ، بياتريس موسكويت الخادمة الثالثة ، جوان لينس خادمة وسيدني هوربوري الوصيف .

– هل هناك أحد آخر ؟

– كلا يا سيدي .

– هل تعرف أين كان يوجد كل منهم ساعة الجريمة ؟

– تقريباً يا سيدي . انني لم أقم باستجوابهم بعد كما قلت لك يا سيدي ، وطبقا لاقوال تريسليان كان الرجال يجلسون في قاعة الطعام ، أما السيدات فكن في الصالون حيث قدم لهن تريسليان القهوة . وطبقا لشهادته كان عائدا الى مطبخه حين

سمع الجلبة في الطابق العلوي ثم الصرخة فاندفع الى البهو وصعد السلم خلف الاخرين .

قال الكولونيل جونسون يسأله :- كم عدد الذين يقيمون بالبيت من أفراد الاسرة ، ومن هم المدعوون ؟

- يقيم هنا مستر ومسز الفريد لي بصفة دائمة فقط يا سيدي . اما الاخرون فهم مدعوون اقبلوا لقضاء عيد الميلاد .

هز جونسون رأسه وقال :- وأين هم الان ؟

- طلبت منهم البقاء بالصالون ريثما أبدأ استجوابهم .

- حسنا . لعل من الاوفق أن نصعد ونلقي نظرة على غرفة الجريمة .

وتقدمهما الرقيب صجدن الى السلم ثم الى طرقة الطابق الاول . وما أن دخل الكولونيل جونسون الغرفة التى وقعت فيها الجريمة حتى أخذ نفساً طويلاً وصاح :

- يا للبشاعة !

ووقف لحظة يتأمل المقاعد والمناضد المقلوبة والتحف والاواني المحطمة الملوثة بالدم . ونهض كهل نحيف كان جاثيا بجوار الجثة وهز رأسه محييا وقال :

- مساء الخير يا جونسون . لكأننا في مذبح !

- هذا صحيح . ألديك ما تقوله لنا يا دكتور ؟

هز الطبيب كتفه واغتصب ابتسامة ثم قال :- سوف أذكر تقريري العلمي في المحكمة ، وهو تقرير ليس فيه أى تعقيد . لقد ذبح الرجل العجوز ذبح الشاة ونزف القتيل دمه كله في أقل من دقيقة ، ولا أثر للسلاح .

عبر بوارو الغرفة ومضى الى النوافذ . كانت احداها مغلقة وموصدة بالمزلاج ، أما الاخرى فقد كانت مفتوحة من أسفل نحو اربع بوصات بواسطة مسمار قلاووظ غليظ .

وقال صجدن :- استنادا الى أقوال رئيس الخدم فأن هذه النافذة لم تغلق ابدا سواء كان الطقس رديئاً أو صحواً. وهناك قطعة من المشمع تحت النافذة لكي تمنع دخول قطرات المطر داخل الغرفة.

هز بوارو رأسه وعاد الى الجثة وأخذ يتأملها طويلا .. كشفت شفتا القتيل عن اللثة الدامية ، وكانت تعلوها تكشيرة غريبة ، وكانت الاصابع مثنية كمخالب الطيور الجارحة . وقال :

- يخيل لي أن هذا الرجل لم يكن قويا .

فقال الطبيب :- لقد كان صلبا جدا وقد قاوم أمراضا شديدة

الخطر كان من الممكن أن تقهر كثيرين غيره .

فقال بوارو : لا أعنى هذا . انما أعنى أنه كان رجلا ضعيفا .. ضعيف البنية .

- هذا صحيح .

تحول بوارو عن الجثة وانحنى ليتأمل مقعدا مقلوباً ، وهو مقعد كبير من خشب الموجني ، وبجانبه منضدة مستديرة من الموجني هي الاخرى ، وحطام مصباح كبير من الصيني ، وبجانب كل هذا مقعدين صغيرين وحطام أبريق وكأسين وثقالة ضخمة من الزجاج ، صحيحة غير مكسورة تستخدم لضغط الورق وكتب مختلفة وفازة صينية كبيرة محطمة وتمثال برونزي لفتاة عارية .

انحنى بوارو فوق كل هذه الاشياء وفحصها فحصا دقيقا دون أن يلمسها وقطب حاجبيه وقد تملكته الحيرة . وسأله رئيس البوليس :- هل يزعجك شيء يا بوارو ؟

فتنهد هركيول بوارو وقال :- رجل ضعيف واهن ومسن .. وكل هذه الفوضى .

بدت الحيرة على جونسون وتحول عنه . وسأل الجاويش الذي كان منهمكا في عمله .

- ماذا عن البصمات ؟

- يوجد منها الكثير يا سيدي .. في كل مكان من الغرفة .

- وماذا عن الخزانة ؟

- ليس عليها غير بصمات القتيل نفسه يا سيدي .

تحول جونسون الى الطبيب وسأله :- وماذا عن الدم ؟ .. من المؤكد أن القاتل قد تلوثت ثيابه بدم القتيل .

فأجابه الطبيب في شيء من الشك ، - ليس ذلك من الضروري . أن أكثر هذا الدم قد نزف من الوريد الوداجي ، وهو لا يتدفق كما يتدفق من الشريان .

- هذا صحيح . ومع ذلك فيبدو لي أن القتيل نزف دما كثيرا .

وقال بوارو :- نعم . ان هناك دما كثيرا .. وهو أمر يدعو إلى الدهشة .. دم كثير ..

قال الرقيب صجدن في احترام :- هل .. هل يوحى اليك ذلك بشيء يا مستر بوارو ؟

نظر بوارو اليه وهز رأسه في ارتباك وقال :- هذا يدل على أن شيئاً من العنف قد وقع .

وتوقف لحظة ثم استطرد يقول :- نعم .. شيء من العنف .. ودم .. دم كثير .. كيف أعبر عما أريد أن أقول .. دم كثير .. بل أكثر من اللازم .. دم على المقاعد ، على المناضد ، وعلى السجادة .. فهل يدل ذلك على سنة ما أو على عادة دامية .. أم تراه قرباناً دموياً ؟ هذا جائز .. فمثل هذا الرجل الضعيف النحيف الذي جعدته السنون ويبسته من ناحية .. وكل هذا القدر من الدم من ناحية أخرى .

وخبا صوته ، ونظر الرقيب صجدن اليه بعينين مذعورتين . وقال في صوت مضطرب ،

- هذا غريب .. هذا ما قالته السيدة .

فقال بوارو في حدة :- أي سيدة .. ؟ وماذا قالت ؟

فأجابه صجدن :- مسز لي .. مسز ألفريد لي .. انها وقفت بجانب الباب وتمتمت بتلك الكلمات .. ولم أدرك لها معنى .

- ماذا قالت ؟

- ما معناه «من كان يعتقد أن بالرجل العجوز كل هذا القدر من الدم» .

فقال بوارو في رقة :- من كان يظن أن بهذا الرجل العجوز كل هذا الدم ! .. هذه كلمات الليدي ماكبث .. أنها نطقت بنفس هذا القول .. آه .. ما أمتع هذا !

- ٨ -

دخل ألفريد لي وزوجته الصالون الصغير حيث وقف بوارو وصجدن ورئيس البوليس ينتظرون . وتقدم الكولونيل جونسون منهما قائلاً :

- كيف حالك يا مستر لي ؟ .. لم يسبق لنا أن التقينا قبل اليوم ، ولكن لا ريب أنك تعلم أنني رئيس البوليس في هذا الاقليم .. اسمي جونسون .. لا أستطيع أن أعبر لك عن مدى حزني لما حدث .

نظر الفريد اليه بعينين أشبه بعيني كلب يتوجع وقال في صوت مبحوح :

- أشكرك.. هذا فظيع.. فظيع جدا.. انني.. هذه زوجتي !

وقالت ليديا بصوتها الهادىء :- كانت الصدمة شديدة الوقع على زوجي ، بل علينا جميعا .. وعليه هو بالخصوص .

وكانت يدها على كتف زوجها . وقال الكولونيل جونسون : هلا جلست يا مسز لي..؟ دعيني أقدم لك مستر هركيول بوارو

انحنى هركيول بوارو، وانتقلت عيناه من الرجل الى زوجته في اهتمام ، وضغطت ليديا بيدها على كتف الفريد في رقة وقالت:

- اجلس يا ألفريد .

جلس الفريد وتمتم يقول:- هركيول بوارو.. ولكن من.. من..؟

ومر بيده على جبينه في دهشة وقالت ليديا :- أن
كولونيل جونسون يريد أن يلقي عليك بضعة أسئلة يا ألفريد .

نظر رئيس البوليس اليها في استحسان وقد سره أن يرى في
سز الفريد امرأة حساسة تعرف كيف تواجه الامور .

وقال الفريد :- طبعا .. طبعا ..

وحدث جونسون نفسه قائلاً :- يبدو أن الصدمة هدت كيانه
ما .. أرجو أن يسترد جأشه قليلا .

وقال في صوت مسموع :- ان معنا كشفا بأسماء كل الذين
انوا بالبيت الليلة ، ولعلك تستطيعين أن تقولى لي اذا كان
حيحا .

وأشار الى صجدن الذى أخرج دفتره وقرأ كشف الاسماء مرة
خرى ، ويبدو أن هذه الاجراءات قد ساعدت الفريد لي على أن
سترد جأشه قليلا لانه لم يلبث أن تمالك نفسه واختفت أمارات
لدهشة والذعر من عينيه ، وعندما فرغ صجدن من قراءته هز
رأسه موافقا وقال :

- هذا الكشف صحيح .

- هل لك أن تزودني ببعض المعلومات عن ضيوفك ؟ .. اظن أن مستر ومسز جورج لي ومستر ومسز دافيد لي أقاربك ؟

- أنهما أخواي الاصغران وزوجتاهما .

- أهم في زيارة ؟

- نعم . لقد أقبلوا لقضاء عيد الميلاد معنا .

- ومستر هاري لي .. ؟ أهو الآخر أخوك ؟

- نعم .

- وضيفاك الاخران .. ؟ الآنسة استرافادوس ومستر فار ؟

- الآنسة استرافادوس هى ابنة أختى، أما مستر فار فهو ابن الشريك السابق لابي ، حين كان في جنوب أفريقيا .

- آه . هو صديق قديم اذن .

فتدخلت ليديا قائلة:- كلا. لم يسبق لنا أن رأيناه قبل ذلك .

- آه . ومع لك فقد دعوتموه لقضاء عيد الميلاد معكم ؟

تردد الفريد ونظر الى زوجته فقالت هذه الاخيرة في صوت واضح :

- لقد أقبل مستر فار أمس فجأة وعلى غير انتظار . اتفق

ان كان في الجوار فأقبل لزيارة حمى .. وعندما رأى هذا الاخير أنه ابن صديقه القديم وشريكه أصر على أن يبقى معنا لقضاء عيد الميلاد .

فقال الكولونيل جونسون :- آه .. هذا حسن .. والخدم .. ؟ هل تعتقدين أنهم كلهم جديرون بالثقة ؟

- نعم . انني أثق بهم كلهم . وأغلبهم يخدموننا منذ سنوات طويلة ، فتريسليان رئيس الخدم يعمل في خدمتنا وزوجي لايزال طفلا صغيرا والخدم الجدد هم : الخادمة جوان والوصيف الذي يقوم على خدمة حمى .

- وما رأيك فيهما ؟

- ان جوان فتاة ساذجة اذا أردت الحق . وهذا أسوأ ما يمكن أن يقال عنها . أما هوربوري فلا أعرف عنه شيئاً كثيرا ، فهو لا يعمل بالبيت الا منذ سنة ، وقد أبدى كفاءة في عمله وكان حماى راضيا عنه .

فقال بوارو في لباقة :- وأنت يا سيدتى .. ؟ أما كنت راضية عنه ؟

هزت ليديا كتفيها في استخفاف وقالت :- لم تكن تربطنى

به أى عمل .

- ولكنك سيدة البيت يا سيدتي ، والخدم من اختصاصاتك .

- نعم بالطبع ، ولكن هوربوري كان وصيف حمى الخاص ولم يكن تحت اشرافي .

- آه .. فهمت .

قال الكولونيل جونسون :- نأتي الآن إلى أحداث الليلة ، وأخشى أن يكون الامر مؤلما لك ولكنى أود يا مستر لي أن تذكر لي ما حدث .

فأجابه الفريد في صوت خافت :- بكل تأكيد .

وعاجله الكولونيل جونسون متسائلاً :- متى رأيت أباك لآخر مرة .

تقلصت عضلات وجه الفريد وهو يردد في صوت بطيء : كان ذلك بعد تناول الشاي . قضيت معه بضع دقائق .. وتمنيت له أخيراً ليلة طيبة وغادرته .. دعنى أذكر .. في نحو السادسة الا الربع .

وتدخل بوارو فقال :- هل تمنيت له ليلة طيبة .. !

ألم تكن تتوقع ان ان تراه الليلة مرة أخرى ؟

- كلا . كان أبى يتناول وجبة خفيفة في العشاء في الساعة السابعة دائماً . وكان يرقد في وقت مبكر أحياناً ، وأحياناً يظل جالسا على مقعده ولا يذهب أحد لرؤيته بعد ذلك إلا إذا كان على موعد خاص معه .

- وهل كان ذلك يحدث كثيراً ؟

- أحياناً ، اذا أراد هو ذلك .

- وهل كان ذلك اجراء عاديا ؟

- كلا .

- استمر من فضلك يا مستر لي :

استأنف الفريد قصته فقال :- تناولنا العشاء في الساعة الثامنة ، وعندما فرغنا من الطعام ذهبت زوجتى والنساء الأخريات الى غرفة الاستقبال .

وتهدج صوته واتسعت عيناه وهو يستطرد قائلاً :- وكنا جالسين هنا ، أمام هذه المنضدة عندما سمعنا الجلبة فوق رؤوسنا .. فقد انقلبت المقاعد والمفروشات وتحطمت الكؤوس والتحف الصينية ثم .. أواه ، يا الهى !

واعترته رعشة وراح يقول :- مازالت تدوي في أذنى .. لقد

صرخ أبى.. صرخة بشعة طويلة.. صرخة رجل تألم ألما لا يطاق ..

وغطى ألفريد وجهه بيديه المرتعشتين فلمست ليديا ذراعه بحركة رَقيقة في حين قال الكولونيل جونسون :

- وماذا بعد ؟

فأجابه الفريد في صوت محطم :- أظن .. أننا بقينا لحظة في أماكننا مصعوقين .. ثم اندفعنا مرة واحدة وجرينا نحو الباب في طريقنا الى السلم وصعدنا الى غرفة أبى .. وكان الباب مغلقا بالمفتاح ، فلم نستطيع أن ندخل وكان لابد لنا من أن نحطمه ، وإذ تم لنا ذلك دخلنا ورأينا ..

وخانه النطق فتدخل جونسون قائلاً :- لا داعي للدخول في هذه التفاصيل يا مستر لي، ولنعد قليلا الى الوراء.. حين كنتم في قاعة الطعام .. من كان معك هناك حين سمعت تلك الصرخة ؟

- من ... ؟ كنا موجودين جميعا .. كلا .. انتظر لحظة .. كان أخي معى .. أخى .. أخى هاري

- ألم يكن هناك أحد آخر ؟

- كلا .

- وأين كان الآخرون .

تنهد الفريد وبذل مجهودا لكى يتذكر وقال :- دعنى أرى .. يخيل لي أن ذلك قد حدث من وقت بعيد .. نعم .. منذ سنوات .. ماذا حدث .. ؟ هب جورج لكي يتكلم في التليفون طبعا .. وبدأنا حينئذ نتكلم في شئون العائلة ، واعتذر ستيفن قائلاً أننا لابد بحاجة الى البقاء وحدنا للمناقشة وغادرنا . وقد فعل ذلك بلباقة وكياسة فائقتين .

- وأخوك دافيد ؟

عبس الفريد وأجاب :- دافيد ؟ .. هل كان معنا ؟ كلا . لم يكن معنا بالطبع . ولكنى لا أدري متى غادرنا بالتدقيق .

وتدخل بوارو فقال في رقة :- اذن فقد تناقشتما في شئون العائلة ؟

- نعم .

- معنى هذا أنك أردت أن تتناقش في شئون العائلة مع فرد واحد من أفراد أسرتك ؟

فقالت ليديا :- ماذا تعنى يا مستر بوارو ؟

تحول بوارو اليها على الفور وقال :- سيدتي .. قال زوجك أن مستر فار خرج بعد أن أدرك أنهم يريدون مناقشة مسائل عائلية

ولكنه مع ذلك لم يكن اجتماعا عائليا مادام مستر دافيد ومستر جورج قد خرجا هما الآخران .. وعليه فلم يكن الامر الا مجرد مناقشة بن فردين من أفراد الاسرة .

فقالت ليديا :- كان أخو زوجى ، هاري مقيما في الخارج لعدة سنوات ، وكان من الطبيعي أن يتناقش هو وزوجى في بعض المسائل .

- آه ! انني أفهم . لا بأس اذن .

القت اليه نظرة سريعة ثم نظرت الى زوجها . وقال جونسون:

- حسنا . لقد وضحت لنا هذه النقطة بما فيه الكفاية . هل لاحظت أحدا آخر وأنت تسرع الى غرفة أبيك ؟

- الحق أننى لا أدرى .. أظن ذلك ، فقد أتينا كلنا من نواح مختلفة ، ولكنى أخشى أننى لم الحظ .. كنت شديد الاضطراب، فتلك الصرخة المروعة ..

غير الكولونيل جونسون مجرى الحديث مسرعا فقال ، - شكرا لك يا مستر لي . لننتقل الى نقطة أخرى .. سمعت أن أباك كان يملك مجموعة من الماسات الثمينة .

بدت الدهشة على الفريد وقال :- نعم .. هذا صحيح .

– أين كان يحتفظ بها ؟

– في الخزانة التى بغرفته .

– هل يمكنك أن تصفها لي ؟

– كانت ماسات خام .. لم تقطع بعد .

– ولماذا كان يحتفظ بها أبوك ؟

– هى مجرد نزوة من نزواته ، فقد عاد بها معه من أفريقيا الجنوبية ولم يقدمها للقطع أبدا . كان يروق له الاحتفاظ بها في متناول يده .. هى نزوة من نزواته كما سبق أن قلت .

فقال رئيس البوليس :– اننى أفهم .

ولكن لهجته نمت على غير ذلك واستطرد يقول :– هل كانت تساوي كثيرا ؟

– كان أبى يقدر ثمنها بنحو عشرة آلاف جنيه .

– وهل كانت تساوي هذا المبلغ حقا ؟

– نعم .

– يبدو لي أن من الغريب أن يحتفظ بمثل هذه الاحجار في خزانة نومه .

فتدخلت ليديا قائلة :– أن حماى كان رجلا غريبا يا مستر

جونسون . كان ذوقه غريبا ، وكان يسره حقا أن يلمس هذه الاحجار بأصابعه .

وقال بوارو :- لعلها كانت تذكره بالماضي .

نظرت ليديا اليه نظرة امتنان وقالت :- نعم ، أظن ذلك .

وسألها رئيس البوليس :- أكان مؤمنا عليها ؟

فأجابت :- لا أظن ذلك .

انحنى جونسون الى الامام وأسرع يقول :- هل تعلم يا مستر لي أن هذه الماسات قد سرقت .

حدق الفريد فيه وقال :- ماذا ؟

- ألم يخبرك أبوك باختفائها ؟

- كلا .

- ألم تعلم أنه استدعى الرقيب صجدن وأنه أبلغه باختفائها ؟

- ليس لدى أية فكرة عن ذلك .

وتحول رئيس البوليس الى ليديا وسألها قائلاً ، - وأنت يا مسز لي ؟

هزت ليديا رأسها وقالت : لم أسمع شيئاً عن ذلك ؟

- وكنت تعتقدين أن الماسات موجودة بالخزانة ؟

- نعم .

وترددت لحظة ثم سألت :- هل قتل لهذا السبب ؟ .. للاستيلاء على هذه الماسات ؟

أجاب الكولونيل جونسون :- هذا ما نحاول أن نعرفه .

ثم أستطرد يقول :- ألديك فكرة يا مسز لي عمن يكون قد سرق هذه الماسات .

هزت رأسها وأجابت :- كلا .. اننى على يقين من أن الخدم قوم شرفاء .. مهما يكن من أمر فان من الصعب عليهم الاقتراب من الخزانة فان حماي كان في غرفته طوال الوقت .. لم يكن يغادرها أبدا .

- ومن الذى يقوم بتنظيفها ؟

- انه هوربوري . كان يقوم بترتيب الفراش وتنظيف الغرفة . وكانت الخادمة الثانية تصعد لتنظيف الموقد واشعال النار كل صباح ، وكان هوربوري يتكفل بالباقي .

فقال بوارو :- اذن فقد كان من السهل على هوربوري أن يقترب من الخزانة

– نعم .

هل تعتقدين أنه هو الذي سرق الماسات ؟

– هذا ممكن .. أعتقد .. كانت أمامه كل الفرص .. أوه .. لا أدري ماذا أظن حقا .

قال الكولونيل جونسون : لقد ذكر لنا زوجك أحداث الليلة ، فهل لك أن تذكري لنا ما تعرفين يا مسز لي .. ؟ متى رأيت حماك آخر مرة ؟

– اننا صعدنا جميعا الى غرفته .. بعد تناول العشاء .. كانت هذه آخر مرة رأيته فيها .

– ألم تريه بعد ذلك لتحيته تحية المساء ؟

– كلا .

وقال بوارو :– أليس من العادة أن تصعدوا لتحيته تحية المساء ؟

فأجابت ليديا في حدة :– كلا .

واستطرد رئيس البوليس :– اين كنت ساعة الجريمة ؟

– في غرفة الاستقبال .

– هل سمعت الجلبة والشجار ؟

– أظن أنني سمعت شيئاً ثقيلا يقع . والواقع أن غرفة حمى

تقع فوق غرفة الطعام ، وليس فوق غرفة الاستقبال ، ولهذا لم أسمع الشيء الكثير .

- ولكنك سمعت الصرخة ؟

ارتجفت ليديا وأجابت :- نعم ، سمعتها .. كان ذلك مروعا كما لو كان .. كما لو أن انسانا يتعذب في جهنم .. وقد عرفت على الفور أن شيئاً فظيعا قد حدث .. فأسرعت خارجة وتبعت زوجي وهاري وهما يصعدان السلم .

- من كان معك في غرفة الاستقبال عندئذ ؟

عبست ليديا وقالت :- الحق .. أنني لا أذكر .. كان دافيد في غرفة الموسيقى المجاورة يعزف مقطوعة لمندلسبهن ، وأظن أن هيلدا ذهبت لكي تنضم اليه .

- والسيدتان الاخريان ؟

أجابت ليديا في بطء :- ذهبت مجدالين لكي تتكلم في التليفون ، ولا أدرى إذا كانت قد عادت أم لا . ولا أعلم أين كانت بيلار .

وقال بوارو في رقة :- لعلك في الواقع كنت بمفردك في غرفة الاستقبال .

- نعم .. نعم .. أظن أننى كنت بمفردي حقا .

وقال الكولونيل جونسون :- وبخصوص الماسات . أظن أنه يجب أن نتأكد من اختفائها. هل تعرفين طريقة فتح خزانة حميك، مستر لي .. ؟ انني أرى أنها من الطراز القديم .

- ستجد الرقم وطريقة فتحها مدونين في دفتر صغير يضعه في جيب الروب الذي يلبسه .

- حسنا . سنذهب ونرى ذلك بعد لحظة ، فانني أظن أن من الاوفق أن نستجوب أفراد الاسرة الباقين أولا ، فلعل السيدات يفضلن الذهاب الى فراشهن .

نهضت ليديا وقالت :- تعال يا ألفريد .

ثم تحولت اليهم وقالت ، - هل تريدون أن ارسلهم اليكم

- اذا لم يزعجك ذلك يا مسز لي .. واحدا بعد الآخر .

- طبعا .

ومضت الى الباب والفريد في أثرها ، ولكنه ما كاد يبلغ الباب حتى تحول وعاد الى بوارو سريعا وقال :- تذكرت الآن .

أنت هركيول بوارو طبعاً ! .. لا أدري أين كان عقلي .. كان يجب أن أدرك ذلك على الفوز .

واستطرد يقول على عجل وفي صوت بطيء منفعل :- هى العناية الالهية التى ساقتك الينا .. يجب أن تكتشف الحقيقة يا مستر بوارو . لا تهتم بالنفقات. سأسددها لك كلها.. ولكن عليك أن تهتدى .. أن أبى المسكين قتل .. قتل بكل وحشية ... يجب أن تهتدى الى القاتل يا مستر بوارو .. لابد أن ننتقم لابي ..

فأجابه بوارو في هدوء :- أؤكد لك يا مستر لي أننى سوف أبذل جهدي لمساعدة الكولونيل جونسون والرقيب صجدن .

فقال الفريد لي :- بل أريد أن تعمل لحسابي .. لابد من أن أنتقم لابي .

واعترته رعشة شديدة ، فعادت ليديا اليه وتأبطت ذراعه قائلة :

- تعال يا ألفريد .. يجب أن نلحق بالاخرين .

والتقت عيناها بعينى بوارو . ولم تنم نظرتها عن شيء .

وقال بوارو في رقة :

- من كان يظن أن الرجل العجوز ...

فقاطعته صائحة :- كفي .. لا تقل هذا .

فتمتم بوارو :- ولكنك قلت ذلك انت نفسك يا سيدتي .

فهمست في رقة :- انى أعلم .. أننى أذكر .. لقد كان ذلك فظيعاً جدا .

ثم غادرت الغرفة مسرعة وزوجها خلفها .

- ٩ -

كان جورج لي مهيبا ، مهذبا . وقال وهو يهز رأسه :- هذا فظيع ! ... أعتقد أنها جريمة أقدم عليها رجل مخبول .

وسأله الكولونيل جونسون في أدب :- أهذا رأيك ؟

- نعم .. نعم حقا .. رجل مخبول .. ولا ريب انه هارب من احدى مستشفيات المجانين المجاورة .

وتدخل الرقيب صجدن فقال :- وكيف تمكن هذا المخبول من دخول البيت يا مستر لي ؟ .. وكيف غادره .

هز جورج رأسه وقال في صوت ثابت :- على البوليس أن يكتشف ذلك .

وقال صجدن :- اننا قمنا بتفتيش المكان على الفور .. كانت

كل النوافذ مغلقة ومحكمة الاغلاق بالمتاريس . وكان الباب الجانبي مغلقا . وكذلك الباب الامامي . وما كان في وسع أحد مغادرة البيت من باب الخدم من غير أن يراه الخدم أنفسهم .

فصاح جورج لي :- ولكن هذا سخف ! .. ولسوف تقول الآن أن أبي لم يقتل .

قال الرقيب صجدن :- بل قتل حقا ، وليس هناك أى شك في ذلك .

سعل الكولونيل جونسون وتولى الاستجواب قائلاً : أين كنت ساعة الجريمة بالذات يا مستر لي ؟

- كنت في غرفة الطعام ، فقد حدث هذا بعد أن فرغنا من تناول الطعام فورا .. كلا . أظن أننى كنت في هذه الغرفة .. كنت قد فرغت من التكلم في التليفون .

- هل كنت تتكلم في التليفون ؟

- نعم . فقد طلبت الاتصال باحد وكلاء دائرتى الانتخابية بواسترنجهام .. لبعض المسائل الهامة .

- وسمعت الصيحة بعد أن فرغت من حديثك التليفوني ؟

- نعم . كان ذلك مروعا .. فقد تجمد الدم في عروقي ..

وانتهت في حشرجة مكتومة .

وأخرج منديله وجفف العرق الذى يتفصد في جبينه وقال :

– كان ذلك مروعا !

– واسرعت عندئذ الى السلم ؟

– نعم .

– هل رأيت أخويك ، مستر الفريد ومستر هاري لي ؟!

– كلا . أظن أنهما صعدا قبلي .

– متى رأيت أباك للمرة الاخيرة ؟

– بعد ظهر اليوم . كنا جميعا في غرفته .

– الم تره بعد ذلك ؟

– كلا .

توقف رئيس البوليس لحظة ثم سأله :– هل كنت تعلم أن أباك كان يحتفظ في خزانته بمجموعة ثمينة من الماس الخام ؟

هز جورج لي رأسه وقال بجلال :– حماقة كبيرة .. طالما قلت له ذلك . من الجائز أن يكون قتل بسببها . أعنى .. أريد أن أقول ..

قاطعه الكولونيل جونسون قائلاً :

- هل تعلم أن هذه الماسات قد اختفت ؟

تدلي فك جورج لي وبرزت عيناه وقال :- اذن فهو قد قتل بسببها ؟

وقال رئيس البوليس في بطء :- كان قد اكتشف سرقتها وأبلغ البوليس بذلك قبل موته ببضع ساعات .

فقال جورج :- ولكن .. اننى لا أفهم .. اننى ..

وقال هركيول بوارو في رقة :- ولا نحن .

- ١٠ -

دخل هاري الغرفة في خيلاء ، ونظر بوارو اليه لحظة عابس الاسارير ، فقد خامره شعور بانه رأى هذا الرجل من قبل . لحظ ملامحه وقصبة الانف الكبيرة والرأس المتكبرة والفك المتعجرف ، وأدرك أنه على الرغم من أن هاري كان رجلا طويل القامة وأن أباه معتدل القامة فان هناك شبها كبيرا بينهما .

ولحظ شيئاً آخر كذلك ، فعلى الرغم من كل خيلائه كان هاري مضطربا .. كان يتظاهر بانه يهتز ولكنه كن واضحا تماما أن تظاهره هذا يخفى انفعاله . وقال :

- حسنا أيها السادة . ماذا أستطيع أن أقول لكم ؟

فقال الكولونيل جونسون : يسرنا أن تلقي أى ضوء على أحداث الليلة .

هز هاري رأسه وقال :- اننى لا أعرف شيئاً على الاطلاق .. كان هذا شيئاً مروعا غير متوقع .

فقال بوارو :- أظنك عدت من الخارج منذ وقت قريب يا سيدي .

تحول هاري اليه على الفور وقال :- نعم .. وصلت الى انجلترا منذ أسبوع .

- وهل تغيبت مدة طويلة ؟

رفع هاري ذقنه وضحك :- سوف تعرف الحقيقة على كل حال .. سيذكرها لك أحدهم في أقرب وقت .. أنا الابن العاق أيها السادة ! .. غادرت هذا البيت منذ عشرين سنة .

- قل لنا السبب ؟

وأجابه هاري على الفور وفي نفس صراحته :- هي القصة القديمة دائماً . فقد سئمت الفضلات التى يأكلها الخنازير .. أو التي لا تأكلها .. لا أذكر أيها على وجه الدقة .. وخطر لي أن

العجل السمين سيكون في انتظاري وقد جاءتني رسالة من أبي يقترح علي فيها أن أعود الى البيت فاطعت الأمر وأتيت . وهذا كل شيء .

وقال بوارو :- هل عدت لزيارة قصيرة .. أو طويلة ؟

فاجابه هاري :- بل عدت لاقامة .. دائمة .

- وهل كان ابوك راضياً ؟

- كان الرجل العجوز سعيداً جدا .

وضحك مرة أخرى ، وتجعدت أركان عينيه بطريقة ساحرة ، واستطرد :

- لقد تضايق الرجل العجوز من معاشرة الفريد له . ان الفريد ثقيل الظل ، وهو شاب طيب ، له صفات حميدة ولكنه ليس بالصاحب الممتع .. وقد كان أبي ابن حظ في زمانه ، وكان يتوق الى رفقتي .

- وأخوك ؟ .. وزوجته ؟ .. هل اغتبطا باقامتك هنا ؟

ألقى بوارو سؤاله وهو يرفع حاجبيه قليلاً . وأجاب هاري :- الفريد ؟ .. لقد امتقع لونه لفرط غضبه ، ولا أدري شيئاً من شعور ليديا . ولعلها كانت منزعجة بسبب الفريد .. ولكن لاشك

لدي في أنها ما كانت لتبقى على انزعاجها هذا . انني أميل الى ليديا ، فهى امرأة مرحة وان في مقدوري ان أتفاهم معها . أما الفريد فان الامر مختلف ..

وضحك من جديد وقال :- ان الفريد كان دائم الغيرة مني فقد كان الابن المطيع الذي لا يفارق البيت ولا يعصى لأبيه أمراً . ومع ذلك فهو لم ينل شيئاً غير الركل بالاقدام . صدقوني ايها السادة .. ان الفضيلة لا تفيد أبدا .

ونقل عينيه بين الحاضرين واستطرد :- ارجو أن لا تصدم صراحتي شعوركم أيها السادة ، وعلى كل حال فانتم تسعون وراء الحقيقة ، وسوف تنشرون غسيل العائلة القذر في وضح النهار في النهاية ، ومن الاوفق لي أن أعرض عليكم غسيلي من الآن ، اننى لا اشعر بأي حزن أو أى أسى لوفاة أبى ، ومهما يكن فانني لم أر الرجل العجوز منذ أن كنت فتى ولكنه أبى على الرغم من ذلك ، وقد قتل ، ولا أحب إلى من أن أنتقم لموته .

وضرب عظمة فكه بأصبعه وهو ينظر اليهم ثم استطرد يقول:- اننا لا ننسى الاساءة حتي ننتقم لها .. لاينسى افراد اسرتى بسهولة .. أعنى ، سوف نقيم الدنيا ونقعدها الى أن يلقى

القبض على قاتل أبى ويشنق .

فقال صجدن :- ثق اننا سوف نبذل قصارى جهدنا يا مستر لي .

فقال هاري :- اذ لم تفعل فسوف ابحث انا بنفسي عن القاتل .

وسأله رئيس البوليس في حدة :- الديك أية فكرة عن شخصية القاتل يا مستر لي .

هز هاري رأسه وأجاب في بطء :- كلا ليس لدى أي فكرة .. ولكن للاسف أننى كلما فكرت في الامر كلما أيقنت أن القاتل لا يمكن أن يكون قد أتى من الخارج .

فقال صجدن وقد أحنى رأسه :- آه !

وقال هاري لي :- واذا كان الامر كذلك ، وفرضنا أن القاتل فرد من أهل البيت ، فمن يكون هو بحق الشيطان ؟ .. اننى لا أستطيع الاشتباه في الخدم ، فان تريسليان يقيم بالبيت منذ كنت طفلا في سنتى الاولي من عمري .. هوربوري ؟ .. ان أمره غريب حقا ولكن تريسليان يقول انه خرج لمشاهدة السينما ؟ . فيم نفكر اذن ؟ .. اذا نحينا ستيفن جانبا لانني لا أرى سببا يدفعه الى

المجيء من أفريقيا الجنوبية لكي يقتل رجلا غريبا عنه ، فانه لا يبقي أمامنا الا افراد الاسرة أنفسهم ولا أستطيع أن أظن أن أحدا منا قد قتل الرجل العجوز .. الفريد ؟ إنه كان يعبد أباه .. جورج ؟ .. انه يفتقر الى الشجاعة لكي يقدم على ذلك .. دافيد؟ كان دافيد رجلا حالما طوال عمره ، ولو أنه رأى أصبعه يدمي لخر مغشيا عليه .. الزوجات ؟ .. ان المرأة لا يمكنها أن تذبح رجلا ذبح الشاة ، فمن الذي قتله اذن ؟ .. لا أدري .. وان هذا ليسبب لي كل الانزعاج .

سعل الكولونيل جونسون كعادته وقال :- متى رأيت أباك لآخر مرة ؟

- بعد تناول الشاي .. انه تشاجر مع الفريد ، بخصوص خادمك الذليل .. لقد أحس العجوز بالضيق والملل وحده .. كان يبحث دائماً عن المشاكل والمتاعب ومن رأيى إنه كتم أمر قدومي سرا عن الآخرين لهذا السبب . فقد أطربه أن يرى دهشة القوم حين ألماجئهم بمجيئي . ولهذا السبب تكلم عن رغبته في تغيير وصيته كذلك .

تحرك بوارو في رقة وقال:- اذن فقد تحدث أبوك عن وصيته؟

– نعم .. أمامنا جميعا ، وكان يراقبنا كالقط لكي يرى رد الفعل . كان يطلب من المحامى القدوم لزيارته بعد عيد الميلاد لتعديل الوصية .

وسأله بوارو :– وما هو التغيير الذي كان ينوي أن يقوم به ؟

اغتصب هاري لي ابتسامة وقال :– انه لم يذكر لنا عن ذلك شيئاً . انه ثعلب عجوز ! يخيل لي .. أو لعل من الاوفق أن أقول أننى كنت أرجو أن يكون ذلك التغيير في صالح خادمكم الذليل فانني أظن أنه قد حرمنى من الميراث في وصيته السابقة ، وأنه أراد أن يعيد الى نصيبي . وهى ضربة بغيضة للاخرين .. وبيلار كذلك ، فهو قد أحس بالميل اليها ، ويخيل لي أنه أراد أن يوصى لها بشيء هى الاخرى . الم تروا بيلار بعد ؟ . انها ابنة اختى الاسبانية . انها مخلوقة فاتنة .. جميلة بكل حرارة الجنوب وقسوته .. تمنيت لو أننى لم أكن خالها .

– تقول ان أباك أحس بالميل اليها ؟

هز هاري رأسه وقال :– انها عرفت كيف تأسر قلب الرجل العجوز .. كانت تجلس معه وقتا طويلا وأنى أراهن على أنها كانت تعرف ما نريد ولكنه مات الآن ، ولن يستطيع تغيير

وصيته لصالحها ولا لصالحي لسوء الحظ .

وقطب حاجبيه ، وتوقف لحظة ثم استطرد يقول بعد أن غير لهجته :

– ولكنى أشط عن الموضوع . سالتني متى رأيت أبى لآخر مرة . كان ذلك بعد تناول الشاي كما قلت لك .. بعد السادسة بقليل .. وكان الرجل العجوز معتدل المزاج عندئذ .. ولكنه كان متعبا قليلا .. وقد انصرفت وتركته وحده مع هوربوري .. ولم أره بعد ذلك .

– أين كنت ساعة موته ؟

– في غرفة الطعام مع أخى هاري . ولم يكن الوئام قائما بيننا .. كنا نتجادل حين سمعنا الجلبة فوقنا .. خيل الينا أن عشرة رجال يتعاركون فوق رؤوسنا . وحينئذ صرخ أبى العجوز المسكين . كانت صرختة أشبه بصرخة خنزير يذبح . وقد تسمر الفريد فوق مقعده وجلس وقد تدلي فكه واضطررت أن أهزه لكي أرده الى نفسه ، وأسرعنا الى السلم . وكان الباب مغلقا ، وكان لابد لنا أن نحطمه وقد اقتضى منا ذلك بعض الوقت ولا أدري بحق الشيطان كيف أوصد الباب من الداخل ، فلم يكن بالغرفة أحد

غيره ، وما كان في استطاعة أحد أن يهرب من النافذة
قال الرقيب صجدن :- لقد أوصد الباب من الخارج
اتسعت عنا هاري وقال :- ماذا ؟ .. ولكن أقسم لك أن المفتاح كان بالداخل .
فتمتم بوارو :- هل لاحظت ذلك ؟
فأجب هاري في حدة :- نعم . فلا شيء يفوتني .. هذه عادة من عاداتي .
ونقل بصره بين الآخرين في شيء من الحدة وقال :- هل هناك شيء آخر تريدون معرفته أيها السادة
هز جونسون رأسه وقال:- ليس في الوقت الحاضر.. أشكرك يا مستر لي .. هلا تكرمت وارسلت الينا الشخص التالي .
- بكل تأكيد يا سيدي .
ومضى الى الباب وخرج دون أن ينظر خلفه
ونظر الرجال الثلاثة بعضهم الى بعض ، وقال الكولونيل جونسون :
- ما رأيك يا صجدن ؟
هز الرقيب صجدن رأسه في شك وقال

- إنه خائف من شيء .. وانني لاتساءل ما هو هذا الشيء .

- ١١ -

توقفت مجدالين على عتبة المكتب الذى اجتمع به رجال البوليس وهركيول بوارو ، وأخذت تمر بيدها على شعرها البلاتيني الناعم البراق وقد أظهر ثوبها الاخضر بلون العشب مفاتنها الرشيقة . كانت تبدو شابة صغيرة السن جدا ومذعورة بعض الشيء .

حدجها الرجال الثلاثة لحظة وبدا في عيني جونسون اعجاب فجائي . ولم يبد على صجدن أى انفعال فيما عدا ضجر رجل يريد أن يفرغ من عمله . وكانت عينا بوارو تنمان عن اعجاب شديد وكما لاحظت هي ذلك ، ولكن الاعجاب لم يكن لجمالها وانما كان للطريقة التى تستغلها لاحداث ما تريده من تأثير ، ولم تكن تدري أنه كان يحدث نفسه قائلاً : «مانيكان جميل ، ولكن لها عينان قاسيتان لا ترحمان» .

وكان الكولونيل جونسون يقول : «انها امرأة جميلة حقا .

لسوف يلقي جورج لي المتاعب معها اذا لم يحسن مراقبتها ، فانها تعرف كيف تستميل الرجال»

وكان الرقيب صجدن يقول :- « امرأة فارغة العقل .. أرجو أن نفرغ من استجوابها سريعا .. »

- هل لك أن تجلسي يا مسز لي ؟ .. انت طبعا ..

- مسز جورج لي .

وقبلت المقعد الذي قدم لها وهي تشكرهم بابتسامة كبيرة حارة كما لو كانت تقول : « انتم وان كنتم من رجال البوليس فلستم مخيفين على الاطلاق . »

وتحولت الى بوارو وشملته بابتسامتها . والاجانب قوم حساسون دائما فيما يتعلق بالنساء .. أما بخصوص الرقيب صجدن فهي لم تكترث به .

وتمتمت تقول وهي تلوى يديها في حركة رشيقة تنطق باليأس:- يا للبشاعة ! . انني أشعر بخوف شديد

وقال الكولونيل جونسون في صوت رقيق :- هدئي من روعك يا مسز لي .. لقد كانت صدمة شديدة لك . ولكن انتهى كل شيء الآن ونريد أن نعرف منك ما حدث الليلة .

فصاحت :- ولكنى لا أعرف شيئاً .. لا أعرف شيئاً حقا .

ضاقت عينا رئيس البوليس لحظة وقال في رقة :- كلا .. كلا بالطبع .

- أننا أتينا أمس فقط . حملني جورج على المجىء معه لقضاء عيد الميلاد وليتنى ما أتيت .. انني واثقة أنني لن أنسى ما حدث أبدا .

- أنه شيء مزعج حقا .. مزعج جدا ..

- لم أكن أعرف عائلة جورج معرفة وثيقة كما تعلم .. ولم أر مستر لي غير مرة أو مرتين .. مرة عند زواجنا ومرة أخرى بعد ذلك . وقد رأيت الفريد وليديا مرارا طبعا ولكنهما غريبان بالنسبة لي حقا .

ويدا في عينيها ذعر صبياني من جديد . ومن جديد بدأ إعجاب في عيني بوارو وقال يحدث نفسه مرة أخرى ان هذه المرأة ممثلة بارعة

وقال الكولونيل جونسون : نعم ، نعم ، اذكري لنا متى رأيت حماك مستر لي آخر مرة ؟

- أوه.. كان هذا.. كان هذا بعد ظهر اليوم.. كان ذلك فظيعا.

فاسرع جونسون يقول :- فظيعا ؟ .. لماذا ؟ أكانوا يغلون من الغضب ؟..

- كلهم . لست أعنى جورج .. لم يقل له أبوه شيئاً . ولكن كل الآخرين ..

- ماذا حدث بالتدقيق ؟

- عندما صعدنا الى غرفته .. كان قد طلب منا أن نصعد اليه جميعا .. وكان يتكلم في التليفون .. مع محاميه بخصوص وصيته .. وعندئذ قال لالفريد انه متجهم الاسارير بسبب قدوم هاري للاقامة في البيت. وكان الفريد منزعجا لهذا السبب، فان هاري كان قد أساء التصرف . وبعد ذلك ذكر مستر لي وزوجته بسوء .. قال انها ماتت منذ وقت طويل .. وأنها كانت تفكر بعقل الاوزة . وهب دافيد واقفا كما لو يريد أن يقتله .. أوه ! ..

وأمسكت لحظة وبدا الذعر في عينيها وقالت :- أوه ! .. لم اقصد أن أقول هذا . لم أقصد أن اقوله أبدا .

قال الكولونيل جونسون في هدوء :- كانت مجرد طريقة للحديث .. انني افهم ذلك .

- وقد هدأت هيلدا ، زوجته ، من روعه و .. حسنا .. اظن أن ذلك كل شيء . وقال مستر لي بعد ذلك انه لا يريد أن يرى أحدا منا في تلك الليلة .. وانصرفنا على قوله هذا .

- هل كانت هذه آخر مرة رأيته فيها ؟

- نعم .. حتى .. حتى ..

وعرتها رعشة ، فقال الكولونيل جونسون :- نعم .. نعم .. وأين كنت في ساعة الجريمة ؟

- أوه . دعني أرى .. أظن أنني كنت في غرفة الاستقبال .

- ألست واثقة ؟

رمشت مجدالين بعينيها وقالت :- طبعا .. ما اغباني ! .. انني ذهبت لكي أتكلم في التليفون .. ان الاضطراب انساني كل شيء .

- تقولين انك كنت تتكلمين في التليفون؟ .. من هذه الغرفة؟

- نعم .. فهو الجهاز الوحيد الموجود فيما عدا التليفون الآخر الموجود في غرفة حمى .

وقال الرقيب صجدن :- وهل كان بالغرفة أحد غيرك ؟

اتسعت عيناها وأجابت :- أوه ، كلا .. كنت بمفردي .

- هل بقيت هنا مدة طويلة ؟

- حسنا .. قضيت مدة طويلة .. فان الاتصال التليفوني يتم ليلا بعد وقت طويل .

- أكان اتصالا بعيدا ؟

- نعم .. بواسترنجهام .

- أوه .. وبعد ذلك .

- بعد ذلك سمعت تلك الصرخة المروعة .. واندفع الجميع صاعدين .. ثم أعقب ذلك تحطيم الباب .. اوه .. كان الامر أشبه بكابوس ! .. لسوف أذكر ذلك دائماً .

فقال الكولونيل جونسون في رقة :- كلا . كلا ..

ثم أستطرد يقول :- هل كنت تعلمين أن حماك كان يحتفظ في خزانته بكمية كبيرة من الماس الخام ؟

- كلا . هل صحيح ما تقول ؟

وأردفت تقول وهي ترتعش حقا : أهو ماس حقيقي !

فأجابها هرقل بوارو :- ماس تبلغ قيمته نحو عشرة آلاف جنيه .

اوه ...

كانت صيحة رقيقة خافتة تجمعت فيها خلاصة الجشع النسائي.

وقال الكولونيل جونسون :

– حسنا .. أظن أن هذا كل شيء في الوقت الحاضر لا نريد أن نزعجك اكثر من ذلك يا مسز لي .

– اوه .. شكرا لك .

ونهضت واقفة ونقلت عينيها بينهم وهى تبتسم .. ثم مضت الى الخارج رافعة الرأس .. وشيعها الكولونيل جونسون حتى الباب ، وهناك قال لها :

– أرجو أن تطلبي من مستر دافيد لي الحضور .

وأغلق الباب خلفها ثم عاد الى المكتب وقال :– حسنا .. ما رأيكما ؟ .. اننا نتقدم الآن .. أرجو أن تلاحظ هذه النقطة .. كان جورج لي يتكلم في التليفون حين سمع صرخة أبيه . وكانت زوجته تتكلم هى الاخرى حين سمعت الصرخة .. وهذا لا يطابق الحقيقة .. لا يطابقها أبداً .

وأردف يقول :– ما رأيك يا صجدن ؟

قال الرقيب في بطء :– لا أريد أن أسيء الى هذه المرأة ولكنني أقول انه على الرغم من أنها من ذلك النوع من النساء اللاتي يقدمن على كل شيء في سبيل الحصول على ما يرجون من الرجال الا أنها ليست من النوع الذي يقطع الرقاب .. ليس

هذا أسلوبها .

فتمتم بوارو:- آه.. هذا شيء لا يمكن التأكد منه يا عزيزي

تحول رئيس البوليس اليه وقال :- وما رأيك أنت يا بوارو ؟

انحنى بوارو الى الامام وعدل وضع ورقة النشاف التى أمامه . ونفض باصبعه ذرة من الغبار فوق الشمعدان وأجاب :

- أستطيع ان أقول أن أخلاق القتيل سيميون لي بدأت تتضح لنا .. ان تفسير القضية كلها يكمن في هذه الناحية .. في أخلاق القتيل .

نظر الرقيب صجدن اليه في دهشة وقال :- اننى لا أفهم قصدك يا مستر بوارو .. ما دخل أخلاق مستر لي في مصرعه .

فقال بوارو في فتور :- ان لأخلاق القتيل دخلا في مصرعه دائماً ، فان صراحة ديدمونة وعدم ارتيابها كانا السبب المباشر لمصرعه . فلو أنها كانت أكثر تشككا لادركت مؤامرات ياجو ولعملت على أحباطها في الوقت المناسب .. وقذارة مارا تسببت في موته وهو يغتسل.. ولولا حدة مركوتيو لما مات بحد السيف .

شد الكولونيل جونسون شاربه وقال :- ماذا تريد أن تقول بالذات يا بوارو ؟

- أريد أن أقول ان سيميون لي كان رجلا ذا طابع خاص وإنه استحث بعض القوى وإن هذه القوى تسببت في موته .

- لا أظنك تعتقد أن لهذه الماسات دخل في موته اذن ؟

ابتسم بوارو ازاء الحيرة الصارمة التى ارتسمت على وجه جونسون . وقال :

- يا صديقي العزيز .. ان اخلاق العجوز سيميون لي هى التى دفعته الى الاحتفاظ ببعض الماسات الخام التي يقدر ثمنها بنحو عشرة آلاف جنيه في خزانته .. ليس هذا بعمل يقوم عليه أي رجل .

هز الرقيب صجدن رأسه بطريقة الرجل الذي يفهم ما يريد محدثه أن ينتهى اليه وقال :

- هذا صحيح يا مستر بوارو .. لقد كان مستر لي رجلا غريبا .. لقد احتفظ بهذه الماسات في خزانته بحيث يستطيع أن يلمسها كلما أراد أن يتذكر الايام الخوالي ، ولهذا السبب احتفظ بها على حالتها الاولى ولم يفكر في قطعها .

هز بوارو رأسه في قوة وقال :- تماما .. تماما .. أراك على

جانب كبير من الفطنة أيها الرقيب .

يدأ الرقيب متشككا شيئاً ما من هذه المجاملة التي تلقاها ولكن جونسون تدخل قائلاً :-

- هناك شيء آخر يا بوارو لا أدري اذا كنت قد لاحظت ..

فقاطعه بوارو قالاً :- أي صديقي العزيز .. انني اعرف ماذا تعني ؟ ان مسز جورج لي كشفت لنا الكثير دون أن تدري . انها قدمت لنا صورة صحيحة من الاجتماع العائلي الاخير ، وقالت لنا .. أوه .. في شيء كبير من السذاجة ان الفريد كان محنقا ضد أبيه .. وان دافيد كان كمن يريد أن يقتله .. وأعتقد أن هاتين الملاحظتين صحيحتان . ويمكننا بناء عليهما أن نعيد بناء ما حدث في غرفة العجوز سيميون لي . لماذا جمع عائلته في غرفته .. ولماذا جاءوا في الوقت المناسب لسماع حديثه التليفوني مع محاميه ؟ : لم تكن هذه غلطة فقد أراد أن يسمعه الجميع . كان الرجل العجوز المسكين يجلس في مقعده ولا يستطيع الا أن يذكر أيام شبابه . ولهذا ابتدع طريقة مثيرة لكي يروح عن نفسه . وكان يروق له أن يري طمع الجنس البشري وجشعه .. وكذلك

انفعالاته وحدته .. ولكن من كل هذا نخرج باستنتاج واحد .. انه لم يشأ أن يستثنى احدا من لعبته هذه . كان لابد له أن يستثير مستر جورج لي كما استثار الاخرين ، وقد كانت زوجته حريصة على تكتم هذه الناحية ، ولعله أطلق عليها بعض سهامه هى الاخرى . لسوف نتقصى هذه الناحية من الآخرين . لسوف نعرف ماذا قال سيميون لي لجورج لي وزوجته..

وامسك ، فقد فتح الباب ودخل دافيد لي .

- ١٢ -

كان دافيد هادئاً بشكل غريب .. وقد أقبل عليهم في هدوء يكاد يكون مصطنعاً وأخذ مقعدا وجلس فوقه وهو ينظر الى الكولونيل جونسون نظرة خطيرة مستفهمة ..

لمس النور الكهربائى الخصلة الشقراء التى تحيط بجبينه ووقع الضوء على عظمتى خديه الحساستين . كان يبدو صغير السن بشكل عجيب بحيث لا يخطر لاحد انه ابن ذلك الرجل المجعد الراقد فوق .

وقال :- حسنا أيها السادة . ماذا أستطيع أن أذكر لكم .

فقال الكولونيل جونسون :- سمعت يا مستر لي أنه كان هناك اجتماع عائلي في غرفة أبيك بعد ظهر اليوم .

- هذا صحيح . ولكن لا غرابة في ذلك .. أعنى أنه لم يكن اجتماعا عائلياً أو أى شيء من هذا القبيل .

- ما الذي حدث اذن ؟

اجاب دافيد في هدوء :- كان أبى شرس الطبع. كان متقدما في السن وعاجزا عن الحركة ، ولابد أن نلتمس له العذر، ويخيل لي أنه جمعنا في غرفته لكي يصب غضبه علينا .

- هل تستطيع أن تذكر كلماته ؟

أجاب دافيد في هدوء :- كان امرا سخيفا حقا ، فقد قال لنا أنه لا نفع فينا .. كلنا جميعا .. وأنه ليس في العائلة رجل واحد جدير بهذه الصفة . وقال إن بيلار ، وهى ابنة اختى الاسبانية تعادل وحدها اثنين منا . وقال :

وامسك فاستحثه بوارو قائلاً :- هل لك أن تذكر نفس الكلمات التى نطق بها اذا سمحت يا مستر لي .

فقال دافيد على مضض :- تكلم أبى بصوت مبحوح وقال أنه يأمل أن يكون له في شتى بقاع العالم أبناء أفضل منا ..

حتى ولو كان هؤلاء الابناء غير شرعيين .

وارتسم على ملامحه الحساسة تقززه للكلمات التي يرددها.
ونظر الرقيب صجدن اليه في اهتمام مباغت وانحنى الى الامام وقال له :

- هل قال ابوك شيئاً خاصاً لاخيك مستر جورج لي ؟

- لجورج ؟ .. لا اذكر .. اوه ، بلى .. اعتقد أنه قال له إنه سيضطر الى تخفيض راتبه في المستقبل لمواجهة اعباء البيت الجديدة . وقد انزعج جورج كل الانزعاج واضطرم وجهه وقال انه لا يستطيع أن يخفض نفقات معيشته فاجاب أبى في برود تام بانه لابد له من ذلك ، وقال ان من الافضل أن تساعده زوجته في الاقتصاد . وكانت هذه سخرية منه طبعا فان المعروف عن جورج أنه بخيل لا ينفق إلا بحساب شديد ، وأظن أن مجدالين تنفق الكثير فانها شديدة التبذير .

فقال بوارو :- لا ريب اذن انها قد انزعجت هى الاخرى .

- أجل ، خاصة وأن أبي نطق ببضع كلمات سخيفة .. فقد قال انها كانت تعيش مع ضابط بحري .. وكان يقصد أباها بالطبع، ولكن كانت لهجته تنم عن الشك، وقد اضطرم وجهها،

ولست الومها على لك .

وسأله بوارو :- هل تحدث ابوك عن زوجته .. امك ؟

صعد الدم الى وجنتى دافيد وتقبضت يداه على المائدة التى امامه وهما ترتعشان ، وقال في صوت خافت مختنق :

- نعم .. وقد سبها .

فسأله الكولونيل جونسون :- ماذا قال ؟

فاجاب دافيد في اقتضاب :- لا أدري .. بعض التلميحات المزرية .

وقال بوارو في رقة :- هل ماتت أمك من وقت طويل ؟

فأجاب دافيد :- ماتت وانا لا ازال طفلا .

- لعلها لم تكن سعيدة جدا هنا ؟

ضحك دافيد ضحكة ساخرة وقال :- ومن يستطيع ان يكون سعيداً مع رجل مثل أبى ؟ .. أن أمي كانت قديسة ، وقد ماتت كمدا .

- لا ريب أن أباك قد احزنه موتها

اجاب دافيد في صوت جاف :- لا أدري ، فقد غادرت البيت عقب وفاتها .

وامسك هنيهة ثم قال :- لعلك لا تعرف انني قدمت لقضاء عيد الميلاد فحسب . لم أكن قد رأيت أبى منذ أكثر من عشرين عاما . ولهذا لا أستطيع أن أذكر لك الكثير عن عاداته او اعدائه أو عن أى شىء يدور في هذا البيت .

وسأله الكولونيل جونسون : هل كنت تعرف أن أباك يحتفظ في خزانة مخدعه بمجموعة من الماسات الثمينة .

فقال دافيد في غير اكتراث :- حقا ؟ .. يخيل لي أن هذا عمل غير حكيم .

وقال جونسون :- هل لك أن تذكر لنا في إيجاز حركاتك في هذه الليلة ؟

- حركات ؟ .. اوه .. انني غادرت غرفة الطعام مسرعا ، فقد شعرت بالضجر وأنا جالس بعد أن فرغت من تناول شراب البورتو ، ثم انني رأيت هاري والفريد يستفز كل منهما الآخر .. وأنا أبغض العراك ، فخرجت في هدوء ومضيت الى قاعة الموسيقى بجوار غرفة الاستقبال .

وأخذت اعزف بعض الوقت حتى .. حتى .. حدث ذلك الشيء المروع .

- ماذا سمعت بالضبط ؟

- أوه صوت مفروشات مقلوبة في مكان بعيد من الدور الاول... ثم صرخة مروعة .

وتقبضت يداه مرة أخرى وأردف :- أشبه بصرخة انسان يتعذب في جهنم .. يا إلهي . كان ذلك مروعا .

وسأله الكولونل جونسون :- هل كنت وحدك في غرفة الموسيقي ؟

- ايه ؟ كلا . كانت زوجتى هيلدا معى .. جاءت من غرفة الاستقبال وصعدنا الى أعلى مع الآخرين .

واردف يقول مسرعا وفي انفعال :- اظنك لا تتوقع أن أصف لك ما رأيت هناك .

فأجابه جونسون : كلا ، ليس ذلك ضروريا .. شكرا لك يا مستر دافيد . ليس هناك أى شيء آخر. أظنك لا يمكن أن تتصور من الذى يطيب له أن يقتل أباك .

قال دافيد لي في غير تفكير :- اوه .. اظن أن هناك أناسا كثيرين يتمنون ذلك .. ولكنى لا أعرف أحداً بالتحديد .

وخرج مسرعا وهو يصفق الباب خلفه .

- ١٣ -

لم يكد الكولونيل جونسون يلتقط نفسه حتى فتح الباب من جديد ودخلت هيلدا لي .

نظر بوارو اليها في اهتمام وقال لنفسه ان زوجات أبناء لي مخلوقات جديرات بالاهتمام .. فذكاء ورشاقة ليديا واناقة مجدالين وبهرجتها التى تشبه بهرجة العاهرات ومقدرة هيلدا وصلابتها ..

ورأى أنها أصغر بكثير مما تنم عنه تصفيفة شعرها وثيابها البعيدة عن المودة والتى تشبه ثياب الفلاحات ، وشعرها الاسمر لا تشوبه شعرة واحدة بيضاء وعيناها اللتان بلون البندق تتلالان في وجهها المكتنز المستدير كمنارتين من الرقة . كانت امرأة ظريفة .

وتكلم الكولونيل جونسون فقال في رقة :- هى صدمة مروعة

لكم جميعا .. وقد فهمت من زوجك أن هذه أول مرة تأتين فيها الى قصر جورستون .

وأذ أحنت رأسها استطرد يقول : هل التقيت بحميك قبل اليوم يا مسز لي ؟

وأجابت هيلدا في صوت عذب :- كلا . فقد تزوجت دافيد بعد مغادرته البيت بقليل وأبى أن تكون له صلة باسرته بعد ذلك ، ولم أقابل أحدا من افراد الاسرة قبل قدومي إلى البيت .

- كيف تمت هذه الزيارة اذن ؟

- كتب حموى الى دافيد . أشار الى شيخوخته وإلى رغبته في أن يكون كل أولاده حوله في عيد الميلاد .

- ولبى زوجك نداءه ؟

أجابت هيلدا :- أخشى أن أقول اننى أنا التى دفعته الى القبول .. اننى .. اننى اسأت فهم الموقف .

تدخل بوارو وقال :- هل لك أن تكوني اكثر وضوحا يا سيدتي ؟ .. اظن ..

تحولت هيلدا اليه على الفور وقالت :- لم أكن قد رأيت حماي قبل ذلك اليوم ، ولم أكن ادري أى شيء عن هدفه الحقيقي

.. خيل لي أنه متقدم في السن وأنه يشكو من الوحدة وأنه يريد أن يتصالح مع أولاده حقا .

- وما هو هدفه الحقيقي في رأيك يا سيدتي ؟

ترددت لحظة ثم قالت في بطء :- ليس عندي أى شك.. ليس عندي أى شك أبداً في أن حماي لم يكن يهدف إلى السلام، وإنما إلى بذر الشقاق .

- باية صورة ؟

اجابت هيلدا في صوت بطيء :- كان يطيب له استفزاز اسوأ الغرائز البشرية .. كان .. لا أدري كيف أعبر عما أريد أن أقول .. كان يسيطر عليه نوع من السادية .. كان يطربه أن يزرع الشقاق والخصام بين افراد الاسرة .

قال جونسون في حدة :- وهل أفلح ؟

فأجابت هيلدا لي :- أوه ، نعم .. أفلح .

وقال بوارو : قيل لنا أن مشادة وقعت بعد ظهر اليوم يا سيدتي .. وقيل لي انها كانت مشادة شديدة العنف .

وإذ أحنت رأسها استطرد يقول :- هل لك أن تروى لنا ما حدث .. بكل ما تقدرين من أمانة .

فكرت لحظة ثم قالت : عندما وصلنا الى غرفة حمى كان يتكلم في التليفون ..

- مع محاميه ؟ .. أليس كذلك ؟

- نعم .. كان يقترح على مستر .. شارلتون ، على ما أظن . لا أذكر الاسم جيدا ، أن يأتي لانه ينوي أن يحرر وصية جديدة . قائلاً ان الوصية القديمة قد اصبحت الآن غير ذات موضوع .

فقال بوارو :- فكري جيدا يا سيدتي . هل تعتقدين أن حماك أراد أن تسمعوا جميعا حديثه عن الوصية الجديدة أم أنكم قد سمعتم هذا الحديث صدفة واتفاقا .

اجابت هيلدا لي :- بل أنني واثقة أنه قصد أن نسمع .

- وكان يهدف الى اثارة الريبة والشكوك في أنفسكم ؟

- نعم .

- في حين أنه لم يكن ينوي أن يغير وصيته في الواقع .

اعترضت هيلدا قائلة :- بل اظن أنه كان صادقاً في قوله هذا .. لا ريب أنه كان ينوى أن يحرر وصية جديدة .. ولكم اطربه أن يذكر ذلك امامنا .

قال بوارو :- سيدتي ، ليست لي أية سلطة رسمية واسئلتي

كما تفهمين قد لا تكون كتلك التي يلقيها ضباط البوليس الانجليزي ، ولكني أشعر برغبة كبيرة في أن أعرف تفاصيل هذه الوصية الجديدة في رأيك . لست اسألك عما تعرفين ولكني أسألك رأيك ، فان النساء والحمد لله لا يتمهلن أبداً في تكوين رأيهن .

ابتسمت هيلدا لي ابتسامة خفيفة وأجابت : لا ضير عندي في أن اذكر لك رأيى فان اخت زوجي ، جنيفر ، كانت قد تزوجت برجل اسباني يدعى جيان استرافادوس ، وقد اقبلت ابنتها بيلار الى هذا البيت أخيراً هى الاخرى ، وهى فتاة جميلة جدا ، وهى بالطبع الحفيدة الوحيدة في الاسرة، وقد أحبها مستر لي العجوز، واحس نحوها بميل كبير ومن رأيى أنه اراد أن يوصى لها بمبلغ كبير . ومما لاشك فيه أنه لم يترك لها غير مبلغ تافه في وصيته الاولى أو لعله لم يترك لها شيئاً على الاطلاق .

- هل كنت تعرفين أخت زوجك ؟

- كلا . لم التق بها أبداً . وقد مات زوجها الاسباني في ظروف مفجعة بعد زواجهما بقليل. وماتت جنيفر نفسها منذ سنة، وبقيت بيلار يتيمة ولهذا أرسل اليها مستر لي لكي تأتى للاقامة

معه في انجلترا .

- وهل رحب افراد الاسرة الاخرون بمقدمها ؟

أجابت هيلدا في صوت هادىء :- أعتقد أنهم جميعا يحبونها ، فانه لمما يسر أن نرى الشباب يعيش بين ظهرانينا .

- وهى ؟ .. هل تطيب لها الاقامة هنا ؟

- لا أدري .. لا ريب أن الجو يبدو لها باردا وغريبا خاصة وانها تربت في الجنوب .. اعنى في اسبانيا .

وقال جونسون :- إن الحياة ليست جميلة في اسبانيا في الوقت الحاضر . الآن يا مسز لي ، هلا افضيت الينا بذلك الحديث الذي دار بعد الظهر ؟

وقال بوارو :- التمس معذرتك يا سيدتي ، فانا المتسبب في هذا الانحراف .

وقالت هيلدا لي :- عندما فرغ حموي من حديثه في التليفون ردد بصره فينا وضحك وقال لنا اننا نبدو جميعا متجهمين ثم قال انه متعب جدا وانه يريد أن يأوى الى فراشه في وقت مبكر وطلب منا أن لا يأتى أحد لرؤيته بعد العشاء . قال إنه يريد أن يكون نشيطا في يوم عيد الميلاد .. أو شيئاً في هذا

المعنى . ثم ..

وزوت ما بين حاجبيها وهى تبذل مجهودا كبيرا لكي تتذكر ثم استطردت :

- وأظن أنه قال شيئاً بخصوص ضرورة أن تكون الاسرة كبيرة لكي تستمتع بعيد الميلاد ثم انتقل إلى الحديث عن المال فقال ان البيت سيتطلب منه نفقات كبيرة في المستقبل ، وقال لجورج ومجدالين ان عليهما أن يقتصدا في معيشتهما وقال لها أنه يجب عليها أن تحيك ثيابها بنفسها ، وهذه فكرة عقيمة ولا يدهشني أن يكون هذا القول قد أساءها ، وقال ان زوجته نفسها كانت بارعة في اعمال الابرة .

وسألها بوارو في رقة :- اهذا كل ما ذكره عن زوجته .

أحمر وجه هيلدا وأجابت :- أبدى ملاحظة عابرة بخصوص عقلها . وكان زوجي شديد الاخلاص لامه فكدرته هذه الملاحظة كل الكدر .. وعندئذ بدأ مستر لي يصرخ فينا جميعا ويستفزنا . وانني أدرك شعوره بالطبع .

فقاطعها بوارو وقال في رقة :- وما هو هذا الشعور ؟

ادارت عينيها الهادئتين نحوه وقالت :- لم يكن هناك شك في

أنه راح فريسة للقنوط والاكتئاب .. فانه لم ير احفادا حواليه .. اعني صبية يرثون اسمه من بعده ، واعتقد أن هذه الفكرة قد ارقته كثيرا . ولم يستطع أن يتمالك نفسه اخيرا فصب جام غضبه على اولاده ونعتهم بأنهم أشبه بالنساء ، وقد رثيت له لانني أدركت مدى الجزع الذي اصاب كبرياءه .

- وبعد ذلك ؟

فاجابت هيلدا ببطء :- بعد ذلك انصرفنا جميعا .

- وهل كانت هذه آخر مرة رأيته فيها ؟

احنت رأسها بالايجاب وقال بوارو :- أين كنت عندما وقعت الجريمة ؟

- كنت مع زوجي في غرفة الموسيقى . كان يعزف لي .

-وبعدئذ ؟

- سمعنا المناضد والمقاعد تقلب والصيني يتحطم .. كانت معركة رهيبة .. ثم تلك الصرخة الفظيعة التي اطلقها وهم يذبحونه .

قال بوارو :- هل كانت صرخة فظيعة الى هذا الحد ؟ .. هل كانت ..

وأمسك قبل أن يستطرد :- اشبه بصيحة رجل يتعذب في جهنم ؟

فقالت هيلدا لي :- بل كانت أسوأ من ذلك .

- ماذا تعنين يا سيدتي ؟

- كانت أشبه بصيحة رجل لا روح له .. كانت صيحة غير بشرية كصيحة وحش ..

قال بوارو في لهجة خطيرة :- اهذا رايك يا سيدتي ؟ رفعت يدها في حركة يائسة وأطرقت بعينيها الى الارض .

- ١٤ -

أقبلت بيلار الى الغرفة في حذر كالحيوان الذي يخشى الوقوع في فخ ، وانتقلت عيناها في سرعة من جانب إلى آخر.

نهض الكولونيل جونسون وقدم لها مقعدا ثم سألها قائلاً :- أظن أنك تفهمين الانجليزية يا مس استرافادوس ؟

اتسعت عينا بيلار واجابت :- طبعا ، فقد كانت أمى انجليزية .. اننى انجليزية صميمة حقا .

ارتسمت على شفتى الكولونيل جونسون ابتسامة خفيفة في

حين استقرت عيناه على شعر الفتاة الاسود اللامع وعلى العينين المتكبرتين السوداوين والشفتين الممتلئتين الحمراوين .. انجليزية صميمة .. صفة لا تتناسب مع بيلار استرافادوس اطلاقا .

وقال :- ارسل اليك جدك ، مستر لي ، يستدعيك من اسبانيا ، وقد اتيت من ايام قلائل ، فهل هذا صحيح ؟

هزت بيلار رأسها وقالت :- هو ذلك وقعت لي بعض المخاطرات أثناء مغادرتي اسبانيا ، فقد وقعت قنبلة من الجو وقتل السائق ، وطارت رأسه ولم أر مكانها غير الدماء ، ولم أكن أعرف قيادة السيارات فاضطررت الى السير مسافة طويلة .. وأنا لا أحب السير ولم يسبق لي ان مشيت كل هذه المسافة وقد تقرحت قدماي ..

ابتسم الكولونيل جونسون وقال : ولكنك آتيت على كل حال .. هل حدثتك أمك عن جدك كثيرا ؟

هزت بيلار رأسها في ابتهاج وقالت :- أوه ، نعم .. قالت انه شيطان مارد .

ابتسم هرقل بوارو وقال :- وماذا كان رأيك فيه حين اتيت يا آنسة .

فأجابت بيلار:- انه كان مسنا جدا بالطبع . كان دائم الجلوس في مقعده، وكان وجهه مجعدا . ولكننى مع ذلك كنت اميل اليه، واظن انه كان شاباً جميلا .. بل لابد أنه كان جميلا .

وتحولت بيلار إلى الرقيب صجذن وقالت :- مثلك انت .

وبدأ في عينيها سرور ساذج وهى تنظر الى وجهه الوسيم الذى احمر لمجاملة الفتاة له ، وكتم الكولونيل جونسون ضحكة ، فقد كانت تلك مناسبة من المناسبات النادرة التى رأى فيها الرقيب وقد تملكه مثل هذا الارتباك ، واستطردت بيلار تقول نادمة :

- ولكنه لم يكن طويل القامة مثلك طبعا .

تنهد هرقل بوارو وقال :- هل تحبين طوال القامة يا آنسة ؟

فأجابت في حماس :- أوه ، نعم . احب في الرجل أن يكون طويل القامة عريض الكتفين وأن يكون قويا .. قويا جدا .

قال الكولونيل جونسون في حدة :- هل رأيت جدك كثيرا بعد أن حضرت هنا ؟

فأجابته بيلار :- أوه ، نعم . كنت أذهب لاجلس معه .. وقد ذكر لي أشياء .. قال لي أنه كان رجلا شريرا جدا واطلعنى على

كل ما قام به من مغامرات في افريقيا الجنوبية .

- هل قال لك أن لديه مجموعة من الماسات الخام في خزانة غرفته ؟

- نعم وقد أراني اياها . ولكنها لم تكن مثل الماسات العادية كانت أشبه بالحصى .. كانت خشنة .. بشعة المنظر .

وقال الرقيب صجدن في اقتضاب :- اذن فقد أراك اياها .

- نعم .

- ألم يعطك شيئاً منها ؟

هزت بيلار رأسها وأجابت :- كلا لم يعطني شيئاً منها . وقد خطر لي أنه قد يعطيني شيئاً منها ذات يوم . اذا كنت ظريفة معه ، فان الرجال المتقدمين في السن يميلون كثيرا الى الفتيات .

فقال جونسون :- هل تعلمين أن هذه الماسات قد سرقت ؟

زاد اتساع عيني بيلار وصاحت : سرقت !

- نعم .

- أليس لديك أية فكرة عمن يمكن أن يكون قد سرقها ؟

هزت بيلار رأسها وقالت :- نعم . لا ريب انه هوربوري .

- هوربوري ؟ .. أتعنين الوصيف ؟

- نعم .

ولماذا تظنين ذلك ؟

- لان له وجه لص . فان عينيه تتنقلان من جانب الى آخر ، ويتسلل في هدوء ومن غير أن ينم عنه أى صوت ويسترق السمع عند الابواب .. انه كالقط ، وكل القطط لصوص .

فقال الكولونيل جونسون :- سنعود الي هذا الموضوع فيما بعد .. والآن ، سمعت أن كل العائلة كانت مجتمعة في غرفة جدك بعد ظهر اليوم وأن بعض .. الكلمات الحادة قد تبودلت .

أومأت بيلار برأسها وابتسمت قائلة :- نعم .. كان أمراً يدعو الى الطرب .. لقد أثار جدي غضبهم جميعا .

- أوه .. إذن فقد أطربك الامر ؟

- نعم . فانني أحب أن أرى الرجال يأخذهم مآخذ الغضب .. احب ذلك كثيراً جدا .. ولكن القوم هنا في انجلترا لا يتملكهم الغضب مثلما يفعلون في أسبانيا ، فهناك يشهرون المدي والخناجر ، ويشتمون ويسبون أما هنا فهم لا يفعلون شيئاً اللهم فيما عدا انهم يضطرمون ويطبقون أفواههم بشدة .

- هل تذكرين ما قيل ؟

بدا الشك على بيلار وقالت :- لست واثقة من ذلك فقد قال لهم جدي انهم لا يساوون شيئاً .. وانهم لم ينجبوا نسلا . وقال:- اننى أفضل من أى واحد منهم وانه يحبنى كثيرا .

- هل قال شيئاً بخصوص نقود أو وصية ؟

- وصية ؟ .. كلا . لا أظن ذلك .. انى لا أذكر .

- ماذا حدث ؟

- خرجوا كلهم فيما عدا هيلدا .. المرأة اليدينة .. زوجة دافيد .. فقد بقيت .

- أوه .. هل فعلت ذلك ؟

- نعم .. بدا دافيد غريبا ، فقد أخذ يرتجف وامتقع لونه .. كان يبدو كما لو كان مريضا .

- ماذا حدث بعد لك ؟

- هبطت بعد ذلك وبحثت عن ستيفن ورقصنا على نغمات الجراموفون .

- ستيفن فار ؟

- نعم. إنه من أفريقيا الجنوبية، وهو ابن شريك جدي .. وهو جميل جدا كذلك. اسمر جدا وطويل القامة ، وله عينان جميلتان .

وسألها جونسون :- وأين كنت ساعة الجريمة ؟

- هل تسألني أين كنت ؟

- نعم .

- ذهبت الى غرفة الاستقبال مع ليديا ، ثم صعدت الى غرفتي وتجملت . فقد كنت أزمع الرقص مع ستيفن من جديد . وعندئذ سمعت صرخة صادرة من مكان بعيد ، وراح الجميع يركضون فانضممت اليهم . وكانوا يحاولون تحطيم باب غرفة جدي . وقد حطمه هاري وستيفن ، فكلاهما رجل قوي .

- حسنا .

- وتحطم الباب ووقع محدثا صوت شديدا ، ونظرنا جميعا في الغرفة .. أوه .. ياله من مُنظر ! .. كان كل شيء مقلوباً ومحطماً وكان جدي يسبح في بركة من دمه ورقبته مذبوحة هكذا.

وأشارت اشارة لها مغزاها نحو عنقها وقالت :- من تحت الاذنين ..

وأمسكت وقد اطربتها قصتها ظاهريا . وقال جونسون :- الا تزعجك رؤية الدماء ؟

نظرت اليه وقالت :- كلا . ولماذا تزعجنى .. عندما يموت الرجال مثلا فهناك دماء عادة . ولكن في هذه المرة كان هناك دم كثير .

وقال بوارو :- ألم يقل أحد شيئاً .

فقالت بيلار : قال دافيد شيئاً غريبا .. أوه ، نعم . إن طواحين الرب .. نعم .. هكذا قال ..

وعادت تقول وهى تنطق كلمة فكلمة :- ان طواحين الرب* .. ما معنى هذا .. ان الطواحين هى التى تطحن الدقيق ، أليس كذلك ؟

فقال الكولونيل جونسون :- حسنا .. لا أظن أن هناك شيئاً آخر في الوقت الحالي يا مس استرافادوس .

نهضت بيلار في اذعان وشملت الرجال الثلاثة بنظرة سريعة رقيقة ثم خرجت وهى تقول :

- سأنصرف الان اذن .

وقال الكولونيل جونسون :- إن طواحين الرب تسحق في بطء .. ولكنها تسحق الى ذرات رفيعة جدا .. وقد نطق دافيد بهذا القول .

واذ فتح الباب مرة أخرى رفع الكولونيل جونسون عينيه ، وخيل اليه في بادىء الامر أن القادم هو هاري لي ، ولكنه لم يلبث أن أدرك خطأه حين تقدم ستيفن فار داخل الغرفة. فقال له:

- اجلس يا مستر فار .

جلس ستيفن ، وانتقلت عيناه الباردتان الذكيتان بين الرجال الثلاثة وقال :

- أخشى أن لا أكون ذا نفع كبير لكم ، ولكن سلوني ما شئتم اذا كان في ذلك ما يساعدكم . ولكن من الاوفق أن أبدأ فأقول لكم من أنا .. ان أبي ، ابنزر فار هو الشريك السابق لسيميون لي حين كان هذا الاخير في افريقيا الجنوبية .. انني اتكلم عن أكثر من أربعين عاما .

وأمسك قليلا ثم قال :- وقد حدثني أبى كثيرا عن سيميون لي .. وعن شخصيته القوية .. فقد اشتركا في العمل معا مدة طويلة ثم عاد سيميون لي الى انجلترا ومعه ثروة ضخمة ، وقد أثرى ابى هو الآخر . وكان أبى يطلب منى دائماً ، اذا حدث وأتيت الى إنجلترا ان ازور مستر لي . وقد قلت له أنه قد مضت

مدة كبيرة ، وانه يحتمل ان لا يعرف من أنا . ولكن أبي سخر من قولي وقال :- عندما يمر برجلين ما مر بنا فان احدهما لا يمكن أن ينسى الآخر . وقد مات ابى من سنتين ، وقدمت هذا العام الى انجلترا لاول مرة ، وخطر لي أن أعمل بنصيحة ابى وأن أزور مستر لي .

واستطرد يقول وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة :- وقد كنت منفعلا بعض الشيء عندما قدمت هنا ، ولكن لم يكن يحق لي أن أشعر بأي انفعال أو اضطراب فان مستر لي رحب بي كل الترحيب ، واصر على أن أقضى عيد الميلاد مع أسرته . وخشيت أن أكون متطفلا ولكنه لم يشأ أن يستمع الى .

وأردف يقول في شيء من الخجل :- كانوا كلهم ظرفاء معى .. ولم يكن في وسع مستر ومسز لي أن يكونا أكثر رقة أو ظرفا . ويزعجنى حقا أن يقع لهم هذا الامر .

- منذ متى وأنت هنا يا مستر فار ؟

- منذ أمس .

- هل رأيت مستر لي اليوم ؟

- نعم . تبادلت الحديث معه صباح اليوم . كان معتدل المزاج

عندئذ ومتلهفاً على سماع أنباء عن القوم والبلاد الذين يعرفهم.

– هل كانت هذه آخر مرة تراه فيها ؟

– نعم .

– هل ذكر لك أنه يحتفظ في خزائنه بمجموعة من الماسات الخام ؟

– كلا .

وأردف يقول قبل أن يتمكن أحدهم من النطق :– هل تعنى أن جريمة القتل وقعت للحصول على هذه الماسات ؟

فقال جونسون :– لسنا متأكدين بعد . لنعد الآن الى احداث الليلة فهل لك أن تروي لنا ما وقع ؟

– بكل تأكيد . بعد أن غادرت السيدات غرفة الطعام بقيت بعضاً من الوقت لتناول كأس من البورتو . ولكنى لم ألبث أن أدركت أن آل لي يريدون مناقشة شئونهم الخاصة وأن وجودي يضايقهم فاعتذرت وانصرفت .

– وماذا فعلت بعدئذ ؟

اضطجع ستيفن فار في مقعده الى الخلف وراح يداعب فكه بسبابته وأجاب في صوت فاتر .

- اننى .. اننى ذهبت الى الغرفة الكبيرة ذات الارضية الباركيه .. أظنها غرفة الرقص .. ان فيها جرامفون واسطوانات موسيقية راقصة .. وقد استمعت الى بعض هذه الاسطوانات .

قال بوارو :- ربما كنت ترجو أن ينضم اليك أحد .

ارتسمت ابتسامة خفيفة جدا على شفتي ستيفن وأجاب :- نعم .. كنت أرجو ذلك .. ان الرجاء صفة يتحلى بها الجميع .

وزادت ابتسامته وهو ينطق بالكلمات الاخيرة ، وقال بوارو : ان السينوريتا استرافادوس جميلة جدا .

فأجاب ستيفن :- هى أجمل شيء وقعت عليه عيناي منذ أن وطئت أرض إنجلترا .

فسأله الكولونيل جونسون :- هل لحقت بك الآنسة استرافادوس ؟

هز ستيفن رأسه وقال:- كنت لا أزال هناك حين وقعت الجلبة. وأسرعت الى البهو بكل قواي لكي أرى ما حدث . وساعدت هاري في تحطيم الباب .

- أهذا كل ما لديك من أقوال ؟

- أخشى أن يكون الامر كذلك .

انحنى هرقل بوارو الى الامام وقال في رقة :- ولكنى أعتقد يا مستر فار أنك تستطيع أن تقول لنا الكثير اذا أردت .

قال فار في حدة :- ماذا تعنى ؟

- يمكنك أن تذكر لنا شيئاً على جانب كبير من الاهمية في هذه القضية .. اعنى عن طباع مستر لي . تقول ان أباك تحدث كثيرا معك . أى نوع من الرجال وصفه لك .

قال ستيفن فار في بطء :- اظن أننى أفهم ما ترمي اليه . كيف كان سيميون لي في شبابه .. حسنا .. أعتقد أنك تريد منى أن أكون صريحا معك .

- إذا أردت . .

- أول كل شيء أظن أن سيميون لي لم يكن في هذا المجتمع عضوا متصفا بالاخلاق العالية . لا أعنى أنه كان رجلا منحرفا ، ولكنه تجاوز القانون مرارا كثيرة . لا يمكن أن يفتخر باخلاقه ولكنه مع ذلك كان وسيما وجذابا جدا ، وكان على جانب كبير من الكرم . لم يرد أبداً أحداً لجأ اليه ، كان يشرب قليلا ولكنه لم يكن يفرط في الشراب أبداً . كان يروق للنساء ، وكان يحب المرح وكان أيضاً حقوداً ميالا للانتقام . أشبه بالفيل في هذه

الناحية فانه لم يكن ينسى الاساءة أبداً . وقد حدثني أبى عن حالات كثيرة انتظر فيها سنوات طويلة ليشفى غله من غريمه .

قال الرقيب صجدن :- ألا تعرف أحدا أساء سيميون لي معاملته في إفريقيا الجنوبية . ألا توجد في ماضيه قصة يمكن أن تفسر لنا تلك الجريمة التي وقعت هنا الليلة ؟

هز ستيفن فار رأسه وقال :- كان له أعداء بالطبع ، بل لابد أن يكون قد خلق لنفسه أعداء إذا نظرنا الى أخلاقه . ولكنى لا أعرف حالة معينة ، ومع ذلك ..

وضاقت عيناه وهو يستطرد قائلاً :- وتقريرا للحقيقة فقد سألت تريسليان في هذه الناحية فأجاب بأنه لم يكن هناك أى رجل غريب بالمنزل أو بجواره في هذه الليلة .

فقال هرقل بوارو :- فيما عداك أنت يا مستر فار .

تحول ستيفن فار اليه وقال :- اوه .. اهذا هو رأيك ؟ .. أنا اذن الرجل الغريب المشبوه داخل البيت . حسنا .. أستطيع أن أؤكد لك منذ الآن انك لن تهتدى الى شيء في هذه الناحية . لن تجد في ماضي سيميون لي أى سوء تفاهم بينه وبين ابنزر فار يسمح لابنه أن يأتى لكي ينتقم له .

وهز رأسه واستطرد قائلاً :- كلا .. ليس بين سيميون وابنزر أي شيء . انني انما قدمت بدافع الفضول فقط كما سبق أن قلت لك . ثم انني أملك دليلا على انني كنت في مكان آخر عند وقوع الجريمة فقد كنت أدير الجراموفون وأغير الاسطوانات الواحدة اثر الأخرى ولا استطيع اثناء دوران اسطوانة واحدة صعود السلم وقطع رقبة سيميون العجوز وغسل يدي لازالة الدم ثم الهبوط .. انها فكرة سخيفة حقا .

وقال الكولونيل جونسون :- اننا لا نلمح لأى شيء ضدك يا مستر فار .

فأجابه ستيفن :- ان لهجة مستر بوارو لم ترق لي اطلاقا .

فقال هرقل بوارو : هذا أمر مؤسف له .

القى ستيفن فار إليه نظرة غاضبة وتدخل الكولونيل جونسون فقال على الفور :

- شكراً لك يا مستر فار . هذا كل شيء في الوقت الحاضر. لا يجب أن تغادر هذا البيت بطبيعة الحال .

أومأ ستيفن فار برأسه ونهض من مكانه وغادر الغرفة وهو يسير في خطوات خفيفة متأرجحة ، وقال جونسون بعد أن أغلق الباب خلفه :

- هذا هوس .. رجلنا المجهول .. إن قصته تبدو حقيقية الى حد كبير ومع ذلك فهو يبدو لنا المشبوه المنشود .. لعله هو الذى سرق الماسات .. ولعله دخل البيت بحجة كاذبة .. من الاوفق أن تلتقط بصماته وأن تبحث عن ماضيه يا صجدن .

فقال الرقيب وهو يبتسم :- اننى أخذت بصماته يا سيدي .

- حسنا .. انك لا تنسى شيئاً .. أظنك قد اتخذت كل الاجراءات العادية ؟

أجاب صجدن وهو يعد على اصابعه :- نعم . أصدرت الاوامر للتحقق من جميع المكالمات التليفونية ، والوقت الذي غادر فيه هوربوري البيت .. ومن الذي رآه وهو ينصرف .. وأصدرت أوامري للتحقق من تحركات جميع الخدم .. ومن الحالة المالية لكل فرد من أفراد البيت .. واتصلت بالمحامي لمعرفة مضمون الوصية وفتشت البيت بحثا عن سلاح الجريمة ، وبقع الدم التى قد تكون على الملابس .. وبحثنا عن الماسات فلعلها تكون مخبوءة في مكان ما بالبيت .

قال جونسون مؤيدا :- يبدو أنك فكرت في كل شيء يا صجدن .. ألا ترى شيئاً آخر يا مستر بوارو ؟

هز بوارو رأسه وقال :- أرى أن الرقيب لم يفته شيء .

فقال الرقيب في اكتئاب :- أن عملية تفتيش البيت للبحث عن الماسات لن تكون يسيرة فانني لم أر أبداً مثل كل هذه الكمية من التحف والتماثيل والفازات واللوحات .

وقال بوارو :- ان المخابيء كثيرة فعلا .

- ألا يمكنك أن تشير علينا بأي شيء يا بوارو ؟

وبدت أمارات الخيبة على وجه الكولونل جونسون ، كالرجل الذي يأبى كلبه الامتثال لاوامره . وقال بوارو :

- هل تسمح لي أن أتصرف كما أريد ؟

فقال جونسون :- طبعا .. طبعا ..

أما صجدن فقد نظر اليه في شيء من الارتياب وقال :- ماذا تعنى يا مستر بوارو ؟

فأجابه بوارو :- أعنى أنني أريد أن أتحدث .. مرارا .. وتكراراً مع أفراد آل لي .

وسأله الكولونيل في شيء من الحيرة :- هل تعنى أنك تريد استجوابهم من جديد ؟

- كلا .. لا أريد استجوابهم .. انما أريد أن اتبادل اطراف

الحديث معهم .

وسأله صجدن :- ولماذا ؟

هز بوارو يده في توكيد وقال :- قد تتضح بعض النقاط من خلال الحديث .. والشخص الذي اعتاد على كثرة الحديث لا يمكنه أن يخفى الحقيقة كثيرا .

فسأله صجدن :- أنت تظن اذن أن أحدهم يكذب ؟

تنهد بوارو وقال :- ان كلا منهم يكذب يا عزيزي .. كل فيما يخصه على الاقل ، ومن المفيد لنا أن نفرق بين الاكاذيب التى لا تضر والاكاذيب التي لابد منها .

وقال الكولونيل جونسون في حدة :- مهما يكن من أمر فانني لا أستطيع أن أصدق ذلك .. اننا أزاء جريمة قتل بشعة تدل على وحشية كبيرة .. ومن هم المشبوهون ؟ .. ألفريد لي وزوجته، وكلاهما ظريف ومهذب ويتسم بالهدوء .. جورج لي ، وهو عضو في البرلمان ، وصورة مجسمة من الاحترام .. زوجته ؟ .. انها مجرد امرأة عادية عصرية جميلة .. دافيد لي يبدو رجلا رقيقا ، وقد سمعنا أخاه هاري يقول عنه أنه لا يطيق رؤية الدم .. أما زوجته فهى تبدو امرأة مليحة حساسة .. عادية تماما .. تبقى بعد

ذلك الاخت الاسبانية والرجل القادم من افريقيا الجنوبية .. والفتيات الاسبانيات تجرى في عروقهن الدماء الحارة ولكنى لا أستطيع أن أتصور هذه الفتاة تقطع رقبة جدها بكل جرأة خاصة وأن هناك من الاسباب ما يحملها على أن تحرص على أن يبقى على قيد الحياة .. على الاقل حتى يوقع على وصية جديدة .. وستيفن فار هو المشبوه المحتمل .. اذا جاز لنا أن نقول ذلك ، فمن الجائز أن يكون لصا قدم هنا للاستيلاء على الماسات ، ومن الجائز أن الرجل العجوز اكتشف السرقة فجز فار عنقه لكي يمنعه من الكلام .. من الجائز أن يكون هو القاتل فان قصة الجراموفون ليست دليلا كافيا .

هز بوارو رأسه وقال :- يا صديقي العزيز .. قارن بين بنيتي مستر ستيفن فار وسيميون لي العجوز .. لو أن فار أراد أن يقتل الرجل العجوز لفعل ذلك في دقيقة واحدة ولما استطاع سيميون لي أن يقاومه كل هذه المقاومة .. فما من أحد يمكنه أن يصدق أن ذلك الرجل الضعيف وهذا الرجل القوى قد تشاجرا لبضع دقائق وقلبا الغرفة رأسا على عقب .. ان مجرد تصور مثل هذا الامر شيء مضحك .

ضاقت عينا الكولونيل جونسون وقال :- هل تعنى أن رجلاً ضعيفاً هو الذي قتل سيميون لي ؟

- ١٦ -

نظر الكولونيل جونسون الى ساعته وقال :- لم يعد هناك داع لبقائى يا صجدن ، فانك قد امسكت بكل خيوط القضية بين يديك .. وليس هناك غير شيء واحد هو أنه يجب أن نرى رئيس الخدم .. اننى أعلم أنك استجوبته ولكننا أصبحنا نعلم الشيء الكثير الآن ، ومن المهم أن نتأكد أين كان افراد العائلة ، كل منهم على حدة ، ساعة وقوع الجريمة .

أقبل تريسليان في بطء ودعاه رئيس البوليس الى الجلوس وقال رئيس الخدم :

- أشكرك يا سيدي وأرجو أن لا تؤاخذنى على ذلك . فانني أشعر بأننى لست على ما يرام .. لست على ما يرام .. فانني أشكو من ساقي .. ومن عيني يا سيدي .

وقال بوارو في هدوء :- كانت صدمة لك .. صدمة كبيرة ..

ارتجف رئيس الخدم وقال :- مثل هذه الجريمة البشعة ! ..

وفي هذا البيت .. الذي لم يعرف غير الهدوء منذ الازل .

وقال بوارو :- الحق أنه كان بيتا يسوده النظام ، ولكن السعادة لم تكن تخيم عليه .

- لم أكن أريد أن أقول ذلك يا سيدي .

- وهل كانت تخيم عليه السعادة في الأيام الخوالي حين كان الجميع يقيمون به ؟

أجاب تريسليان في بطء :- صحيح أنه لم يكن يسود به الانسجام يا سيدي .

- لقد ظلت مسز لي مريضة مدة طويلة قبل أن تموت ، أليس كذلك ؟

- نعم يا سيدي . لم تكن صحتها على ما يرام .

- هل كان أولادها يحبونها كثيرا .

- كان مستر دافيد يعبدها عبادة ياسيدي .. كان يعاملها كما لو كان ابنة لها ، وليس ابنا . وقد غادر البيت عقب وفاتها على الفور لانه لم يستطع الاقامة فيه بعد ذلك .

فقال بوارو :- ومستر هاري ؟ .. كيف تصرف ؟

- كان عربيدا دائماً يا سيدي ، ولكنه كان طيب القلب .

وقد تملكتني الدهشة الى أقصى حد حين طرق الباب .. مرة .. ثم أخرى في ضيق وتبرم .. وفتحت الباب واذا بي أمام رجل غريب .. ولكني لم ألبث أن سمعت صوت هاري يقول «هالو تريسليان: .. أمازلت على قيد الحياة» .. كما عهدتك دائماً ؟! .

وقال بوارو في رقة :- كانت صدمة شديدة لك طبعاً !

فقال تريسليان وقد احمرت وجنتاه قليلا :- تمر بي أوقات يخيل لي فيها أن الماضي ليس هو الماضي يا سيدي . وأظن أنهم يقدمون الآن في لندن مسرحية في هذا المعنى . وهذا حقيقي ياسيدي .. فان هناك لحظات تمر بك ويخيل لك فيها أن الاحداث التي تقع قد مرت بك قبل لك ، فانني أسمع رنين الجرس وأذهب لكي افتح فأرى مستر هاري من جديد في حين أن الطارق ليس مستر هاري وإنما مستر فار أو شخص آخر .. وأحدث نفسي فأقول .. عجبا .. إنني فعلت ذلك من قبل .

فقال بوارو :- هذا أمر على جانب من الاهمية .. بل على جانب كبير من الاهمية .

نظر تريسليان اليه في امتنان ، وبدا الضجر على جونسون وسعل ثم قال :

- أريد أن أتحقق من بعض النقاط . حين بدأت الجلبة في غرفة مستر سيميون لي . كان مستر الفريد لي ومستر هاري لي في غرفة الاستقبال ، فهل هذا صحيح ؟

- الحق أننى لا أستطيع التأكد من ذلك يا سيدي . كان كل الرجال موجودين في غرفة الاستقبال حين قدمت لهم القهوة .. ولكن كان ذلك قبل وقوع الجريمة بربع ساعة .

- كان مستر جورج يتكلم في التليفون فهل يمكنك أن تؤكد لي ذلك ؟

- أظن أنه كان هناك رجل يتكلم في التليفون يا سيدي ، فإن رنين التليفون يسمع في مكتب المطبخ ، وعندما يرفع احدهم السماعة لكي يتكلم يصدر منه صوت في المطبخ واذكر أنني سمعت ذلك الصوت ولكنى لم أعلق عليه أهمية فيما بعد .

- ألا تعرف متى كان ذلك على وجه التحديد ؟

- لا أستطيع أن أؤكد ذلك يا سيدي . وكل ما يمكننى أن أقول هو أن ذلك قد حدث بعد أن قدمت لهم القهوة .

- هل تعرف أين كانت كل واحدة من السيدات في الوقت الذي ذكرته لك ؟

- كانت مسز ألفريد في غرفة لاستقبال حين رفعت صينية القهوة . كان ذلك قبل أن أسمع صوت المعركة بدقيقة أو دقيقتين.

فسأله بوارو :- وماذا كانت تفعل ؟

- كانت واقفة بجوار النافذة يا سيدي .. كانت ترفع الستار بيدها قليلا لكي تطل إلى الخارج .

- ألم يكن بالغرفة أحد غيرها ؟

- كلا يا سيدي .

- هل تعلم أين كانت باقي السيدات ؟

لا أذكر يا سيدي .

- ألا تعرف أين كان كل الباقين ؟

- كان مستر دافيد يعزف على البيان في الغرفة المجاورة للصالون .

- هل سمعته يعزف ؟

- نعم يا سيدي .

وارتعش الرجل العجوز مرة أخرى واستطرد :- كان يعزف مقطوعة أحسست فيما بعد أنها كانت اشارة لما حدث .. فقد كان

يعزف مقطوعة «المارش الجنائزي» . لقد سرت في جسدي رعشة في ذلك الوقت .

فقال بوارو :- هذا أمر غريب في الواقع .

وقال رئيس البوليس :- لنتحدث الآن عن ذلك المدعو هوربوري ، الوصيف .. هل تقسم على أنه كان خارج البيت في الساعة الثامنة .

- أوه نعم يا سيدي .. خرج عقب قدوم مستر صجدن . واذكر ذلك جيدا لانه أوقع فنجانا وحطمه .

وسأله بوارو :- تقول أن هوربوري حطم فنجانا ؟

- نعم يا سيدي . فنجانا من الطاقم القديم الذي نحتفظ به من إحدى عشرة سنة .. لقد ظللت أغسله طوال هذه المدة ولم أحطم منه شيئاً .

- وماذا كان يفسل هوربوري بهه الفناجين ؟

- الواقع يا سيدي أنه لم تكن به حاجة لكي يلمس هذه الفناجين . كان ممسكا بواحد يتأمله واتفق أن قلت له أن الطارق هو مستر صجدن فأفلت منه الفنجان .

فقال بوارو :- هل ذكرت اسم مستر صجدن أو تكلمت عن

البوليس بوجه عام ؟

نظر تريسليان اليه وقد أجفل قليلا وأجاب إننى اذكر الآن يا سيدي .. إننى قلت له أن رقيب البوليس قد اقبل .

وقال بوارو :- وافلت الفنجان من يدي هوربوري عقب ذلك ؟

وتدخل رئيس البوليس فقال :- هذا أمر له مغزاه . هل ألقى هوربوري عليك أي سؤال عن زيارة الرقيب ؟

- نعم يا سيدي سألنى عما يريد فقلت له انه أقبل لجمع اعانة لملجأ يتامي البوليس وأنه صعد الى غرفة مستر لي .

- هل بدا الارتياح على هوربوري بعد هذا التفسير ؟

- اذكر الآن ، وقد تكلمت عن ذلك يا سيدي ، ان الارتياح قد بدا عليه حقا ، وتغير اسلوبه على الفور فقال : ان مستر لي رجل طيب ، كريم ، مبسوط اليد .. وقد نطق بذلك بطريقة غير لائقة ثم انصرف .

- من أى طريق ؟

- من باب الخدم يا سيدي .

وتدخل صجدن فقال :- هذا صحيح يا سيدي . لقد اجتاز المطبخ ورأته الطاهية ومساعدتها وخرج من الباب الخلفي .

- اصغ الى الآن يا تريسليان .. وفكر جيدا .. الا يمكن أن يكون هوربوري قد عاد الى البيت من غير أن يراه أحد ؟

هز العجوز رأسه وقال :- لا أرى كيف يستطيع أن يفعل ذلك يا سيدي ، فان كل الابوب موصدة من الداخل .

- كيف يدخل اذن حين يعود ؟

- ان معه مفتاحا للباب الخلفي ياسيدي .. وجميع الخدم يدخلون منه .

- حسنا .. كان فد مقدوره أن يعود الى البيت إذن ؟

- لابد له من أن يجتاز المطبخ يا سيدي . وهناك شخص يظل موجودا بالمطبخ حتى التاسعة والنصف أو العاشرة إلا الربع .

قال الكولونيل جونسون :- هذا ينهى الموضوع . شكرا لك يا تريسليان .

نهض الخادم العجوز وانحنى ثم غادر الغرفة . ولكنه لم يلبث أن عاد بعد دقيقة أو دقيقتين وقال :

- لقد عاد هوربوري الآن يا سيدي ، فهل تريد أن تراه ؟

- نعم . دعه يأتى حالا إذا تكرمت .

- ١٧ -

لم تكن سحنة هوربوري لتشهد في صالحه ، فقد أقبل الى الغرفة ووقف يفرك يديه في ارتباك وينظر خلسة الى الموجودين واحدا بعد الآخر .

وسأله جونسون :

- هل أنت سيدني هوربوري ؟

- نعم يا سيدي .

- الوصيف الحالي للفقيد مستر لي ؟

- نعم يا سيدي . هذا مروع ، أليس كذلك ؟ خيل لي أنني أكاد أقع عندما اخبرتني جلاديس بما حدث .. يا للرجل العجوز المسكين !

فقاطعه جونسون قائلاً :- تفضل بالرد على اسئلتي فقط .

- نعم يا سيدي . بكل تأكيد يا سيدي .

- متى خرجت الليلة واين ذهبت ؟

- خرجت قبيل الثامنة بقليل يا سيدي وذهبت الى سينما سوبرب على مسيرة خمس دقائق من البيت ، ورأيت فيلم «الحب في أشبيلية القديمة» .

– هل رآك أحد في السينما ؟

– بائعة التذاكر ، وهى تعرفنى يا سيدي . وكذلك عامل الاستقبال بالباب وهو يعرفني كذلك . وتقريرا للواقع يا سيدي . كنت مع صديقة لي ، التقيت بها هناك على موعد .

– أوه .. وما اسمها ؟

– دوريس بوكل يا سيدي ، وهى تعمل في المحلات المتحدة لتجارة الالبان بشارع ماركهام رقم ٢٣ .

– حسنا. سوف نتحقق من ذلك. هل عدت الى البيت رأسا ؟

– رافقت صديقتي الى بيتها أولا يا سيدي ، ثم عدت الى البيت بعد ذلك ، وسوف ترى انني لم أذكر غير الحقيقة . لا دخل لي ابدا بهذه الجريمة .

قال الكولونيل جونسون في اقتضاب :– لم يقل أحد أن لك شأنا بها .

– كلا يا سيدي . كلا بالطبع .. ولكن ليس مما يطرب أن تقع جريمة قتل في البيت الذي يقوم فيه المرء بالخدمة .

– لم يقل أحد أنه أمر مطرب . منذ متى وانت في خدمة مستر لي ؟

- منذ أكثر من سنة بقليل يا سيدي .

- هل يطيب لك العمل هنا ؟

- نعم يا سيدي . كنت راضيا بالعمل هنا كل الرضا ، فالمرتب لا بأس به . لم تكن الاقامة مع مستر لي تدعو الى الارتياح في أكثر الاوقات . ولكنى اعتدت على خدمة المرضى .

هل اكتسبت خبرة في هذه الناحية ؟

- أوه ، نعم يا سيدي . كنت اعمل في خدمة الماجور وست والوجيهٔ جاسبرفينش .

- يمكنك أن تدلى بكل هذه التفاصيل الى صجدن فيما بعد . ان ما أريد معرفته هو : متى رأيت مستر لي الليلة لآخر مرة ؟

- كان ذلك نحو السابعة والنصف يا سيدي ، فان مستر لي يتناول عشاءه في الساعة السابعة كل يوم ثم أعد له الفراش بعد ذلك . حيث يبقي جالسا في مقعده بجوار النار وهو مرتد الروب حتى يشعر بالرغبة في النوم .

- متى كان يأوى الى فراشه في العادة .

- هذا يختلف يا سيدي . كان يذهب الى فراشه في الساعة الثامنة أحيانا .. اذا احس بالتعب . واحيانا يبقى حتى الحادية

عشرة أو بعد ذلك .

– وماذا كان يفعل حين يريد النوم ؟

– كان يدق الجرس عادة يا سيدي .

– وكنت تساعده على الذهاب الى فراشه عندئذ ؟

– نعم يا سيدي .

– ولكنك كنت بالخارج الليلة، فهل تخرج يوم الجمعة دائماً.

– نعم يا سيدي . يوم الجمعة هو يوم عطلتى في العادة .

– وماذا كان يفعل مستر لي اذا اراد أن يذهب الى فراشه .

– انه يدق الجرس عندئذ فيأتى تريسليان أو والتر لمساعدته.

– ألم يكن عاجزا عن الحركة ؟ .. اكان يستطيع التحرك ؟

– نعم يا سيدي . ولكنه لم يكن يتحرك . بسهولة . انه كان مريضا بداء النقرس ويتألم منه يا سيدي . وكانت حالته تزداد سوءا في بعض الايام .

– ألم يكن ينتقل الى غرفة أخرى اثناء النهار ؟

– كلا يا سيدي . كان يفضل البقاء حيث هو . لم يكن مستر لي ميالا للترف . وكانت غرفة نومه كبيرة تتوفر فيها وسائل التهوية والاضاءة .

- تقول ان مستر لي تناول عشاءه في الساعة السابعة ؟

- نعم يا سيدي . رفعت الصينية بعد ذلك ووضعت زجاجة الشيري وكأسين فوق المكتب .

- ولماذا فعلت ذلك ؟

- بناء على امر مستر لي .

- هل كان معتادا على ذلك ؟

- من وقت لآخر . كانت القاعدة أن لا يصعد أحد من أفراد الاسرة الى غرفة مستر لي في المساء الا اذا دعاه . كان يطيب له أن يخلو الى نفسه في بعض الليالي . وفي الليالي الأخرى كان يطلب رؤية مستر الفريد أو مسز الفريد أو كليهما معا بعد العشاء .

- ولكنه لم يتصل بأحد منهم هذه الليلة بقدر ما تعرف ؟

- انه لم يرسل الى احد عن طريقي .

- ألم يكن ينتظر أن يزوره أحد من أفراد اسرته ؟

- كلا يا سيدي .. مالم يكن قد طلب احدا منهم بالذات .

- آه .

واستطرد هوربوري يقول :- ولما رأيت أن كل شيء على ما

يرام تمنيت له ليلة طيبة وغادرت الغرفة .

فسأله بوارو :- هل ذكيت النار قبل أن تهبط ؟

تردد الوصيف قبل أن يقول :- لم يكن ذلك ضروريا يا سيدي، فقد كانت النار مشبوبة بما فيه الكفاية .

- هل يمكن أن يكون مستر لي قد ذكاها بنفسه ؟

- أوه ، كلا يا سيدي . اظن ان مستر هاري قد فعل ذلك .

- هل كان مستر هاري لي معه حين أتيته بالعشاء ؟

- نعم يا سيدي . وقد انصرف عندما اتيت .

- كيف كانت حالتهما بقدر ما رأيت ؟

- كان مستر هاري لي مبتهجاً جدا يا سيدي . كان يطوح برأسه الى الخلف ويضحك بملء فمه .

- ومستر لي ؟

- كان هادئاً يغلب عليه التفكير .

- حسنا . اريد أن أعرف شيئاً آخر يا هوربوري . ماذا تستطيع أن تقول لنا بخصوص الماسات التي كان مستر لي يحتفظ بها في خزانته ؟

- ماسات يا سيدي ؟ .. لم أر أى ماسات .

- كان مستر لي يحتفظ بمجموعة من الماسات الخام ، ولا ريب أنك رأيته يمسكها .

- تلك المجموعة من الحصى يا سيدي ؟ .. نعم ، رأيته يفحصها مرة أو مرتين . كان يريها لتلك الفتاة الاجنبية أمس .. أو لعل ذلك كان أول أمس .

قال الكولونيل جونسون في اقتضاب :- هذه الاحجار قد سرقت .

احتج هوربوري قائلاً :- ارجو أن لا تشك في أن لي يدا في سرقتها يا سيدي .

فقال جونسون :- انني لا أتهم أحداً ، ولكن هل يمكنك أن تقدم لنا أية معلومات في هذه الناحية ؟

- هل تعني الماسات يا سيدي ؟ .. او الجريمة ؟

- كلاهما .

فكر هوربوري وبلل شفتيه الشاحبتين بلسانه واخيرا رفع عينيه وفيهما نظرة ماكرة وقال :

- لا أظن انني استطيع أن أقدم لك أى شيء يا سيدي .

وقال بوارو في رقة :- ألم تسمع شيئاً ما اثناء قيامك

بالخدمة يمكن أن يكون ذا نفع لنا ؟

- كلا يا سيدي . لا أظن ذلك . وقع سوء تفاهم بين مستر لي .. وبعض افراد اسرته .

- من منهم بالذات ؟

- فهمت أنه كانت هناك متاعب بخصوص عودة مستر هاري وأن عودته ازعجت مستر الفريد لي . وقد تبادل هذا الاخير بضع كلمات مع أبيه بخصوص ذلك .. ولكن كان هذا كل شيء ، فان مستر لي لم يتهمه لحظة واحدة بانه سرق الماسات ، وانا واثق أن مستر الفريد لا يقدم على مثل هذا العمل .

فسأله بوارو على الفور :- كان حديثه مع مستر الفريد بعد اكتشافه سرقة الماسات اذن ؟ .. اليس كذلك ؟

- نعم يا سيدي .

انحنى بوارو الى الامام وقال في رقة :- ظننت انك لم تكن تعرف شيئاً عن سرقة الماسات يا هوربوري قبل أن نخبرك بها الآن، فكيف عرفت اذن ان مستر لي اكتشف ضياعها قبل أن يتبادل ذلك الحديث مع ابنه ؟

احمر وجه هوربوري ، وقال صجدن :- لا فائدة من الكذب ..

تكلم .. متى عرفت ذلك ؟

أجاب الخادم في اكتئاب:- سمعته يتحدث عن ذلك في التليفون ؟

- هل كنت في الغرفة ؟

- كلا يا سيدي . كنت بالخارج ، ولم أستطع أن اسمع الكثير .. كلمة أو كلمتين فقط .

وسأله بوارو في صوت عذب :- ماذا سمعت بالضبط ؟

- سمعت كلمتي سرقة وماسات . وسمعته يقول « لا ادري فيمن أشك .. » كما سمعته يتحدث عن شيء بخصوص الليلة في الساعة الثامنة .

أوما الرقيب صجدن وقال :- كان يتكلم معي يا بني .. كان ذلك في نحو الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة ، أليس كذلك ؟

- هذا صحيح يا سيدي

- وحين عدت الى الغرفة هل كان يبدو على سيدك القلق والانزعاج ؟

- قليلا يا سيدي . كان يبدو مذهولا ومرتبكا .

- بحيث أنك ارتعت .. أليس كذلك ؟

- اسمع يا مستر صجدن .. لا تقل شيئاً كهذا .. إنني لم المس هذه الماسات ابداً ولا يمكنك أن تثبت شيئاً على فأنا لست لصا .

وقال الرقيب صجدن في غير اكتراث :- هذه مسألة قيد البحث .

ونظر الى الكولونيل جونسون متسائلاً . واشار له هذا الاخير مؤيداً فاستطرد يقول :

- هذا يكفي يا بني . لسنا بحاجة إليك اليوم .

وأسرع هوريوري بمغادرة المكان وهو لا يلوي على شيء .

وقال صجدن في تقدير :- هذا عمل جميل يا مستر بوارو . إنك اوقعته في الفخ بطريقة لم أر مثلها من قبل . قد يكون لصا وقد لا يكون ولكنه كذاب من الدرجة الاولي .

وقال بوارو :- انه شخص بغيض .

وقال جونسبون مؤيداً :- انه بغيض الى حد بعيد يا مستر بوازو . ان المسألة الآن هي :- ما الرأى في أقواله ؟

لخص صجدن الموقف في براعة قائلاً :- أرى فيها ثلاثة حتمالات اولاً : أن هوربوري لص وقاتل . ثانياً: أن هوربوري لص

وليس قاتلا ، ثالثاً : ان هوربوري بريء . واقواله تجعلني اميل الى الاحتمال الاول فهو قد سمع مكالمة تليفونية وعرف ان السرقة قد انكشفت وادرك من سلوك الرجل العجوز انه يشتبه في امره ورسم خطته وفقا لذلك . وخرج أمام الجميع في الساعة الثامنة ليثبت أنه كان بعيدا عن مكان الجريمة وقت وقوعها ، ومن السهل عليه أن يغادر السينما وأن يعود الى البيت من غير أن يراه أحد . ولا ريب أنه يثق في الفتاة كل الثقة ويعلم أنها لن تشي به . سوف أرى غدا ماا استطيع أن أفعل في هذه الناحية .

فسأله بوارو :- وكيف تمكن من دخول البيت اذا كان الامر كما تقول ؟

فقال صجدن :- هذا يبدو عسيرا . ولكن من المحتمل أن هناك وسيلة . ولنفرض أن إحدى الخادمات فتحت له أحد الابواب الجانبية .

رفع بوارو حاجبيه ساخرا وقال :- ويضع نفسه بهذه الطريقة تحت رحمة امرأتين . ان امرأة واحدة مغامرة كبيرة فما بالك بامرأتين ! انني أرى أن هذا الاحتمال سخيف .

فقال صجدن :- بعض المجرمين يخطر لهم أنهم يستطيعون

الافلات من العقاب .

واستطرد يقول :- ولننتقل الآن الى الاحتمال الثاني .. وهو أن هوربوري سرق الماسات، وقد أخرجها من البيت الليلة واعطاها لشريك له ، وهذا امر ميسور ومحتمل . وعلينا الآن أن نسلم بأن شخصا آخر وقع اختياره على هذه الليلة بالذات لكي يقتل مستر لي ، وأن هذا الشخص لاعلم له بسرقة الماسات وهذا احتمال طبعا ولكنه في نفس الوقت مصادفة غريبة . اما الاحتمال الثالث فهو أن هوربوري بريء وأن شخصا آخر سرق الماسات وقتل الرجل العجوز . والمشكلة الآن هي أن علينا نحن أن نهتدي الى الحقيقية .

تثاءب الكولونيل جونسون ونظر إلى ساعته مرة أخرى ثم نهض وقال :

- حسنا .. يالها من ليلة ! .. أظن أن من الافضل أن نلقي نظرة على الخزانة قبل أن ننصرف . انه ليكون امراً غريباً . لو أننا وجدنا الماسات فيها .

ولكن الماسات لم تكن في الخزانة . وعثروا على توليفة الارقام السرية التي تفتح الخزانة بموجبها في الدفتر الصغير الذي

وجدوه في جيب روب القتيل . وفي الخزانة وجدوا حقيبة صغيرة من جلد الجمل ، ولم يجدوا بين الاوراق غير ورقة واحدة كانت على جانب كبير من الاهمية .

كانت عبارة عن وصية يرجع تاريخها الى خمسة عشر عاما . وفيما عدا بضع هبات مختلفة تافهة كانت نصوص الوصية واضحة . فنصف ثروة سيميون لي تؤول إلى الفريد لي والنصف الآخر يوزع بالتساوي بين اولاده الآخرين ، وهم هاري وجورج ودافيد وجنيفر .

الفصل الرابع

٢٣ ديسمبر

أخذ بوارو يتمشى في ظهيرة يوم عيد الميلاد ، تحت أشعة الشمس الساطعة ، في حديقة قصر جورستون ، وهو قصر كبير متين البناء ، لم يتبع في بنائه أى تصميم هندسي خاص .

وعلى طول الناحية الجنوبية للقصر تمتد قطعة مستطيلة منبسطة من الارض يحدها سياج من نبات البقس المشذب ، وبها نباتات صغيرة خضراء نمت في الفجوات التى بين الواح البلاط ؛ وكانت تقوم بطول هذه القطعة من الأرض احواض صغيرة مرتفعة تمثل حدائق مصغرة .

راح بوارو يتأملها في إعجاب هادىء وتمتم يقول :- هذه فكرة جميلة ! ولمح من بعيد شخصين يمضيان نحو بقعة مزخرفة من الماء على بعد نحو ثلاثمائة متر عرف في احداهما بكل

سهولة بيلار ، أما الآخر فقد حسبه في بادىء الامر ستيفن فار ولكنه لم يلبث أن أدرك أن الرجل الذي مع بيلار كان هاري لي . وكان هذا الاخير يبدو شديد الاهتمام بابنة اخته الحسناء . وكان يطوح برأسه الى الخلف من وقت لآخر ويقهقه ثم لا يلبث أن ينحنى نحوها في اهتمام كبير .

وقال بوارو يحدث نفسه :- يقينا أن صاحبنا هذا لا يشعر بأى حزن على موت ابيه .

وسمع صوتا خافتا خلفه فالتفت . كانت مجدالين لي تقف هناك . وكانت هي الاخرى تنظر الى ربيلار وهاري لي . وحولت رأسها ورمت بوارو بابتسامة ساحرة وقالت يا له من يوم رائع ساطع . يكاد المرء لا يصدق أن جريمة بشعة قد وقعت بالأمس . أليس كذلك يا مستر بوارو ؟

- هذا أمر عسير حقا يا سيدتي .

تنهدت مجدالين وقالت :- اننى لم اشترك في أى مأساة قبل ذلك انني كبرت فجأة حقا .. اظن اننى بقيت طفلة وقتا طويلا .. وليس هذا بالشيء الجميل .

وتنهدت من جديد ثم اردفت تقول :- ان بيلار تتمالك جأشها بشكل غريب .. وأظن أن هذا يرجع الى الدم الاسباني .. انه

لأمر غريب حقا ، أليس كذلك ؟

- ماذا تعنين يا سيدتي ؟

- مجيئها الذي لم يكن يتوقعه احد .

فقال بوارو :- علمت أن مستر لي ارسل يستدعيها منذ وقت طويل . كان قد راسل قنصلية مدريد ، ونائب القنصل في ايكارا حيث كانت امها تقيم .

قالت مجدالين :- كان كتوما جدا في هذه الناحية . لم يعلم الفريد شيئاً عنها ، ولا ليديا كذلك ؟

فقال بوارو :- آه !

دنت مجدالين منه أكثر من ذي قبل ، واشتم بوارو الرائحة الجميلة التى تستخدمها وقالت :

- لعلك تعلم يا مستر بوارو أن هناك قصة يتناقلونها عن استرافادوس ، زوج جنيفر .. انه مات بعد الزواج بقليل وهناك سر غامض يحيط بموته والفريد وليديا يعرفان هذا السر وأظنه شيئاً مشينا .

فقال بوارو :- هذا امر محزن حقا .

وقالت مجدالين :- أن زوجي يرى ، وأنا معه في هذا الرأي أن الأسرة يجب أن تتحرى عن ماضى هذه الفتاة .. فمهما يكن ،

لو صح أن اباها كان مجرما ..

وأمسكت ولكن هركيول بوارو لم ينطق . كان يبدو أنه يتأمل جمال الطبيعة في فصل الشتاء ، في أراضى قصر جورستون . واستطردت تقول :

- لا يسعني إلا أن أفكر واقول لنفسي ان الطريقة التي لقى بها حموى مصرعه لها مغزاها .. انها طريقة ليست انجليزية ابدا ..

تحول بوارو اليها في بطء والتقت عيناه الحادتان بعينيها في سؤال بريء وقال :

- آه ! .. ترين فيها لمسة اسبانية اذن ؟

- حسنا . ان الاسبان قوم قساة القلوب . اليس كذلك ؟

كانت تتكلم في لهجة صبيانية واردفت :- تذكر معارك الثيران وكل ما من شأنه ذلك .

وقال بوارو في رقة :- تعنين أن من رأيك أن الآنسة استرافادوس قطعت عنق جدها ؟

- أوه ، كلا يا مستر بوارو ... انا لم أقل شيئاً كهذا .. لم أقل شيئاً كهذا ..

كانت مجدالين تتكلم في حماس كما لو كانت كلمات بوارو قد جرحت شعورها . وقل بوارو :

- حسنا . لعلك لم تقولي شيئاً . لا ريب أنني اسأت الفهم .

- ولكنني أعتقد حقا أنها .. أنها فتاة مشبوهة .. مثال ذلك تلك الطريقة الخاطفة التي التقطت بها ذلك الشيء من فوق ارضية الغرفة في الليلة الماضية .

بدا الاهتمام في صوت هركيول بوارو وهو يقول في حدة :- تقولين انها التقطت شيئاً من الارض في الليلة الماضية ؟

أومأت مجدالين بالايجاب ، وقد التوت شفتاها بطريقة صبيانية تثير الحنق وقالت :

- نعم ، بمجرد أن دخلت الغرفة .. القت نظرة حولها لكي تتأكد أن أحدا لا يراها ثم انحنت والتقطته، ولكن الرقيب رآها، ويسرني أن أقول انه ارغمها على أن تعيد اليه ما التقطته .

- وهل تعرفين ما هو ذلك الشيء الذى التقطته يا سيدتي ؟

- كلا . لم أكن قريبة منها بما فيه الكفاية .

وكان صوتها ينم على الندم واسترسلت :- كان شيئاً صغيراً جدا .

عبس بوارو وقال يحدث نفسه :- هذا أمر مثير اللاهتمام .

وأسرعت مجدالين تقول :- نعم . خطر لي أنه لابد لك أن تعلم ذلك ، وعلى كل حال فنحن لا نعرف شيئاً عن نشأة بيلار ، ولا نعرف كيف كانت حياتها . ان الفريد يحسن الظن بالجميع دائماً ، وليديا العزيزة لاتكترث بأي شيء .

ثم تمتمت قائلة :- لعل الاوفق أن أذهب وارى كيف أستطيع مساعدة ليديا في أى شيء .. لا ريب أن هناك خطابات لابد من كتابتها .

وغادرته وعلى شفتيها ابتسامة ماكرة تدل على الرضا والارتياح .

اما بوارو فقد بقى مكانه ضائعاً في افكاره .

- ٢ -

أقبل إليه الرقيب صجدن ، وكان بادي الاكتئاب وقال :- صباح الخير يا مستر بوارو .. أظن أنه ليس من الملائم أن نقول عيد ميلاد سعيد ، اليس كذلك ؟

- أى زميلي العزيز ، أننى لا أرى في سيمائك أى أثر

للسرور أو الابتهاج . ولو أنك تمنيت لي عيد ميلاد سعيد لقلت لك اعاده الله عليك مرارا وتكرارا .

قال صجدن :- الحق انني لا أريد أن أرى عيدا مثل هذا مرة أخرى .

- هل احرزت تقدما في تحرياتك ؟

- انني تحققت من نقاط كثيرة . ان دليل اثبات هوربوري متين ، فان عامل الاستقبال بالسينما رآه يدخل السينما حقا ومعه فتاة ، ورآه يخرج معها في نهاية الحفلة . وهو يؤكد أن هوربوري لم يخرج اثناء عرض الفيلم وأنه لا يستطيع أن يخرج أو يعود اثناء حفلة العرض والفتاة تقسم أنه لم يتركها لحظة واحدة .

رفع بوارو حاجبيه وقال :- لا أرى ماذا يمكننا أن نفعل أكثر من ذلك .

وقال صجدن ساخراً :- لا يمكن أن يثق احد في النساء فان الواحدة منهن لا تحجم عن الكذب في سبيل الرجل الذي تحبه .

فقال هركيول بوارو :- هذا دليل على طيبة قلوبهن .

تذمر صجدن قائلاً :- هذا تفسير رجل أجنبي .. ولكن العدالة لا تهتم بمثل هذه الامور .

فقال بوارو :- أن العدلة شيء غريب حقا ! .. ألم تفكر فيها أبدا ؟

نظر صجدن اليه وقال :- انك غريب الاطوار يا مستر بوارو.

- أبدا .. انني أتبع المنطق في تفكيري .. ولكننا لن نتناقش في هذا الموضوع . أنت ترى إذن أن تلك الفتاة التى تعمل في محل الالبان لا تذكر الحقيقة .

هز صجدن رأسه وقال :- كلا ليس الامر كما تقول اطلاقاً ، وانصافا للحقيقة فانني أعتقد أنها تقول صدقا فهى فتاة ساذجة وأظن أنها لو كذبت على لبان كذبها على الفور .

فقال بوارو :- انك رجل مجرب .

- هذا صحيح يا مستر بوارو ، أن المرء إذا ما قضى مدة طويلة في استجلاء الحقائق يستطيع أن يعرف تقريبا متى يكذب الشاهد ومتى يقول الحق . كلا . أظن أن شهادة الفتاة صادقة ، وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن أن يكون هوربوري قد قتل الرجل العجوز ، وهذا يعود بنا الى أهل البيت .

وأخذ نفسا طويلا وقال :- ان واحداً منهم هو القاتل يا مستر بوارو .. واحد منهم هو القاتل .. ولكن من بالذات ؟

- أليست لديك معلومات جديدة ؟

- بلى . صادفني الحظ وأنا أتحقق من المكالمات التليفونية . لقد تكلم مستر جورج لي مع واسترنجهام في الساعة التاسعة الا دقيقتين واستمرت المكالمة ست دقائق .

- آه !

- ولم تكن هناك أى مكالمة أخرى في تلك الليلة .. لامع واسترنجهام ولا مع أى ناحية أخرى .

فقال بوارو :- هذا أمر على جانب كبير من الاهمية فان مستر جورج لي يقول انه فرغ من المكالمة حين سمع الجلبة في غرفة مستر لي ولكنه فرغ من مكالمته فعلا قبل الجلبة بنحو عشر دقائق ، فأين كان أثناء هذه الدقائق العشر . وتقول مسز جورج لي انها كانت تتكلم في التليفون هى الاخرى ، ولكنها في الحقيقة لم تتكلم فأين كانت ؟

فقال صجدن :- رأيتك تتحدث معها يا مستر بوارو .

وكان في صوته سؤال لم يفصح عنه ولكن بوارو أجاب :- أنت مخطىء .

- ايه ؟

- لم أكن أتحدث معها .. كانت هي التي تتحدث معي .

- أوه ...

وبدت أمارات الضجر على ملامح صجدن كما لو كان لا يبالي ، ولكنه لم يلبث أن أدرك المعنى الذى تنطوى عليه فقال :

- تقول أنها كانت تتحدث اليك .

- بكل تأكيد .. أقبلت هنا لهذا الغرض بالذات . أرادت أن توضح لي بعض النقاط .. الطابع غير الانجليزي لجريمة القتل .. والجانب الوراثي لمس استرافادوس من ناحية الاب .. وحقيقة أخرى هي التقاط مس استرافادوس لشيء ما من فوق أرضية الغرفة في تلك الليلة .

فقال صجدن في اهتمام :- هل حدثتك عن هذه الوقائع .. حقا ؟

- نعم .. ما الذي التقطته الآنسة ؟

تنهد صجدن وقال :- لن يمكن أن تحدس أبداً .. سوف أريك ذلك .. أنه أشبه بتلك الاشياء التى تجلو ما غمض من أسرار في الروايات البوليسية ، ولكن اذا استطعت أن تستنتج أى شيء فانني أعتزل وظيفتي في ادارة البوليس .

- أرني إياه .

أخرج صجدن من جيبه مظروفا أفرغ ما به في راحة يده واغتصب ابتسامة وهو يقول .

- ها هو ! .. ما رأيك في ذلك ؟

وفي راحة الرقيب الضخمة رأى بوارو قطعة صغيرة مثلثة الاضلاع من المطاط الوردي اللون وأسفينا من الخشب .

واتسعت ابتسامته وهو يرى بوارو يأخذ منه القطعتين عابسا وقال :

- هل تفهم شيئاً يا مستر بوارو ؟

- هذه القطعة من المطاط تبدو وكأنها اقتطعت من قالب الاسفنج الخاص بمستر لي .

- تماماً . هي قطعة اقتطعت من قالب من الاسفنج موجود بغرفة مستر لي . وقد اقتطعها بعضهم بواسطة مقص . ولعل مستر لي هو الذي اقتطعها بنفسه ، ولكنى لا أري لاى غرض فعل هذا . ولم يستطع هوربوري أن يقدم لي أى تفسير لهذا . أما قطعة الخشب ، فهى أشبه بالاسفين الذي يستخدم في لعب الورق ولكنه يكون من العاج عادة . أما هذا الاسفين فهو من

الخشب الفظ .. اقتطع في غير عناية أو دقة .

قال بوارو :- هذا رائع !

وقال صجدن بصدر رحب :- لك أن تحتفظ بهما ، اذا أردت فأنا لا أريدهما .

- ولكنني لا أريد أن أحرمك منهما .

- ألا تفهم منهما شيئاً ما .

- اعترف أنني لا أفهم شيئاً حقا .

فقال صجدن في سخرية بالغة وهو يعيدهما الى جيبه :- هذا عظيم .. أننا نتقدم .

وقال بوارو :- تقول مسز جورج لي ان الفتاة انحنت والتقطت هاتين القطعتين التافهتين محاولة أن لا يلحظها أحد ، فهل حدث هذا حقا ؟

فكر صجدن لحظة ثم قال مترددا :- كلا .. لا أظن ذلك .. لم يبد عليها أي ذنب .. لا شيء من هذا النوع .. ولكنها التقطتهما مسرعة وفي هدوء .. اذا كنت تعلم ما أعنى .. ولم تكن تعلم أنني أراها وهي تفعل ذلك .. وإنني واثق من هذا .. فقد أجفلت عندما طلبت منها أن تعطيني اياهما .

قال بوارو في تفكير :- هناك سبب اذن ؟ .. ولكن أى سبب يمكن أن يكون هذا .. ان قطعة المطاط هذه حديثة القطع .. ولم تستخدم في شيء بعد .. لا يمكن أن يكون لها معنى .. ومع ذلك ..

وقال صجدن في ضجر :- حسنا .. يمكنك أن تزعج نفسك بخصوصها اذا أردت يا مستر بوارو فان لدى أشياء أخرى أكثر أهمية .

سأله بوارو :- هل أصبت تقدما في أبحاثك ؟

أخرج صجدن دفتر مذكراته وقال :- دعنا نستعرض الحقائق .. ونبدأ بالاشخاص الذين لا يمكن أن يكونوا قد اقدموا على الجريمة .. وعلينا أن نستبعدهم أول كل شيء .

- ومن هم ؟

- الفريد وهاري لي . أن كلا منهما لديه الدليل علي أنه كان في مكان آخر عند وقوع الجريمة ، وكذلك مسز الفريد لي ، مادام تريسليان قد رآها في غرفة الاستقبال قبل أن تبدأ الجلبة في غرفة القتيل بدقيقة واحدة . هؤلاء الثلاثة أبرياء . ولننتقل الآن الى الآخرين . اننى أعددت قائمة باسمائهم ، واليك هى :

، وأعطى الدفتر الصغير لبوارو فقرأ هذا فيه

عند وقوع الجريمة

جورج لي ، أين كان ؟

مسز جورج لي : أين كانت ؟

دافيد لي : كان يعزف على البيانو في غرفة الموسيقى وقد أيدت زوجته ذلك .

مسز دافيد لي : كانت في غرفة الموسيقى ، وقد أيد زوجها ذلك .

مس استرافادوس : كانت في مخدعها . وليس لدينا أى دليل على ذلك .

ستيفن فار : كان يدير الحاكي في غرفة الرقص . وقد أيده ثلاثة من الخدم سمعوا الموسيقى وهم في غرفة المطبخ .

وقال بوارو وهو يرد الدفتر الى صجدن :- حسنا ؟

فقال صجدن :- وعلى ذلك فقد كان في مقدور جورج لي أن يقتل الرجل العجوز ، وكذلك كان في مقدور مسز جورج لي أن تقتله . وكان في مقدور بيلار استرافادوس أن تقتله هي الأخرى ، كما كان في مقدور كل من مستر ومسز دافيد قتله على حدة

غير مجتمعين .

- اذن فأنت لا تقبل الدليل الذي قدمه كل منهما .

هز الرقيب جدن رأسه في شدة :- أبدا .. ان كلا منهما شديد الاخلاص نحو الآخر . من الجائز أن يكونا قد اشتركا في ارتكاب الجريمة ولكن إذا كان أحدهما قد ارتكبها فان الآخر مستعد لان يسانده في أنه كان في مكان آخر . وأنا شخصيا أتصور الامر على هذه الصورة . كان أحدهما يعزف على البيانو في غرفة الموسيقى ، ولعله دافيد لي . بل من المحتمل أن يكون هو لانه موسيقي موهوب ، ولكن لا شيء يؤكد لنا أن زوجته كانت موجودة معه فيما عدا قوله ، ومن ناحية أخرى من الجائز أن تكون هيلدا هى التي كانت تعزف على البيانو بينما صعد دافيد لي ليقتل أباه . كلا . انها حالة شديدة الاختلاف عن حالة الاخوين اللذين كانا مجتمعين في غرفة الطعام . ان الفريد لي وهاري لي غير متحابين وما من أحد منهما يحنث بيمينه في سبيل الآخر .

- وما رأيك في ستيفن فار ؟

- إنه مشبوه محتمل هو الآخر فان قصة الحاكي قصة واهية .

ومن ناحية أخرى ، من الجائز أن يكون صادقاً في قوله فإن هذا النوع من الدليل قد يكون أقوى من أى دليل آخر وربما يكون معدا من قبل .

أحنى بوارو رأسه وقال في تفكير :- اننى أفهم ما تعنى انه دليل رجل لم يكن يتوقع أن تجبره الظروف على تقديم أى دليل .

- تماما . ومهما يكن من أمر فانني لا أعتقد أن رجلا أجنبيا قد اشترك في هذه الجريمة .

وأيده بوارو قائلاً على الفور :- اننى أوافقك على هذا فهذه جريمة عائلية .. انها جريمة دافعها الحقد .. الحقد الاعمى الدفين

وهز يديه واستطرد ، - اننى لا أدري ماذا أقول .. أن الامر شديد الصعوبة .

أصغى الرقيب صجدن اليه في صبر واحترام ولكن دون أن يبدو عليه أى تأثير ثم قال :

- هو ذلك يا مستر بوارو .. ولكننا سوف نصل الى الحقيقة بالاستبعاد والاستنتاج .. اننا واجهنا كل الاحتمالات الآن .. الاشخاص والمناسبات. جورج لي ومجدالين لي ودافيد لي وهيلدا

لي وبيلار استرافادوس وأضم اليهم ستيفن فار .. ولننتقل الآن الى الدافع .. من منهم لديه الدافع للتخلص من مستر لي العجوز .. هنا ، يمكننا أن نستبعد بعض الاشخاص أيضاً .. مثال ذلك مس استرافادوس ، فهي طبقا لوصية القتيل لا ترث شيئاً ، فلو أن مستر لي العجوز قد مات قبل ذلك لآل إليها نصيب أمها بطريقة آلية (إلا إذا أوصت أمها بغير ذلك) ولكن بما أن جنيفر استرافادوس ماتت قبل سيميون لي فان نصيبها يؤول شرعا الى أفراد الاسرة الآخرين ، ولهذا فقد كان من مصلحة مس استرافادوس أن تحرص على أن يظل الرجل العجوز على قيد الحياة ، فهو قد أحبها وكان من المؤكد أن يترك لها مبلغا كبيرا من ثروته عندما يعيد كتابة وصيته . أنها تفقد كل شيء بقتله ولا تستفيد شيئاً . هل توافقني على هذا ؟

- تماماً .

- ويبقى لدينا بالطبع احتمال آخر هو أنه ربما قطعت عنقه أثناء مشادة حامية وقعت بينهما ، ولكن هذا يبدو بعيد الاحتمال بالنسبة لي . فقد كانا قبل كل شيء على أحسن صلات الود والتفاهم ، ولم يمر بها وقت كاف لكي تشعر بالحفيظة ضده .

ولهذا لا يبدو لي أن لمس استرافادوس أى دخل في هذه الجريمة فيما عدا شيء واحد وأظنك توافقني عليه وهو أن ذبح رجل ليس بجريمة يقدم عليها رجل انجليزي كما قالت صديقتك مسز جورج لي .

فقال بوارو مسرعا :- لا تقل صديقتي ، وإلا تكلمت أنا الآخر عن صديقتك مس استرافادوس التى تراك رجلا وسيما جدا.

وسره أن يرى الرقيب يفقد جأشه مرة أخرى ، واحمر وجه صجدن . ونظر بوارو إليه في طرب خبيث وقال في لهجة حزينة :

- الواقع أن لك شاربا رائعاً .. قل لي ، هل تستخدم مرهما خاصا ؟

- مرهم ! .. يا الهى ! .. كلا .

- ماذا تستخدم اذن ؟

- ماذا أستخدم ؟ ... لا شيء على الاطلاق .. اننى اتركه ينمو بطريقة طبيعية .

تنهد بوارو وقال :- ان الطبيعة تحبوك بعطفها .

وداعب شاربه الاسود الغزير ثم تنهد وقال :- على الرغم من أن الصبغة غالية فانها تفقد الشعر قوته .

استطرد الرقيب صجدن يقول وهو لا يكترث بمشاكل تغذية الشعر .

- وإذا تأملنا الدافع الى الجريمة فانه يمكننا استبعاد ستيفن فار .. من المحتمل طبعا أن يكون قد وقعت مسألة إحتيال بين ابنه وبين مستر لي راح الاول ضحية لها . ولكنى في شك من ذلك فان ستيفن فار تكلم في هذه الناحية بصراحة وفي اقناع .. كان كبير الثقة مما يقول ولا أظن أنه كان يتصنع ذلك .. كلا . لا أظن أننا نجد شيئاً ما من هذه الناحية .

وقال بوارو ، - لا أظنك قد تجد شيئاً حقاً .

- وهناك شخص آخر لديه كل الاسباب التي تدفعه الى أن يحافظ على حياة مستر لي العجوز وأعنى به أبنه هاري . صحيح أنه يستفيد من الوصية ولكنى أعتقد أنه لم يكن يعلم ذلك .. لم يكن واثقا من هذا الامر بكل تأكيد ، فقد كان الشعور السائد هو أن الشيخ لي قد حرم هاري من الميراث منذ فراره من البيت ، وأنه في سبيل اكتساب عطفه من جديد . وكان من صالحه طبعا أن يحرر أبوه وصية جديدة . ولا يمكن أن تبلغ به الحماقة الى حد أن يقتله ، وكما نعلم نحن ، لا يمكن أن يكون قد

قتله . وها أنت ترى أننا نتقدم وأننا نستبعد من طريقنا اناسا كثيرين .

- هذا صحيح ، ولن يكون أمامنا أحد بعد قليل .

اغتصب صجدن ابتسامة وقال :- لن نذهب الى هذا الحد ، فما زال لدينا مستر جورج وزوجته ودافيد لي ومسز دافيد ، وكلهم يستفيدون من موته . وطبقا لما سمعت فان دافيد بشع جدا فيما يتعلق بالمادة زد على ذلك أن أباه هدده بأن يخفض راتبه . وهكذا يتوفر لجورج لي الدافع والفرصة .

فقال بوارو :- استمر .

- ولدينا كذلك مسز جورج ، فهى مولعة بالمال ولع القطة بالكريمة ، وأراهن على أنها تعاني من الديون الكثير في الوقت الحالي ، ثم أنها تغار من الفتاة الاسبانية ، وقد أدركت أن تلك الفتاة أخذت تكتسب حب جدها وعطفه ، وسمعته يقول انه أرسل الى المحامي فأسرعت وقتلته . يمكننا أن نقدمها الى المحاكمة على أنها هي القاتلة .

فتمتم بوارو :- هذا جائز .

- ولدينا كذلك دافيد لي وزوجته . انهما يرثان طبقا للوصية

الحالية . ولكنى لا أظن أن دافع المال كان له شأنه في ارتكابه الجريمة .

- حقا !

- كلا . فان دافيد لي يبدو لي رجلا خياليا أكثر منه محبا للمال .. ولكنه مع ذلك .. حسنا .. إنه شخص غريب .. ومن رأيي أن هناك دوافع ثلاثة محتملة لهذه الجريمة . فهناك مشكلة المال .. وهناك الوصية ، وهناك أيضاً .. حسنا ، هناك الحقد .. الحقد المحض ..

- آه .. هل ترى ذلك أيضاً ؟

فأجاب صجدن :- طبعا .. ان ذلك ماثل في ذهني منذ وقت طويل . اذا كان دافيد لي قد قتل أباه فلا أظن أنه أقدم على ذلك بدافع المال ، واذا كان هو القاتل فان هذا يفسر .. كل هذا الدم المراق ..

نظر بوارو اليه في اعجاب ثم قال :- نعم .. كنت اتساءل متى تهتم بهذه النقطة .. كل هذا الدم .. هذه كلمات مسز الفريد ... أن ذلك يرجع بنا الى الطقوس القديمة .. تضحيات الدم والتطهير بواسطة قربان الدم .

عبس صجدن وقال :- هل تعني أن القاتل مجنون ؟

- أى صديقي العزيز .. في كل رجل من الغرائز مالا علم له بها ... التلهف الى الدم .. والحاجة الى التضحية .

قال صجدن في شيء من الشك :- ان دافيد لي يبدو رجلا هادئاً غير مؤذ .

- أنت لا تفهم شيئاً في علم النفس . إن دافيد لي رجل يعيش في الماضى .. رجل مازالت ذكرى أمه حية في ذهنه .. وقد ظل بعيدا عن أبيه مدة طويلة لانه لم يستطع أن يغفر له معاملته لامه . وقد أقبل هنا وفي نيته أن يغفر .. ولكن من الجائز أنه لم يستطع أن يغفر ويصفح .. ونحن لا نعلم غير شيء واحد وهو أنه حين وقف دافيد أمام جثة أبيه هدأ وسكن وتملكه الارتياح .. طواحين الرب تطحن في بطء ولكنها تسحق الى ذرات رفيعة جدا .. الجزاء والعقاب.. الضيم الذي يمحوه التفكير.

سرت الرعشة في اوصال صجدن وقال :- لا تتكلم هكذا يا مستر بوارو .. انك تجمد الدم في عروقي ، ربما يكون الامر كما تقول ، واذا صح هذا فان مسز دافيد تعرف .. وتحاول أن تقيه من كل شك أو ريبة . .ولا أستطيع أن أتصورها وهى تفعل ذلك

.. ومن ناحية أخرى لا أستطيع أن أتصورها قاتلة ، فهى امرأة باسلة .

نظر بوارو اليه في اهتمام وقال :- أهذا هو رأيك فيها .

- حسنا . نعم . انها امرأة عادية اذا كنت تعلم ما أعنى .

- أوه .. اننى أفهمك جيدا .

نظر صجدن اليه وقال :- لا ريب أنك بنيت لنفسك رأيا في هذه الجريمة يا مستر بوارو ؟

أجاب بوارو في بطء :- أن لي رأيي كما تقول ولكنه لم يتضح بعد .. دعنى أرى رأيك أولاً في هذه القضية .

- حسنا . هناك كما قلت ثلاثة دوافع محتملة . الحقد والمال ومشكلة الماسات . ولنتأمل الحقائق حسب ترتيبها الزمني .

« في الساعة الثالثة والنصف : ذلك الاجتماع العائلي في غرفة مستر لي والحديث التليفوني بين الاب والمحامي أمام أفراد الاسرة ، ثم مهاجمة الرجل العجوز لاسرته ونعته لكل فرد منهم بحقيقته ثم خروجهم من غرفته كالارانب المذعورة .

وقال بوارو :- ولكن هيلدا بقيت بعدهم .

- انها بقيت فعلا ولكنها لم تمكث طويلا .. ثم دار حديث

بين الفريد وأبيه في الساعة السادسة .. وهو حديث بغيض لان هاري سيقيم في البيت، وهو أمر لا يطيب لألفريد. وينبغي أن يكون ألفريد هو مشبوهنا الرئيسي بالطبع، فان لديه دافعا قويا، ولكنني أستمر في قصتي فأقول أن هاري صعد لزيارة أبيه ، وكان وقحا وقد اكتسب أباه الى صفه ، ولكن قبل هاتين الزيارتين كان سيميون لي قد اكتشف سرقة الماسات واتصل بي تليفونيا ، ولم يذكر أمر هذه السرقة الى أى من ولديه فلماذا .. ؟ من رأيى أنه لم يفعل ذلك لوثوقه من أن لا دخل لهما في ذلك .. لم يكن يشك في أحد منهما ، وأعتقد أن الشيخ لي كان يشتبه في هوربوري كما قلت منذ البداية و .. في شخص آخر . وإني لعلى ثقة تقريبا مما كان يريد أن يفعل . تذكر أنه قال لذويه أنه لا يريد أن يرى أحدا منهم في تلك الليلة ، فلماذا .. ؟ لانه كان يعد العدة لشيئين أولهما زيارتي والثاني زيارة الشخص الاخر الذي يشتبه فيه فهو قد طلب من شخص بالذات أن يصعد لزيارته بعد العشاء مباشرة . والآن ، من يمكن أن يكون هذا الشخص ؟ من الجائز أن يكون جورج لي . ومن الجائز كذلك أن تكون زوجته . ثم هناك شخص آخر يعود الى المسرح.. وأعنى به بيلار استرافادوس،

فقد عرض عليها الماسات وذكر لها قيمتها . فمن يستطيع أن يؤكد أن هذه الفتاة ليست لصة ؟ تذكر تلك التعليمات بخصوص سلوك أبيها المشين . لعله كان لصا محترفا وزج به في السجن في آخر الامر لهذا السبب .

قال بوارو في بطء :- وهكذا تعود بيلار الى المسرح كما تقول .

- نعم ، بصفتها لصة . وليست هناك طريقة أخرى ، ومن الجائز أنها فقدت عقلها حين رأت أن أمرها افتضح فهجمت على جدها واعتدت عليه .

وعاد بوارو يقول في بطء :- هذا جائز .. نعم .

نظر الرقيب صجدن اليه في حدة وقال :- ولكن .. أليس هذا رأيك ؟ .. تكلم يا مستر بوارو .. ما رأيك .

فقال بوارو :- انني اعود دائماً الى نفس الشيء .. اخلاق القتيل وطباعه .. أى نوع من الرجال كان سيميون لي .

فقال صجدن وهو يحدق فيه :- ليس هذا بالامر المستغلق . .

- اذن حدثني عن هذا الرجل.. حدثني عن رأى الاهالي فيه .

مر الرقيب صجدن بأصبعه علي فكه في شيء من الشك

والحيرة وقال :

– انني لست من أهالي المنطقة .. وإنما أتيت من منطقة ريفرسايد المجاورة ، ولكن مستر لي العجوز كان رجلا مشهورا في هذه الانحاء بالطبع ، وقد سمعت عنه كل شيء .

– حقا .. ؟ وماذا سمعت ؟

أجاب صجدن :– حسنا .. يقال عنه انه كان رجلا شديد المراس شغوفا بالنساء ، حريصا ، لم يكن من السهل خداعه . ولكنه كان كريما مبسوط اليد يعطى بغير حساب . وإنه ليدهشني أن أرى مستر جورج لي على نقيض أبيه تماما .

قال بوارو :– آه . هناك سلالتان مميزتان في العائلة . الفريد وجورج دافيد وهم يشبهون أمهم ، على الاقل ظاهريا ، فقد تأملت بعض اللوحت الموجودة في البهو صباح اليوم .

واستطرد صجدن يقول :– كان مستر لي حاد الطباع . وكان يتمتع بسمعة سيئة فيما يتعلق بالنساء طبعا . وكان ذلك عندما كان لايزال شابا . وهو عاجز عن الحركة منذ مدة طويلة ، ولكنه كان كريماً دائماً في هذه الناحية . فكانت اذا وقعت له مشاكل مع النساء فانه كان يعوض الفتاة ويسخو في معاملته لها ويؤمن

مستقبلها . ولعله كان رجلا صالحاً ولكنه لم يكن وضيعاً . وقد عامل زوجته اسوأ معاملة وهجرها وسعى وراء كثيرات غيرها من النساء فماتت حزنا وكمدا كما يقال . ولكن هذا مجرد ادعاء فاني أعتقد أنها لم تكن سعيدة في حياتها فانها كانت مريضة دائماً ولم تتحسن صحتها أبداً ولا ريب هناك في أن مستر لي كان غريب الاطوار وأنه كان انتقامي النزعة ، لا يهدأ اذا أهانه أحد إلا إذا رد له اهانته ولو بعد أمد طويل .

. تمتم بوارو :- أن طواحين الرب تطحن في بطء ولكنها تسحق الى ذرات رفيعة جداً .

قال الرقيب صجدن في لهجة خطيرة ، كان احرى به أن يقول طواحين الشيطان ، فان سيميون لي لم يكن من القديسين .. فانه من ذلك النوع من الرجال الذين باعوا أنفسهم للشيطان وأطربتهم هذه الصفقة . انه كان متكبرا متعجرفا كابليس .

فقال بوارو :- متكبرا كابليس ! .. هذا قول له مغزاه .

قال صجدن وقد بدت عليه الحيرة :- لا أظنك تعنى أنه قتل لانه كان متكبرا ؟

فقال بوارو :- بل أعنى أن الوراثة أمر غريب .. فان سيميون

لي نقل هذه الكبرياء الى اولاده .

وأمسك . فقد خرجت هيلدا لي من البيت ووقفت تنظر اليهما .

- ٣ -

- أردت أن أتحدث إليك يا مستر بوارو .

اعتذر الرقيب صجدن وعاد الى البيت وتابعته هيلدا بعينيها وهي تقول :

- لم أكن أعلم أنه معك . ظننت أنه مع بيلار . يبدو لي أنه رجل ظريف يراعي شعور الغير .

كان صوتها عذبا رخيما خافت النبرات وسألها بوارو :- تقولين انك تريدين التحث الي ؟

أحنت رأسها وأجابت :- نعم . فانني اظن أنك تستطيع مساعدتي .

- يسرني أن أفعل ذلك يا سيدتي .

فقالت :- انك رجل ذكي جدا يا مستر بوارو ، وقد رأيت ذلك في الليلة الماضية فهناك أشياء أعتقد أنك سوف تهتدي

إليها بسهولة ، وأريدك أن تفهم زوجي .

- وكيف ذلك يا سيدتي ؟

- ما كنت لاتكلم هكذا مع الرقيب صجدن فهو لن يفهمني كما تفهمني أنت .

انحنى بوارو وقال :- انك تمنحينني شرفا كبيرا .

واستطردت هيلدا في حديثها فقالت :- ان زوجي معتل العقل منذ وقت طويل ، بل منذ أن تزوجته .

- آه !

- عندما يصاب المرء بجرح طبيعي كبير فإنه يتألم ويتعذب ولكنه لا يلبث أن يشفى فيلتئم الجرح وتلتئم العظام . وقد لا يتخلف عن ذلك غير أثر ضعيف أو ندبة ما ولكن لاشيء أكثر . ولكن زوجي يا مستر بوارو أصيب بجرح أدبي في تلك السن التي يكون فيها الشاب أشد ما يكون حساسية ، فقد كان يعبد أمه ورآها تموت ، وكان يعتقد طبعا أن أباه مسئول أدبيا عن موتها . ومنذ ذلك الحين وهو لم يشف أبداً من هذه الصدمة، وظل يحقد على أبيه منذ ذلك الوقت . وأنا التي أقنعت دافيد بالمجيء هنا لقضاء عيد الميلاد ليتصالح مع أبيه ، فقد تمنيت

ذلك .. لخيره .. فقد أردت لذلك الجرح الذهني أن يندمل . واني أدرك الآن أن مجيئنا هنا كان غلطة فان سيميون لي قد أطربه أن يغور بالسكين في أعماق الجرح ، وكانت هذه لعبة شديدة الخطر.

قال بوارو :- هل تريدين أن تقولي يا سيدتي ان زوجك قتل أباه ؟

- بل أقول يا مستر بوارو آن من الجائز ان يكون قتل اباه .. وأقول لك كذلك أنه لم يقدم على هذا العمل الشائن ، فعندما أرتكب القاتل جريمته وقتل سيميون لي كان دافيد يعزف مقطوعة «المارش الجنائزي» . كانت رغبة القتل تعتمل في قلبه ولكن تلك الرغبة تلاشت عبر أصابعه وماتت مع أنغام الموسيقى .. هذه هي الحقيقة .

ظل بوارو صامتا لحظة ثم قال :- وأنت يا سيدتي ؟ .. ما رأيك في مأساة الماضي .

- هل تعني موت مسز سيمنيون لي ؟

- نعم .

أجابت هيلدا في بطء :- انني عركت الحياة بما فيه الكفاية لكي أعلم أن من الصعب أن يصدر الانسان حكما على أي قضية

بناء على ظواهرها ، فان الظواهر كلها تدل على أن اللوم كله يقع على سيميون لي وأنه عامل زوجته أسوأ معاملة . ولكنني في نفس الوقت أعتقد أنه كان هناك من ناحيتها نوع من الخنوع وميل فطري للاستشهاد يثير أسوأ الغرائز في نوع من الرجال بالذات . وأظن أن سيميون لي كان يفضل أن يرى زوجته مرحة قوية الشخصية ، وقد ساءه صبرها ودموعها .

أومأ بوارو برأسه وقال :- ان زوجك قال في الليلة الماضية :

«ان امي لم تشك أبدا أو تتذمر .. فهل هذا صحيح ؟»

أجابت هيلدا في ضجر :- ليس هذا صحيحاً طبعاً . إنها كانت تشكو طوال حياتها وتبث شكواها لدافيد . ألقت حمل تعاستها كله فوق كتفيه .. كان لايزال صغيرا .. صغيرا جدا لكي يحمل كل ما القته عليه .

نظر بوارو اليها في تفكير ، واحمر وجهها تحت نظرته وعضت شفتيها . وقال :

- انني أرى .

فسألته في حدة :- ماذا ترى ؟

فأجاب :- أرى أنك أصبحت أما لزوجك في حين أنك كنت

تؤثرين أن تكوني زوجة له .

أشاحت هيلدا بعينيها . وفي هذه اللحظة خرج دافيد من البيت وتقدم نحوها وقال وفي صوته رنة من المرح :

- يا له من يوم رائع يا هيلدا ! .. يخيل لي أننا في الربيع ولسنا في الشتاء .

وازداد اقترابا . وكان يطوح برأسه الى الخلف وقد تدلت خصلة من شعره الاشقر فوق جبينه وتألقت عيناه .. بدا صغير السن بشكل عجيب ، كما لو كان لايزال صبيا . كانت ملامحه تنطق بحماس الشباب وخلوه من الهموم . ولم يتمالك هركيول بوارو نفسه فنظر اليه مبهور الانفاس .

وقال دافيد :- فلنمض إلى البحيرة يا هيلدا . .

ابتسمت وتأبطت ذراعه وابتعدا معا . واذ وقف بوارو يشيعهما بعينيه رآها تلتفت اليه وترميه بنظرة سريعة ورأى في نظرتها لمحة خاطفة من القلق .. أو لعلها لمحة من الخوف .. لم يدر .

ومضى بوارو في خطوات بطيئة نحو آخر الحديقة وتمتم يقول:

- طالما قلت لنفسي أنني الاب الذي يدلون اليه باعترافاتهم.

وحيث أن النساء هن اللاتي يعترفن أكثر من الرجال فقد اتتني امرأة هذا الصباح وأدلت الى باعترافها ، فهل تأتيني امرأة أخرى لكي تعترف لي .. انني لأتساءل ؟ ..

وإذ بلغ آخر الحديقة واستدار لكي يعود أدراجه أدرك أن سؤاله لم يعد سؤالا فان ليديا لي كانت تتقدم نحوه .

- ٤ -

قالت ليديا :- صباح الخير يا مستر بوارو . قال لي تريسليان انني ساجدك هنا . مع هاري ولكن يسرني أن أراك وحدك . كان زوجي يتحدث عنك واني أعلم أن به رغبة شديدة في أن يتحدث معك .

- آه . هذا صحيح » .. هل أذهب لاراه الآن ؟

- كلا . ليس الآن ، فهو لم ينم إلا غرارا في الليلة الماضية . وقد أعطيته منوما أخيرا . وهو لايزال راقدا ولا أريد أن يزعجه أحد .

- انني أفهم تماما ياسيدتي . هذا عمل حكيم لقد رأيت أمس أن الصدمة كانت شديدة الوطأة عليه .

وقالت في لهجة خطيرة :- هل تعلم يا مستر بوارو أن موت أبيه احزنه أكثر مما أحزن الاخرين ؟

- أعلم ذلك .

- الديك .. أو لدي الرقيب آية فكرة عمن استطاع أن يرتكب هذه الجريمة البشعة ؟

فقال بوارو بتردد :- بل لدينا آراء معينة عمن لم يرتكبها يا سيدتي .

وقالت ليديا في ضجر :- لكأننا نعيش كابوسا بشعا . لا أستطيع أن أصدق أن هذا قد حدث حقا .

ثم أردفت تقول :- وماذا عن هوربوري ؟ .. هل كان في السينما كما يقول حقا ؟

- نعم يا سيدتي . لقد تحققنا من قوله . إنه ذكر الحقيقة .

توقفت ليديا وانتزعت غصنا صغيرا من إحدى الشجيرات ، وشحب وجهها قليلا وقالت :

- ولكن هذا مروع ! .. اذا صح ذلك فلم يبق أمامنا .. غير الاسرة .

- تماما .

- انني لا أستطيع أن أصدق ذلك يا مستر بوارو .

- بل تستطيعين .. وتستطيعين وتصدقينه يا سيدتي .

همت بأن تحتج ولكنها لم تلبث أن ابتسمت في اكتئاب وقالت :

- نعم .. ما أشد نفاقي !

أومأ بوارو برأسه وقال :- لو أردت أن تكوني صريحة معي يا سيدتي لوافقتني على أن من الطبيعي أن يبدو لك أن فردا من أفراد الاسرة هو الذي قتل حماك .

قالت ليديا في حدة :- من الغريب حقا أن تقول مثل هذا القول يا مستر بوارو .

- هذا صحيح . ولكن حماك كان رجلا غريب الاطوار .

قالت ليدي :- يا للرجل المسكين ! .. انني أرثي له الآن . عندما كان على قيد الحياة كان يثيرني بشكل لا يوصف .

قال بوارو :- انني اتصور ذلك .

وانحنى فوق أحد الاحواض الحجرية وقال :- هذه الحدائق رائعة .. إنها جميلة .

- يسرني أنها تروق لك .. فهذه احدي هواياتي .. هل تحب

هذه الحديقة الشمالية وطيور البنجوين والجليد ؟

- انها ساحرة .. وهذا الحوض ؟ .. ماذا يمثل ؟

- أوه .. انه البحر الميت .. أو هكذا سيكون ، فانني لم أفرغ منه بعد .. لا يجب أن تنظر اليه .. وهذه الحديقة من المفروض أن تمثل حديقة ديانا في جزيرة كورسيكا .. والصخور هناك قرنفلية اللون كما تعرف ، وتبدو جميلة وهي تمتد نحو البحر الازرق.. وهذا المشهد الذي يصور الصحراء جميل.. ألا ترى ذلك؟

وأخذت تريه الاحواض واحدا واحدا ، وعندما بلغت آخر الحديقة نظرت الى ساعتها وقالت :

- يجب أن أذهب الآن لكي أرى إذا كان الفريد قد استيقظ.

وعندما اختفت عاد بوارو في خطوات بطيئة الى الحديقة الصغيرة التي تمثل البحر الميت . ونظر اليها في اهتمام كبير ثم انحنى والتقط حفنة من الحصى وألقى عليها نظرة خاطفة ، ولكن لم يلبث أن تغيرت سحنته وادنى الحصى من عينيه وقال :

- يا الهي ! .. هذه مفاجأة ! .. ما معنى هذا بالتحديد ؟

الفصل الخامس

٢٦ ديسمبر

نظر رئيس البوليس والرقيب صجدن الى بوارو في شيء من الشك .. كان ذلك الاخير قد وضع الحصى الصغيرة في صندوق صغير من الورق المقوى ودفعه الى رئيس البوليس وهو يقول :

- أوه ، نعم .. هذه هي الماسات حقا ؟

- وأين وجدتها ؟ .. أتقول في الحديقة ؟

- نعم .. في إحدى الحدائق المصغرة التي صنعتها مسبز الفريد لي .

هز صجدن رأسه وقال :- مسز ألفريد ؟ .. هذا بعيد لاحتمال !

فقال بوارو :- لعلك تقصد أن تقول ؟ .

اسرع صجدن يقول :- اننا نعلم انها لم تفعل ذلك . كنت أقصد أن أقول أن من غير المعقول أن تكون هى التى سرقت الماسات .

فقال بوارو :- ليس من السهل أن يعتقد المرء انها لصة .

وقال صجدن :- في مقدور أى شخص أن يخفيها هناك .

- هذا صحيح .. إن هذه الحديقة الصغيرة .. التي تمثل البحر الميت ، والتي تحيط بها الحصباء لخير مكان لاخفاء هذه الماسات الخام فهى قريبة الشبه بالحصى .

قال صجدن :- هل تعنى أنها صنعت هذه الحديقة الصغيرة لهذا الغرض بالذات .

فأسرع الكولونيل جونسون يقول :- لا اعتقد ذلك لحظة واحدة .. ابدا .. فأول كل شيء لماذا تسرق هذه الماسات .

قال صجدن في بطء :- حسنا .. ربما ...

ولكن بوارو أسرع يقول مقاطعا :- هناك تفسير معقول . أنها سرقت المسات لكي تعتقد أن السرقة هي الدافع الى القتل . ومعنى هذا أنها كانت تعلم أن جريمة القتل وشيكة الوقوع على

الرغم من أنها لم تشترك في ارتكابها .

قطب جونسون جبينه وقال :– ان هذه النظرية لا تستند على أساس ، فأنت تجعل منها شريكة للقاتل .. ولكن شريكة من يكون من الموجودين ؟ .. لا يمكن أن تكون شريكة أحد غير زوجها ، ونحن نعلم أنه لم يرتكب هذه الجريمة .. وعلى هذا فان نظريتك تتهاوى الى الأرض .

داعب صجدن ذقنه في شيء من التفكير وقال :– نعم . هو ذلك .. اذا كانت مسز لي سرقت هذه الماسات ، وأقول إذا .. فان ذلك يكون مجرد سرقة لادخل لها بجريمة القتل ويحتمل أن تكون قد أعدت هذه الحديقة خصيصاً لاخفاء الماسات الى أن ينسى الجميع أمرها . وهناك احتمال آخر ، هو أن السارق ايا كان أمره ، ربما رأى الحديقة بما فيها من حصى صدفة واتفاقا وخطر له انها المخبأ المثالي لاخفاء الماسات بينها .

قال بوارو :– هذا جائز . انك مستعد دائماً لقبول نظرية الصدفة والاتفاق .

هز الرقيب صجدن رأسه في شيء من الشك في حين قال بوارو :– ما رأيك أيها الرقيب ؟

فأجاب هذا الاخير في حذر :- ان مسز لي امرأة ظريفة جدا، وليس من المعقول أن تشترك في مثل هذا العمل . ولكن من يدري ؟

وقال الكولونيل جونسون في استياء :- مهما يكن من أمر هذه الماسات فلا دخل لها في جريمة القتل ، فقد رآها رئيس الخدم في غرفة الصالون في ساعة الجريمة . هل تذكر يا بوارو ؟

فأجاب بوارو :- لم أنس هذه الواقعة .

وتحول رئيس البوليس الى احد مرؤوسيه وقال :- من الأوفق أن نستمر .. ماذا لديك من أنباء ؟ .. هل من جديد ؟

- نعم يا سيدي .. جمعت بعض المعلومات . وسوف أبدأ بهوربوري ، فقد اكتشفت سبب خوفه من البوليس .

- هل سرق شيئاً ؟

- كلا يا سيدي . انه يمارس التهديد لابتزاز المال .. وقد حصل على بعض المبالغ بهذه الوسيلة ولكننا لم نستطع الحصول على أدلة كافية لكي تدينه . ولما كان ضميره يثقله فقد خطر له طبعا أن البوليس انما يهتم بأمره هو حين ذكر له تريسليان أن أحد ضباط البوليس قد أقبل لمقابلة مستر لي .

فقال رئيس البوليس :- حسنا ، هذا ما كان من أمر هوربوري .. هل لديك شيء آخر ؟

سعل الرقيب وقال :- أوه . بخصوص مسز جورج لي يا سيدي .. قبل أن تتزوج كانت تعيش مع القبطان جونس .. وكانت تدعى انها ابنته .. ولكنها لم تكن كذلك . وقد علمت أن مستر لي العجوز كشف حقيقتها بطريقة مهذبة . فقد كان خبيراً بالنساء ، لا يكاد يرى واحدة منهن حتى يعرف حقيقتها ، وقد اطربه أن يرمي برميته في الظلام ، وقد أصابت .

وقال الكولونيل جونسون في تفكير:- هذا دافع آخر محتمل، غير دافع المال . لعلها حسبت أنه يعرف عنها شيئاً بالذات وانه سيذكر هذا الشيء لزوجها وقصة حديثها التليفوني قصة زائفة فهي لم تتصل بأحد .

وقال صجدن مقترحاً :- ماذا لو ندعوهما معا يا سيدي لكي نحاول أن نجلو قصة هذا الحديث التليفوني .

فقال الكولونيل جونسون :- فكرة طيبة !

ودق الجرس وأقبل تريسليان على الفور فخاطبه الكولونيل قائلاً :

- سل مستر جورج لي أن يحضر .

- حسنا يا سيدي .

واذ هم الخادم العجوز بالانصراف قال له بوارو :- الم يغير أحد تاريخ نتيجة الحائط بعد وقوع الجريمة .

التفت تريسلبان اليه وقال :- أى نتيجة يا سيدي ؟

- النتيجة المعلقة بحائط هذه الغرفة .

كان الرجال الثلاثة يجلسون في غرفة مستر الفريد لي . وكانت النتيجة المذكورة من ذلك النوع المطبوع بالحروف الكبيرة والتي تحمل كل ورقة من ورقاتها تاريخ يوم واحد .

وقال تريسليان :- معذرة يا سيدي . ان الورقة التي تحمل تاريخ الامس قد انتزعت ، فاليوم هو السادس والعشرون .

- آه ، معذرة . من الذي يقوم بانتزاع الاوراق يوميا ؟

- مستر لي يا سيدي ، إنه ينتزعها كل يوم .. ان مستر الفريد لي رجل دقيق جدا .

- آه . شكرا لك .

وخرج تريسليان . وقال صجدن وقد ظهرت عليه امارات الحيرة :

- ما الغرابة في هذه النتيجة يا مستر بوارو ؟ .. هل هناك شيء لم أفطن إليه ؟

هز بوارو كتفيه وأجاب :- ليس هناك أى أهمية له النتيجة .. أنما كنت أقوم بتجربة صغيرة .

وقال الكولونيل جونسون :- سيجرى التحقيق غدا .. وسو تؤجل الجلسة طبعا .

وقال صجدن :- نعم يا سيدي . انني رايت وكيل النيابة وقد تمت الترتيبات لتأجيل الجلسة .

- ٢ -

دخل جورج لي الغرفة ترافقه زوجته . وحياهما الكولون جونسون قائلاً :

- صباح الخير . هلا تفضلتما بالجلوس ؟ أريد أن أل عليكما بضعة أسئلة بخصوص شيء بالذات .

قال جورج في صوت خطابي :- يسرني أن أقدم لك كل أستطيع من مساعدة .

وقالت زوجته في ضعف :- طبعاً .

أومأ رئيس البوليس ايماءة خفيفة الى صجدن . وقال هذا الاخير :

- ان الامر يتعلق بذلك الحديث التليفوني الذي اجراه كل منكما ليلة الجريمة . أظنك قلت انك اتصلت بواسترنجهام يا مستر لي ؟

أجاب جورج لي في برود :- نعم . مع الوكيل الذي يتولى أمور دائرتي الانتخابية . يمكنك أن تتصل به لكي ..

رفع المفتش صجدن يده ليوقفه عن الحديث وقال :- حسنا جدا .. حسنا جدا يا مستر لي . إننا لا نجادلك في هذه النقطة ، فقد تمت مكالمتك في الساعة الثامنة والدقيقة التاسعة والخمسين.

- حسنا . لا أستطيع أن أحدد الوقت بالضبط .

- آه ، ولكننا متأكدون من هذه النقطة ، فاننا نحرص دائماً على التحقق من مثل هذه النقاط .. لقد بدأت المكالمة في تمام الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة .. وقد قتل ابوك يا مستر لي في نحو التاسعة والربع ، ولهذا آراني مضطرا أن أسألك من جديد ماذا فعلت في ذلك الوقت ؟

- لقد قلت لك .. إنني كنت أتكلم في التليفون .

- كلا يا مستر لي .. لم تكن تتكلم في ذلك الوقت .

- هراء .. لا ريب أنك أخطأت .. حسن .. ربما أكون قد فرغت من حديثي التليفوني في ذلك الوقت . وكنت أفكر في طلب مكالمة ثانية وأن أزن الامر بيني وبين نفسي واتساءل اذا كان هناك ما يستدعي ذلك .. حين سمعت تلك الجلبة في الطابق العلوي .

- لا أظنك تحتاج الى عشر دقائق لكي تعرف اذا كان يجب أن تتكلم أم لا ..

اضطرم وجه جورج وتمتم يقول :- ماذا تعني ؟ .. ماذا تعني بحق الشيطان ؟ .. ما هذه الوقاحة ؟ .. هل تشك في قولي ؟ .. تشك في قول رجل في مثل مركزي .. هل .. أيجب أن أقدم لك حسابا عن كل دقيقة من وقتي .

قال الرقيب صجدن في هدوء اثار إعجاب بوارو :- هذا أمر عادي .

تحول جورج الى رئيس البوليس وقال محنقاً :- كولونيل جونسون .. هل تؤيد هذا .. هذا التصرف الغريب ؟

أجابه الكولونيل جونسون في هدوء :- عندما تقع جريمة قتل يا مستر لي فلابد من القاء هذه الاسئلة .. والرد عليها .

- انني رددت عليها . فرغت من مكالمتي .. وكنت اتساءل هل أتحدث ثانية ..

- هل كنت موجودا في هذه الغرفة بالذات عندما وقعت الجريمة ؟

- نعم .. نعم .. كنت موجودا فيها .

تحول جونسون الى مجدالين وقال :- أظن يا مسز لي انك قلت انك كنت تتحدثين في التليفون عندما ارتفعت الجلبة ، وأنك كنت بمفردك في هذه الغرفة عندئذ .

اضطرم وجه مجدالين وانبهرت أنفاسها والقت نظرة جانبية الى زوجها ثم الى صجدن .. ثم نظرت الى جونسون في رجاء وتوسل وقالت :

- أوه .. الحق انني لا أعرف .. لا أذكر ماذا قلت .. كنت شديدة الانفعال .

وقال صجدن :- انت تعرفين اننا اخذنا اقوالك كتابة .

تحولت اليه ونظرت اليه بعينيها المتسعتين في رجاء وابتهال

واختلجت شفتاها ولكنها لم تلق إلا نظرة جامدة باردة من رجل صارم متزمت الاخلاق لا يقر هذا النوع من النساء . وتمتمت تقول في ارتباك .

– نعم .. نعم .. تكلمت في التليفون طبعا ، ولكنى لست واثقة متى ..

وأمسكت فصاح جورج – ماذا تقولين ؟ .. من أين تكلمت ؟ .. انك لم تتكلمي من هذه الغرفة .

وقال الرقيب صجدن :– أظن يا مسز لي أنك لم تتكلمي في التليفون على الاطلاق ، وإذا صح ذلك فاين كنت وماذا كنت تفعلين ؟

نظرت مجدالين حولها ذاهلة ثم اجهشت بالبكاء قائلة :– جورج .. لا تدعهم يدفعونني هكذا .. فأنت تعرف أنه اذا أخافني أحد وأمطرني بالاسئلة فانني لا أستطيع أن أذكر أى شىء على الاطلاق .. لا أدري ماذا قلت في الليلة الماضية فقد كان الامر مروعا جدا وكنت شديدة الاضطراب .. وهم الآن يعاملونني بطريقة بغيضة .

وهبت واقفة واندفعت الى الخارج وهى تبكي

ونهض جورج واقفاً وقال متوعدا :- ما هذا ؟ .. انني لا اسمح بأن تعاملوا زوجتي هكذا .. انها شديدة الحساسية ، وهذه طريقة شائنة .

ومضى إلى الخارج وصفق الباب خلفه .

وطوح الرقيب صجدن رأسه إلى الخلف وقهقه ضاحكا ثم قال:- انهما وقعا في الفخ .. سوف نرى الباقي .

قال جونسون عابسا :- هذه قصة غريبة .. تدعو الى الشك .. يجب أن نستجوبها من جديد .

وقال صجدن ، - أوه .. ستعود بعد دقيقة أو دقيقتين .. بمجرد أن تجد تفسيراً مناسباً .. اليس كذلك ؟ يا مستر بوارو ؟

وكان بوارو جالساً كما لو كان في حلم فاجفل وقال :- معذرة !

- أقول أنها ستعود .

- هذا جائز .. نعم .. يحتمل أن تعود .

وسأله صجدن وهو يتفرس فيه :- ما الخبر يا مستر بوارو ؟ .. هل رأيت شبحا ؟

وقال بوارو في بطء :- لعمري .. يخيل لي ذلك .

وقال الكولونيل جونسون في فروغ صبر :- حسنا يا صجدن .. هل هذا كل شيء ؟

فأجابه صجدن :- انني تحققت كذلك من قدوم كل منهم على مسرح الجريمة . ويتضح لنا الآن ما حدث . فبعد أن وقعت الجريمة وبعد أن أطلق القتيل صيحته وهو يلفظ روحه تسلل القاتل الى الخارج وأغلق الباب مستعينا بكلابة أو بشيء أشبه بذلك ، وبعد لحظة أو لحظتين اختلط بالقوم الذين اسرعوا الى غرفة مستر لي لاستطلاع الامر ولسوء الحظ ، من العسير أن نتحقق مما رآه كل منهم بالذات لان ذاكرة المرء تتعقد في مثل هذه الظروف ، فان تريسليان يقول انه رأى هارى والفريد يخرجان من غرفة الطعام ويجتازان الردهة ويصعدان السلم ، وشهادته هذه تخرجهما من الموضوع ، ومع ذلك فنحن لم نكن نشك فيهما .. وأذكر أن الانسة استرافادوس كانت آخر من أقبل . ويبدو أن الرأى العام قد اجمع على أن مستر فار ومسز جورج ومسز دافيد كانوا أول من أقبل . وكل هؤلاء الاشخاص الثلاثة يقول ان واحدا من الاثنين الآخرين كان موجودا قبله . ومن العسير التمييز بين شهادة كاذبة وبين اكذوبة اختيارية . لقد أسرع الجميع الى

مكان الجريمة .. وهذه حقيقة معلومة ، ولكن ليس من العسير ان نعرف من كان أسبق من الآخرين .

وقال بوارو يسأل في هدوء :- هل تعلق أهمية كبيرة على هذه النقطة ؟

- أنني أهتم بعنصر الوقت .. تذكر آن الوقت كان قصيرا جدا .

- انني أشاركك الرأى في أن عنصر الوقت ذو أهمية كبيرة.

واستطرد صجدن يقول :- ومما يزيد الامر تعقيدا أن هناك سلمين : السلم الكبير ويبدأ من الردهة ويبعد عن غرفة الطعام وغرفة الاستقبال بمسافة متساوية أما السلم الاخير فيقع في الناحية الاخرى من البيت . وهذا السلم الاخير هو الي استخدمه ستيفن فار ، وتقع غرفة مس استرافادوس في اعلى هذا السلم الرئيسي .

- هذا أمر يدعو الي الارتباك حقا .

فتح الباب في هذه اللحظة ودخلت مجدالين بسرعة . كانت مبهورة الانفاس مضطربة الوجنتين ودنت من المنضدة وقالت في صوت هادىء :

- ان زوجي يعتقد أنني أستجم الآن ، وقد تسللت من غرفتي في هدوء .

وتحولت بعينين ملؤهما الجزع إلى رئيس البوليس . وقالت :- كولونيل جونسون، اذا ذكرت لك الحقيقة فهل تحتفظ بها لنفسك؟ .. أعنى .. ألا تذيعها على الملأ .

فأجابها الكولونيل : أتعنين أنه ليس لما ستذكرين لي أية صلة بالجريمة ؟

- أجل . لا صلة لها بالجريمة .. فالامر يتعلق بحياتي الخاصة.

فقال رئيس البوليس :- الاوفق أن تعترفي بكل شيء وأن تتركى الامر لتقديرنا .

قالت مجدالين والدموع تنهمر من عينيها :- حسنا .. سوف أثق بك ، وأنني أعلم أنني أستطيع أن أركن اليك .. فانك تبدو شفوقا جدا .. هذا هو الامر إذن .. هناك رجل .

وامسكت فاستحثها قائلاً :- نعم يا مسز لي ؟

- ارذت أن أتكلم في التليفون أمس مع شخص .. رجل .. صديق لي ، ولم أكن أريد أن يعرف جورج ذلك .. وإني أعلم أن

هذا عمل غير لائق ولكن هذا هو ما حدث ، ولهذا ذهبت لكي أتكلم في التليفون بعد أن فرغنا من تناول العشاء . وكنت أظن أن جورج مازال جالسا في غرفة الطعام ولكني عندما اقتربت من هذه الغرفة سمعته يتكلم في التليفون فانتظرت .

وسأل بوارو :- وأين انتظرت يا سيدتي ؟

- هناك مكان به شماعة للمعاطف خلف السلم ، وهو مكان مظلم وقد تسللت اليه لكي أرى جورج عند انصرافه ، ولكنه لم يخرج ، ولم ألبث أن سمعت تلك الجلبة في الطابق العلوى والصرخة التي أطلقها مستر لي .

- لم يغادر زوجك اذن تلك الغرفة حتى ساعة إرتكاب الجريمة؟

- كلا .

وقال رئيس البوليس :- وهل انتظرت في ذلك المكان المظلم من الساعة التاسعة حتى التاسعة والربع ؟

- نعم . ولكني لم أستطع أن أقول ذلك كما ترى ، فقد خشيت أن يسألوني عما كنت أفعل في مكاني هذا . وهو عمل أخرق . اليس كذلك ؟

قال جونسون في برود :- كان عملا آخرق بالطبع !

القت اليه نظرة ساحرة وقالت ، - إننى أشعر بالارتياح الشديد إذ اعترفت لكم بالحقيقة. إنكم لن تذكروا ذلك لزوجي، اليس كذلك ؟ .. أعلَم أنني أستطيع أن أثق بكم جميعا .

وشملتهم كلهم بنظرة كلها توسل ورجاء ثم غادرت الغرفة مسرعة وتنهد الكولونل جونسون وقال :

- حسنا .. لعل هذا ما حدث حقا .. فان قصتها تبدو معقولة .. ومن ناحية أخرى ..

واختتم ضجدن الحديث قائلاً :- ربما تكون كاذبة .. اننا لا ندري .

- ٣ -

وقفت ليديا أمام النافذة الاخيرة لغرفة الاستقبال ، وكانت الستارة السميكة تحجب نصف وجهها وسمعت صوتا في الغرفة جعلها تلتفت مجفلة، فرأت هركيول بوارو واقفا بالباب ، فقالت:

- إنك اخفتني يا مستر بوارو .

- انني أعتذر يا سيدتي ، فإننى أمشى برفق .

وقالت حسبتك هوربوري .

هز بوارو رأسه وقال :- هذا صحيح . إنه يسير برفق هو الآخر .. كما يسير القط .. أو اللص .

وأمسك عن الحديث وراح يراقبها ، ولم ينم وجهه عن شيء . ولكنها كشرت في اشمئزاز وقالت ،

- انني لم أطمئن ابدا الى هذا الرجل ، وسيكون من دواعي سروري أن أتخلص منه .

- أظن أن من الحكمة أن تفعلي ذلك يا سيدتي .

رفعت بصرها اليه مسرعة وقالت :- ماذا تعنى ؟ .. هل تعرف شيئاً ضده ؟

فقال بوارو :- هو رجل يسعى وراء الاسرار والفضائح لكي يستخدمها لفائدته .

فقالت في حدة :- هل تعتقد أنه يعرف شيئاً .. بخصوص الجريمة ؟

هز بوارو كتفيه وقال :- إنه يملك قدمين صامتين واذنين طويلتين ، ولعله سمع شيئاً صدفة واتفاقا يحتفظ به لنفسه .

سألته ليديا في وضوح :- هل تعني أنه قد يحاول تهديد

واحد منا ؟

- هذا محتمل . ولكني لم آت لهذا السبب .

- لأى شيء أتيت اذن ؟

أجاب بوارو في بطء :- كنت أتحدث مع مستر الفريد لي .. وقد عرض على اقتراحا وأريد أن أعرف رأيك قبل أن أقبله أو أرفضه . لكنى أخذت بالصورة التى رأيتها امامي .. أعنى التناسب الجميل بين لون فستانك ولون الستارة بحيث لم يسعني إلا أن أقف مكاني وقد تملكني الاعجاب الشديد .

فقالت ليديا في حدة :- هل يجب أن نضيع وقتنا في المجاملات يا مستر بوارو ؟

- معذرة يا سيدتي .. فان قليلا من السيدات الانجليزيات يستوعبن فن التجميل وفي الليلة التى رأيتك فيها لاول مرة كنت ترتدين ثوبا بسيطا وجريئاً في نفس الوقت .. أضفى عليك رقة وسموا .

فسألته في فروغ صبر :- لماذا أردت أن تراني ؟

بدا الجد على وجه بوارو وقال :- اليك الامر اذن يا سيدتي . أن زوجك يريد مني أن أقوم بتحقيق جدي ويطلب مني أن أبقي

هنا في البيت وأن أبذل جهدي لكي أميط اللثام عن هذه المسألة .

فقالت ليديا في حدة :- حسنا ؟

قال بوارو في بطء :- انني لا أستطيع قبول هذه الدعوة مالم تقرها سيدة البيت .

فقالت في برود :- انني أقر دعوة زوجي لك بالطبع .

- نعم يا سيدتي . ولكني بحاجة الى أكثر من هذا .. هل تريدين مني البقاء هنا حقا ؟

- ولم لا ؟

- لنكن أكثر صراحة . اليك سؤالى هذا .. هل تريدين اظهار الحقيقة أم لا ؟

- أريد أظهارها طبعا .

تنهد بوارو وقال :- هل لابد من اللجوء الى هذه الردود العادية ؟

فأجابت :- ولكني امرأة عادية .

ثم عضت على شفتيها وقالت في تردد ، - لعل من الافضل أن أتكلم في صراحة . انني أفهمك كل الفهم ، والموقف ليس من

المواقف السارة ، فان حماي قتل بطريقة بشعة وما .. مالم يقم الدليل ضد الذي تحوط به الشبهات أكثر من غيره وأعنى به هوربوري .. وتثبت عليه تهمتا السرقة وجريمة القتل ، ويبدو أن هذا غير ممكن ، فلابد لنا من مواجهة الحقيقة وهى أن واحدا منا هو الذى قتل .. وتقديم الجاني الى القضاء معناه مجلبة للخزي والعار على العائلة كلها .. وإذا إنا توخيت الصراحة لقلت لك انني لا أريد أن يقع هذا .

فقال بوارو :- هل يسرك أن يفلت الجاني من الجزاء ؟

- هناك جناة كثيرون ، في أرجاء العالم قد افلتوا من الجزاء.

- هذا صحيح يا سيدتي .

- هل هناك ضير في أن يزدادو واحدا آخر ؟

فقال بوارو :- وماذا يكون من شأن افراد الاسرة الآخرين؟ .. أعني الأبرياء ؟

تفرست ليديا فيه وسألته :- ماذا تعني ؟

- الا تدركين إنه إذا انتهت القضية كما تشائين فلن يعرف أحد الحقيقة أبدا .. وأن ظل الشك سيحلق فوق الجميع ؟

فقالت مترددة ، - لم أفكر في هذا

قال بوارو :- لن يعرف أحد ابدا من الذي ارتكب الجريمة .

واردف يقول برفق :- الا إذا كنت تعرفين الحقيقة يا سيدتي.

فصاحت :- لا حق لك في أن تقول لي ذلك يا سيدي . إن هذا غير صحيح .. أوه .. كم أتمنى أن يكون الجاني رجلا غريبا .. وأن لا يكون واحدا من الاسرة .

فقال بوارو :- ربما يجمع بين الصفتين يا سيدتي . تفرست فيه قائلة :- ماذا تعني ؟

- ربما يكون فرد من أفراد الاسرة .. وغريبا عنها في نفس الوقت .. ألا تفهمينني ؟ .. حسنا .. إنها فكرة من بنات أفكار هركيول بوارو !

وحدق فيها واستطرد :- حسنا يا سيدتي .. ماذا آقول لمستر لي ؟

رفعت يديها ثم تركتهما يتدليان الى جانبيها في يأس قائلة ،

- أنك تقبل بالطبع .

- ٤ -

وقفت بيلار في منتصف غرفة الموسيقي ، معتدلة القامة وأخذت تنقل عينيها في أرجاء المكان كالحيوان المطارد وقالت :

- أريد أن أغادر هذا المكان .

فقال ستيفن فار في رقة :- وأنا كذلك . ولكنهم لن يسمحوا لنا بالذهاب يا عزيزتي .

- هل تعني البوليس ؟

- أجل .

فقالت بلهجة الجد :- ان مواجهة البوليس لامر مكدر لا يجب أن يقع للقوم المحترمين .

فقال ستيفن وعلى شفتيه ابتسامة :- هل تعنين نفسك ؟

ولكنها اجابته قائلته :- كلا . وإنما أعنى الفريد وليديا ودافيد وجورج وهيلدا .. نعم .. ومجدالين أيضاً .

أشعل ستيفن سيجارة وأخذ منها نفسا أو نفسين قبل أن يقول:

- ولماذا الاستثناء ؟

- ماذا تعني ؟

- لماذا لم تضمي هاري اليهم ؟

ضحكت بيلار فكشفت عن أسنانها البيضاء المنتظمة وقالت:

- أوه .. أن هاري يختلف عن الآخرين ، فانني أظن أنه سبق له أن واجه البوليس قبل ذلك .

- لعلك على حق ، فهو من الغرابة بحيث لا يأتلف مع الآخرين .

وأردف يقول ، - هل تحبين أقاربك الانجليز يا بيلار ؟

فأجابت بيلار في شيء من التردد :- أنهم قوم ظرفاء .. ظرفاء جدا ، ولكنهم لا يضحكون كثيرا .. أنهم بعيدون عن المرح.

- ذلك أن بينهم قاتلا يا فتاتي العزيزة .

فقالت بيلار مترددة :- هذا صحيح .

واستطرد ستيفن :- ان جريمة القتل ليست بالشيء العادي كما يبدو لك .: انهم في إنجلترا ينظرون الى جرائم القتل نظرة الجد على غير ما يجرى في اسبانيا .

فقالت بيلار :- انك تهزأ بي .

- أنت مخطئة ... فلست أشعر بأي ميل الى المزاح .

نظرت بيلار اليه وقالت:- ذلك لانك تريد مغادرة هذا البيت

أنت أيضاً ؟

- نعم .

- وذلك الرقيب الوسيم الطويل القامة لن يدعك تذهب .

- انني لم اسأله رأيه . ولكن لاشك عندي في أنه سيرفض طلبي هذا لو أنني سألته . يجب أن أكون على حذر يا بيلار وأن أكون شديد الحرص .

فقالت بيلار وهي تهز رأسها : هذا أمر مضجر .

- بل أن الامر أكثر من ذلك يا عزيزتي . ثم هناك ذلك المخبر الاجنبي المخبول الذي يدس أنفه في كل شيء . لا أظنه كفؤا ولكنه مع ذلك يثير أعصابي.

قطبت أساريرها وقالت ، - هل كان جدي غنيا جدا ؟

- أظن ذلك .

- الى من تؤول امواله ؟ .. هل تؤول الى الفريد والآخرين ؟

- هذا رهن بوضيته .

قالت بيلار في تفكير :- أخشى أنه ربما لم يترك لي شيئاً .

فقال ستيفن في رقة :- ان مستقبلك مضمون ، مهما يكن من أمر فأنت من الاسرة ، ومكانك هنا ، وسيهتم بك الجميع .

قالت بيلار وهى تتنهد :- مكاني هنا ؟ .. هذا غريب جدا .. كلا .. ليس في هذا أى غرابة .

- أرى أن هذا الموقف لا يروقك ..

تنهدت بيلار مرة أخرى وقالت :- هل تظن أننا نستطيع أن نرقص إذا أدرنا الجراموفون ؟

فقال ستيفن في شيء من التردد ، سيكون هذا مجافيا للذوق السليم ، فان الحداد يخيم على البيت ايتها الفتاة الاسبانية المتحجرة القلب .

قالت بيلار وقد اتسعت عيناها :- ولكنى لا أشعر بأى حزن على الاطلاق . لم أكن أعرف جدي معرفة وثيقة حقا ، وعلى الرغم من أنى كنت أجالسه وأثرثر معه فانني لا أشعر بأي رغبة في البكاء ولا بأي حزن لانه مات ، ومن السخف أن أتظاهر بذلك .

فقال ستيفن :- ما أجملك !

وقالت بيلار وهى تحدق فيه :- يمكننا أن ندس بعض الجوارب وبعض القفازات في الجراموفون ، وبهذا لا يصدر منه صوت مسموع ، ولا يسمعنا أحد .

- كما تريدين اذن ايتها الشيطانة .

ضحكت في ابتهاج واندفعت الى الخارج وأسرعت الى غرفة الرقص في آخر البيت .

واذ بلغت الطرقة الصغيرة المؤدية الى باب الحديقة وقفت فجأة . وكان ستيفن قد لحق بها فتوقف هو الآخر .

ذلك أنهما رأيا هركيول بوادر وقد رفع احدي اللوحات المعلقة بالطرقة وأخذها بين يديه وراح ينظر اليها فاحصا على الضوء المنبعث من الشرفة . ورفع بصره ورأى الشابين وقال :

- آه . إنكما جئتما في اللحظة المناسبة .

وسألته بيلار :- ماذا تفعل ؟

واقتربت منه ووقفت بجنبه : فقال بوارو في لهجة جدية .

- انني افحص شيئاً على جانب كبير من الاهمية .. وجه سيمسيون لي ، وهو شاب وسيم .

- أوه .. أهذه صورة جدي ؟

- نعم يا آنسة .

وتفرست في الصورة المرسومة ثم قالت في بطء :- إنه مختلف هنا.. مختلف جداً.. لقد كان مسنا جدا.. كثير التجاعيد

أما هنا فهو أشبه بهاري حين كان منذ عشر سنوات .

هز هركيول بوارو رأسه وقال :- نعم يا آنسة . فان هاري لي إبن أبيه حقا .. أنظري هنا .

وتقدمها الى صورة أخرى معلقة في الممر وقال :- وهذه هي صورة جدتك .. ووجهها طويل رقيق وشعرها أشقر وعيناها زرقاوان رقيقتان .

فقالت بيلار :- كعيني دافيد .

وقال ستيفن :- وهناك كذلك شبه بينها وبين هاري .

وقال بوارو ، ان الوراثة شيء ممتع جدا . كان مستر لي وزوجته مختلفين كل الاختلاف ، وكل أولادهما ورثوا صفات الام تقريبا .. انظري يا آنسة ...

وأشار الى صورة فتاة في التاسعة عشرة أونحوها لها شعر كسبائك الذهب وعيناها زرقاوان واسعتان ضاحكتان . كانت الصورة المرسومة هي صورة مسز سيميون لي ولكن كان ينبعث منها مرح وحيوية لم تعرفهما عينا وملامح صاحبة الصورة اصلا .

وقالت بيلار :- أوه !

ورفعت يدها الى عنقها وامسكت بميدالية تتدلى بسلسلة

طويلة من الذهب ما أن فتحتها حتى طالع بوارو نفس الوجه الضاحك وقالت بيلار :

- أمي !

- أومأ بوارو رأسه . وفي الناحية الاخرى من الميدالية كانت هناك صورة رجل . كان شابا وسيما أسود الشعر ذا عينين شديدتي الزرقة . وقال بوارو :

- أهذه صورة أبيك ؟

- نعم . إنه جميل جدا . أليس كذلك ؟

- نعم ، حقا إن قليلا من الاسبان لهم عيون زرقاء ، أليس كذلك يا سنيوريتا ؟

- كثيرون من أبناء الشمال لهم عيون زرقاء ، ثم أن والدة أبي كانت ايرلندية .

قال بوارو في تفكير :- في عروقك إذن دم أسباني وايرلندي وإنجليزي ولمسة من الدم الغجري. هل تعلمين فيم أفكر يا آنسة؟ انك بكل هذه الصفات الموروثة مجتمعة تكونين عدوا لا يرحم .

وقال ستيفن ضاحكا ، - تذكري قولك لي وأنت في القطار يا بيلار ؟ .. انك في معاملتك لاعدائك لا تترددين في جز أعناقهم

.. أوه !

وأمسك فجأة وقد أدرك مدي ما في كلماته من اهمية

وأسرع هركيول بوارو يغير مجرى الحديث فقال :- آه .. هناك شيء أريد أن أسألك اياه يا آنسة .. جواز السفر الخاص بك .. ان صديقي رقيب البوليس بحاجة اليه .. فهناك اجراءات لا شك أنك تعلمين أنه لابد منها .. هي اجراءات سخيفة مزعجة ولكنها ضرورية بالنسبة لكل أجنبي في هذه البلاد . وأنت أجنبية طبعا من وجهة نظر القانون .

رفعت بيلار حاجبيها وقالت :- جواز سفرى ؟ .. نعم ، سآتيك به . إنه في غرفتي . .

وقال بوارو يعتذر وهو يسير بجوارها :- يؤسفني جدا أن أزعجك هكذا .. إنني آسف حقا .

وبلغا آخر الدهليز الطويل حيث يقوم سلم يؤدى الى الطابق العلوي ، وصعد ستيفن خلفهما حتى بلغوا غرفة بيلار .

وقالت هذه الأخيرة قبل أن تفتح الباب :- سآتيك به .

ودخلت الغرفة وبقى بوارو وستيفن فار بالباب في انتظارها ، وقال ستيفن في شيء من الندم .

- ما اغباني إذ أقول شيئاً هكذا . لا أظن أنها أنتبهت الى قولي .

لم يجبه بوارو وامال رأسه قليلا كما لو كان يصغي الى شيء ثم قال :

- ان الانجليز مولعون بالهواء النقي ولا ريب أن مس استرافادوس قد ورثت هذه الميزة .

تفرس ستيفن فيه وقال :- لماذا ؟

فأجاب بوارو في رقة :- لأنه على الرغم من أن اليوم شديد البرودة وليس مشمسا معتدلا كالامس فان مس استرافادوس رفعت النافذة قليلا .. من الغريب أن تحب الهواء النقي هكذا .

وفجأة ارتفعت داخل الغرفة صيحة دهشة باللغة الاسبانية ظهرت بيلار بعدها وقالت في استياء

- آه . ما أغباني ! كانت حقيبتي الصغيرة على حافة النافذة وأخرجت منها جواز السفر مسرعة بحيث أفلت من يدي ووقع في الحديقة . سآتي به حالا .

وقال ستيفن :- سآتيك أنا به .

ولكن بيلار تجاوزته مندفعة وصاحت تقول :- كلا . انها

غلطتي أنا . أذهب الى غرفة الاستقبال مع مستر بوارو وسألحق بكما هناك .

هم ستيفن فار بأن يجرى خلف الفتاة . ولكن بوارو لمس ذراعه في رقة وقال له :

- تعال بنا من هذا الطريق .

وقطعا الدهليز الطويل حتى بلغا السلم الرئيسي . وهناك قال بوارو لزميله :

- لن نهبط الى الدور الارضي فورا . أرجو أن تتبعني أولاً الى غرفة الجريمة ، فان هناك شيئاً أريد أن اسألك اياه .

واجتازا الطرقة التى تؤدى الى غرفة سيميون لي . وفي طريقهما مرا بفجوة بها تمثالان لحوريتين من الرخام يحتضنان ثيابهما التى يرجع عهدها الى العهد الفكتوري .

نظر ستيفن فار اليهما وقال :- ان منظرهما بشع في النهار . خيل الى أن هناك ثلاثة تماثيل عندما جئت في الليلة الماضية ولكنى أرى انهما اثنان فقط والحمد لله .

وقال لبوارو :- انهما ليسا من ذلك النوع الذي يحظى

بالاعجاب في ايامنا هذه ، ولكن ليس هناك أي شك في انهما تكلفا مبلغا باهظا في وقتهما . اظن أن منظرهما يبدو أجمل ليلا.

- هذا صحيح لان منظرهما يبدو غامضا .

وقال بوارو :- ان القطط تتشابه كلها في الليل .

ووجدا الرقيب صجدن في الغرفة . كان جاثيا بجوار الخزانة يفحص بابها بعدسة مكبرة . ورفع بصره اليهما وهما يدخلان وقال :

- لقد فتحت هذه الخزانة بمفتاحها .. فتحها شخص يعرف الرقم السري الذي تفتح به ، فليس هناك أى اثر يدل على انها فتحت عنوة أو غصبا .

ومضى بوارو اليه واخذه جانبا وهمس في اذنه ببضع كلمات، فأحنى المفتش رأسه وغادر الغرفة .

وتحول بوارو الى ستيفن فار ، وكان واقفاً ينظر الى المقعد الذى كان سيميون يجلس فوقه دائماً ، وكان يزوي ما بين حاجبيه وقد انتفخت عروق وجنتيه . ونظر بوارو اليه لحظة أو لحظتين في صمت ثم قال :

- أظنك تستعيد بعض الذكريات .

فقال ستيفن في بطء :- كان يجلس هنا على هذا المقعد منذ يومين فقطوهو يزخر بالحياة .. واليوم ..

ثم نفض عنه افكاره وقال :- نعم يا مستر بوارو ؟ .. انك أتيت بي هنا لكي تسألنى شيئاً فما هو ؟

- آه . نعم . أظن أنك كنت أول من بلغ مسرح الجريمة في الليلة الماضية ؟

- أنا ؟ .. لا اذكر . كلا . اظن أن إحدى السيدات قد سبقتني .

- من هي ؟

- احدى الزوجات .. ربما تكون زوجة جورج أو زوجة دافيد .. كل ما أعلم أن واحدة منهما سبقتني الى مسرح الجريمة .

- أظن أنك قلت انك لم تسمع الصيحة ؟

- لا أظن ذلك . انني لا اذكر تماما . لقد صاح احدهم ولكن يجوز أن تكون الصيحة قد صدرت من الطابق الارضي .

فقال بوارو :- ألم تسمع صيحة كهذه ؟

وألقى برأسه الى الخلف واطلق فجأة صيحة حادة .

وجاءت الصيحة فجأة وعلى غير انتظار بحيث أن ستيفن أخذ على غرة وكاد أن يقع . وقال محنقاً :

هل تريد أن تلقي الذعر في قلوب كل من في البيت ؟ .. كلا . لم أسمع شيئاً كهذا . سيهرع الجميع إلينا الآن . سيعتقدون أن جريمة قتل أخرى قد ارتكبت .

بدا الارتباك على سحنة بوارو وقال :- الحق .. انني كنت أحمق .. يجب أن نهبط على الفور .

وأسرع خارج الغرفة . وكانت ليديا وألفريد واقفين في أسفل السلم ينظران الى أعلى ، وخرج جورج من غرفة المكتبة ولحق بهما وجاءت بيلار وهى تجرى وجواز السفر في يدها . وقال بوارو:

لم يقع شيء .. لم يقع شيء .. اطمئنوا .. كل ما في الامر انني كنت قوم بتجربة صغيرة .

بدا الضيق على ملامح ألفريد ، والسخط على جورج . وترك بوارو ستيفن لكي يشرح لهم الامر واجتاز الدهليز مسرعا في طريقه الى الناحية الاخرى من البيت . والتقى في آخر الدهليز بالرقيب صجدن الذي خرج من غرفة بيلار في هدوء فسأله :

- حسناً ؟

هز الرقيب رأسه واجاب :- لم أسمع أى صوت .

والتقت عيناه بعيني بوارو في تقدير وهز رأسه .

— ٥ —

قال الفريد لي :- اذن فأنت تقبل يا مستر بوارو ؟

واهتزت يده في رفق وهو يرفعها الى فمه ، ولمعت عيناه السمراوان الرقيقتان في شيء من الحمى . وتلعثم قليلاً وهو يتكلم ، وكانت ليديا تقف الى جواره صامتة ، وتنظر اليه في شيء من القلق .

وقال الفريد :- انك لا تعلم .. لا يمكن أن تتصور .. معنى هذا بالنسبة لي .. يجب أن نهتدي الى قاتل أبى .

فقال بوارو :- ما دمت تؤكد لي انك امعنت التفكير في الامر ، فانني أقول لك انني أقبل .. ولكن يجب أن يكون مفهوما يا مستر لي أنه لا يمكنك التراجع فانا لست كالكلب الذي يطلقونه خلف صيد ما ثم يستدعونه بعد ذلك لان الصيد لا يروق لهم .

- طبعاً .. طبعاً .. ان كل شيء قد اعد .. وقد اعددنا لك غرفتك .. ويمكنك البقاء طالما اردت .

قال بوارو في وقار :- لن تطول اقامتي .

- أيه ؟ .. ماذا تقول ؟

- اقول ان اقامتي لن تطول . ففي هذه الجريمة دائرة محدودة بحيث لا يمكن أن تقتضي منا مدة طويلة للوصول الى الحقيقة . ثم إنني اظن اننا نوشك على النهاية .

تفرس الفريد فيه وقال :- محال !

- ابدا . أن الحقائق تتحدد وتتخذ إتجاها معينا . هناك بضع نقاط في حاجة الى التوضيح . وعندما نفرغ منها ستسطع الحقيقة .

سأله الفريد وهو لا يكاد يصدق اذنيه :- هل تعني أنك تعرف ؟

ابتسم بوارو واجاب :- أوه . نعم . انني اعرف .

وقال الفريد :- أبي .. أبي .

ثم تحول عنه فقال بوارو فجأة :- هناك مطلبان ارجو أن تؤديهما لي .

اجابه الفريد في صوت مكتوم :- لك أن تطلب مني أي شيء .. أي شيء ..

- أول شيء . أريد أن توضح صورة مستر لي وهو شاب في الغرفة التي تكرمت باعدادها لي .

تفرس الفريد وليديا فيه وقال الاول :- صورة أبي .. ولكن لماذا ؟

أجاب بوارو وهو يأتي باشارة مبهمة من يده :- انها .. ماذا أقول .. انها ستلهمني .

قالت ليديا في حدة :- هل تنوى أن تكتشف شخصية المجرم بواسطة الاستبصار ؟

- لنقل يا سيدتي انني لا أنوى أن استخدم عيون الجسد فحسب ، ولكنني أنوى أن استخدم عيون العقل أيضاً .

هزت كتفيها واستطرد بوارو يقول :- ثم انني أريد أن أعرف الظروف الحقيقية التي أحاطت بمصرع زوج أختك جيان استرافادوس .

فقالت ليديا :- هل هذا ضروري ؟

- انني أريد كل الوقائع يا سيدتي .

فقال الفريد :- لقد وقعت مشادة بخصوص سيدة قتل جيان استرافادوس على اثرها رجلا آخر في أحد المقاهي .

- وكيف قتله ؟

نظر الفريد الى ليديا مستغيثاً بها فقالت هذه على الفور :- لقد طعنه بسكين ، ولم يصدر الحكم باعدام جيان استرافادوس لان القتيل استفزه ولكن حكم عليه بقضاء فترة في السجن ، ولم يلبث أن مات فيه .

- هل تعلم إبنته بهذه القصة ؟

- لا أظن ذلك .

وقال الفريد :- كلا . إن جنيفر لم تخبرها بشيء من ذلك .

- اشكرك .

وقالت ليديا :- لا أظنك تعتقد أن بيلار .. ما اسخف هذا !

وقال بوارو :- والآن يا مستر لي ، هلا تكرمت باعطائي بعض المعلومات عن أخيك ، مستر هاري لي .

- ماذا تريد أن تعرف ؟

– سمعت أنه الحق العار بالعائلة فكيف هذا ؟

فقالت ليديا :– كأن ذلك منذ وقت طويل .

وقال الفريد وقد صعد الدم الى وجهه :– اذا أردت أن تعرف يا مستر بوارو فهو قد سرق مبلغا من المال بعد أن زور توقيع أبى على أحد الشيكات . ولم يقدم أبى أى شكوى ضده طبعا . فقد كان هاري نصابا بالفطرة ، وقد وقعت له مشاكل في جميع بقاع العالم وكان يبرق لابي من وقت لآخر في طلب النقود للخروج من ورطته . وقد عرف سجون العالم تقريبا .

وقالت ليديا :– ولكنك لا تعرف كل هذا حقا يا الفريد .

فقال الفريد محنقا ويداه ترتعشان :– ان هارى رجل فاسد .. رجل فاسد بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

قال بوارو :– أرى أن الود معدوم بينكما .

فقال الفريد :– انه خدع أبى واحتال عليه .. خدعه بطريقة فاضحة .

تنهدت ليديا .. تنهيدة سريعة تدل على الضيق والتبرم وسمعها بوارو فنظر اليها في حدة وقالت :

– لو اننا نعثر على هذه الماسات ! اننى واثقة ان سر الجريمة

يكمن فيها .

فقال بوارو :- اننا عثرنا عليها يا سيدتي .

- ماذا ؟

وعاد بوارو يقول فى رقة :- اننا عثرنا عليها في حديقتك «البحر الميت»

فصاحت ليديا :- في حديقتي ! .. هذا غريب !

وقال بوارو في رقة :- أليس كذلك يا سيدتي .

الفصل السادس

٢٧ ديسمبر

قال الفريد لي وهو يتنهد :- لقد انتهى الامر على نحو أفضل مما كنت أخشى .

كانوا قد عادوا لتوهم من جلسة التحقيق المبدئي .

وقد حضر التحقيق مستر شارلتون ، وهو محام من المدرسة القديمة ، له عينان زرقاوان حذرتان . وعاد معهم الى الدار وقال :

- آه .. قلت لكم ان الاجراءات ستكون شكلية فقط .. شكلية فقط .. كان لابد أن يؤجل التحقيق الى فيما بعد حتى يستطيع البوليس أن يجمع أدلة أخرى .

قال جورج لي في استياء :- كل هذا كريه ويغيظ .. يغيظ جدا .. اننا في موقف فظيع . أنا شخصيا مقتنع كل الاقتناع بأن هذه الجريمة قد أقدم عليها مجنون تمكن من دخول البيت بطريقة ما

وهذا الرجل المدعو صجدن عنيد كالبغل ، وكان يجب على الكولونيل جونسون أن يلجأ الى سكوتلانديارد فان رجال البوليس المحلي لا خير فيهم .. كلهم أغبياء . لننظر الى ذلك الرجل هوربوري مثلا ! .. سمعت أن له ماض مشين ، ومع ذلك فان البوليس تركه وشأنه .

فقال شارلتون :- آه .. ! أعتقد أن هوربوري يملك دليل اثبات مؤكد فيما يتعلق بالساعة التي قتل فيها مستر لي . وقد أخذ البوليس بهذا الدليل .

فصاح جورج :- ولماذا ؟ لو كنت مكان البوليس لما قبلت ايضاحت هذا الرجل إلا تحت التحفظ .. تحت التحفظ الشديد .. فمن المعروف أن الجاني يملك دائماً دليل اثبات على وجود في مكان آخر غير مكان الجريمة ، ومن واجب البوليس أن يهدم هذا الدليل .. ذلك إذا كانوا يعرفون عملهم .

وقال شارلتون :- أظن أنه ليس من شأننا أن نلقنهم عملهم ، فهم قوم أكفاء .

هز جورج رأسه في اكتئاب وقال :- يجب أن نلجأ الى سكوتلانديارد فلست راضيا أبدا بالرقيب صجدن .. لعله يبذل

أقصى جهده .. ولكنه بعيد جدا عن أن يكون لامعا .

فقال شارلتون :- انني لا أشاركك هذا الرأى ، فان صجدن رجل قدير . انه لا يلقي بكل حمله في القضايا التي يعهد بها اليه ولكنه يصل الى الهدف دائما .

وقالت ليديا :- انني على يقين من أن رجال البوليس يبذلون قصارى جهدهم . هل لك في كأس من الشيري يا مستر شارلتون.

رفض المحامي في لهجة مهذبة ، ثم سعل في صوت خفيف وبدأ يقرأ الوصية على أفراد الاسرة المجتمعين .

وقرأها المحامي في شيء من الاستمتاع وهو يتريث عند الفقرات الغامضة ويتذوق اصطلاحاتها الفنية .

وفرغ من قراءته فرفع نظارته ومسحها وألقى الى الجميع نظرة متسائلة فقال هاري لي :

- كل هذه الاصطلاحات القانونية معقدة لا أستطيع تفهمها .. فهلا ذكرت لنا نصوص الوصية بلا تعقيد ..

فقال شارلتون :- ولكن هذه الوصية واضحة كل الوضوح .

فقال هاري :- إذا كانت هذه الوصية واضحة فكيف تكون

الوصايا المعقدة اذن ؟

ألقى مستر شارلتون اليه نظرة باردة تنطق باللوم والتوبيخ وقال :

- ان النصوص الاساسية لهذه الوصية من أسهل ما يكون . فنصف أملاك وأموال مستر لي تؤول الى ابنه مستر الفريد لي ، والباقي يوزع بين أولاده الآخرين بالتساوي .

ضحك هاري ضحكة بغيضة وقال :- أن الفريد محظوظ دائماً .. نصف ثروة أبي .. أنت كلب محظوظ يا ألفريد ، أليس كذلك ؟

اضطرم الفريد وقالت ليديا :- كان الفريد الابن المخلص الوفي لابيه دائماً . إنه يدير المصنع منذ سنوات طويلة ويتحمل كل المسئوليات .

فقال هاري :- أوه ، نعم . ان الفريد كان دائماً الابن البار .

وقال الفريد في حدة :- يمكنك أن تعتبر نفسك سعيدا يا هاري ، فقد كنت أظن أن أبي لم يترك لك شيئاً على الاطلاق .

ضحك هاري وطوح برأسه الى الخلف وقال :- كنت تفضل أن يحرمني من الميراث، أليس كذلك؟ .. انك تكرهني طوال عمرك.

سعل مستر شارلتون .. كان معتادا على مثل هذه المواقف المؤلمة التي تعقب قراءة الوصية دائماً . وكان يود أن ينصرف قبل أن تنشب بينهم معركة حامية . وتمتم يقول :

– انني .. انني اعتقد أن هذا كل شيء .

وقال هاري في حدة :– وبيلار ؟

سعل مستر شارلتون مرة أخرى .. في اعتذار هذه المرة وقال:– ان .. ان مس استرافادوس لم يأت ذكرها في الوصية .

وسأله هاري :– ألا تأخذ نصيب أمها ؟

أجاب مستر شارلتون موضحا :– لو أن السينوريتا استرافادوس بقيت على قيد الحياة لاخذت نصيبا مساوياً لكل من الباقين منكم ولكن بما أنها ماتت فان النصيب الذي كان يجب أن يؤول اليها يوزع على كل منكم بالتساوي .

وقالت بيلار في بطء وفي لهجتها الاسبانية :– اذن .. فلن احصل على شيء .

تدخلت ليديا على الفور فقالت :– سوف تعنى الأسرة بذلك طبعا يا عزيزتي .

وقال جورج :– سوف تبقين هنا مع الفريد ، أليس كذلك يا

ألفريد ؟ فنحن .. أنت ابنة اختنا ومن الواجب أن نعنى بك .

وقالت هيلدا :- يسرنا دائماً أن تكون بيلار معنا .

وقال هاري :- يجب أن تحصل على حصتها الخاصة .. يجب أن تأخذ نصيب أمها .

وتمتم شارلتون :- يجب .. أن أذهب .. حقا . الى الملتقى أيها السادة . انني تحت تصرفكم . في مقدوركم استشارتي في أى وقت .

وخرج مسرعا فقد علمته التجارب أن كل العناصر التي تسبق المعارك العائلية قد اجتمعت .

وقالت ليديا في صوت واضح بعد أن أغلق الباب خلفه :- انني أتفق في الرأي مع هاري . أظن أن لبيلار الحق في نصيب أمها ، فان هذه الوصية حررت منذ سنوات طويلة ، قبل أن تموت جنيفر .

فقال جورج :- هراء . هذا رأى سخيف غير قانوني .. ان القانون هو القانون ولابد أن نلتزم به .

وقالت مجدالين:- ان هذا من سوء حظ بيلار حقا ونحن نأسف لها جدا .. ان جورج على حق ، وكما يقول فالقانون هو القانون .

نهضت ليديا وأخذت بيلار من يدها وقالت :- هذا أمر بغيض جدا بالنسبة لك يا عزيزتي . هلا تركتنا ريثما نبحث هذا الامر ؟

ورافقت الفتاة حتى الباب قائلة :- اطمئنى يا عزيزتي بيلار .. دعى الامر لي .

خرجت بيلار من الغرفة في بطء . وأغلقت ليديا الباب خلفها ثم عادت مكانها . وبعد لحظة صمت استرد فيها كل منهم أنفاسه عاد النقاش على أشده من جديد فقال هاري :

- إنك كنت أكثر تطفلا على كل حال ، فأنت تعيش عيشة مترفة منذ سنوات طويلة على حساب أبي .

- يبدو أنك تنسى أنني أشغل وظيفة تتطلب مسئوليات جسام و ..

فقاطعه هاري قائلاً :- وظيفة ومسئوليات جسام .. بل قل نفخة كذابة .

فصاحت مجدالين :- كيف تجرؤ على هذا القول ؟

وتدخلت هيلدا فقالت في صوت هادىء :- ألا يمكن أن نبحث الامر في هدوء ؟

ألقت ليديا اليها نظرة تنطق بالشكر والامتنان وقال دافيد في حدة مفاجئة :

- هل لابد من هذا الشجار من أجل المال ؟

فخاطبته مجدالين حاقدة :- لا بأس من أن تكون نبيل المشاعر ولكن هل تتخلى عن حصتك في الميراث .. ؟ إنك تريد المال تماما مثلما نريده نحن . وهذا التسامي في عدم الاكتراث بالماديات ان هو الا تظاهر لا غير .

قال دافيد في صوت مختنق :- هل تظنين أنه يجب أن أرفض حصتي .. ؟ أنني أتساءل .. ؟

فقالت هيلدا في حدة :- لا يجب أن ترفضها بالطبع ! .. هل يجب أن نتصرف كلنا كالاطفال ؟ .. أنت كبير الاسرة يا الفريد .

وبدأ كأن الفريد يصحو من حلم فقال :- أرجو المعذرة .. انكم تصيحون كلكم في وقت واحد .. هذا أمر يشعرني بالارتباك .

وقالت ليديا :- انني أقول كما قالت هيلدا .. لماذا نتصرف هكذا، كالاطفال الجشعين. لنبحث هذا الامر في هدوء وامعان و..

وأردفت تقول مسرعة :- وكل منا بدوره .. وليبدأ الفريد بصفته كبير الاسرة .. ما رأيك يا الفريد ؟ .. ماذا نفعل

بخصوص بيلار ؟

قال الفريد في بطء :- يجب أن تقيم هنا طبعا .. وسنجعل لها راتبا شهريا .. لا أظن أنه يحق لها أن تطالب بنصيب أمها

تذكري أنها ليست من آل لي وأنها من الرعايا الاسبان .

فقالت ليديا :- ليس من حقها المطالبة به قانونا .. ولكن لها حق أدبي فيه ، فان أباك على الرغم من أن ابنته تزوجت برجل أسباني ، بدون موافقته ، أقر بأحقيتها في نصيبها من ثروته ، وأوصى بأن توزع نصف أملاكه بينها وبين جورج وهاري دافيد بالتساوي . وقد ماتت جنيفر في العام الماضي فقط . وإنني واثقة أنه حين اتصل بشارلتون وطلب منه المجيء كان ينوى أن يوصي بنصيب أكبر لبيلار . كان سيمنحها على الاقل نصيب أمها . ومن المحتمل أنه ربما كان يوصى لها بأكثر من ذلك فهى حفيدته الوحيدة . ومن رأيى أن أقل ما يمكن أن يفعل هو أن نعيد الحق إلى نصابه ، وهو حق كان أبوك نفسه موشكا على اقراره .

فقال الفريد في اهتمام :- انك احسنت القول يا ليديا . إنني كنت مخطئاً وأوافقك على أن بيلار يجب أن تسترد حصة جنيفر

من ثروة أبى .

وقالت ليديا :- وأنت يا ساري ؟

- انني أوافق كما تعرفين . أظن أن ليديا قد احسنت عرض الامر وأنني أهنئها على ذلك .

وقالت ليديا :- وأنت يا جورج ؟

احمر وجه جورج وصاح :- كلا بالطبع .. ان الامر كله مناف للطبيعة ولا يقبله العقل . يكفي أن نقدم لها مكانا تبيت فيه ومعاشا شهريا تنفق منه على ملابسها .

فسأله الفريد :- اذن فأنت ترفض أن تتعاون معنا .

- نعم .. إنني أرفض .

وقالت مجدالين :- إنه على حق فان مجرد ابداء مثل هذا الاقتراح لامر مشين . لا تنسوا أن جورج هو الرجل الوحيد في الاسرة الذي فعل شيئاً طيبا . وانني لأجد من العار أن يترك له أبوه هذا القدر الضئيل من المال .

قالت ليديا :- وأنت يا دافيد ؟

فأجاب الأخ في غموض :- أوه .. أظن أنك على حق . مما يرثى له أن تثار مثل هذه المسألة البغيضة .

وقالت هيلدا :- انك على حق يا ليديا .. وهذا احقاق للحق .

نظر هاري حوله ثم قال :- حسنا . ان الامر واضح .. اننا جميعا فيما عدا جورج نؤيد الاقتراح الذي قدمته ليديا . إن الاغلبة موافقة .

فقال جورج في حدة :- ابدا ... ليست هناك موافقة أو رفض .. ان نصيبي من تركة أبى من حقي لا ينازعني فيه منازع ولن اتخلى عن بنس واحد منه .

وقالت مجدالين :- طبعا .. بكل تأكيد .

فقالت ليديا في حدة :- انك لن تتخذ الموقف الذي نريد . سنشترك كلنا لنعوض لها حصتك .

وردت البصر حولها تنتظر التصديق على كلماتها فأومأ الآخرون بالموافقة وقال هاري :

- ان الفريد حصل على نصيب الاسد . ويجب أن يشترك بمبلغ أكبر .

فقال الفريد :- كنت على يقين من أن نزاهتك لن تبقي طويلاً.

وقالت هيلدا في عزم وقوة :- لا تبدأوا ثانية .. ستخبر ليديا بيلار بما استقر عليه رأينا سوف نهتم بالتفاصيل غداً .

وأردفت تقول وهى تأمل أن تغير مجرى الحديث :- أين ذهب مستر فار ومستر بوارو ؟

فأجابها الفريد :- اننا تركنا بوارو في القرية ونحن في طريقنا الى المحكمة ، فقد قال انه يريد أن يشترى شيئاً هاما .

وصاح هاري :- لماذا لم يأت الى المحكمة . كان يجب أن يأتى بالتأكيد .

فأجابت ليديا :- لعله كان يعلم أن هذه الجلسة لن تكون على شيء من الاهمية . من هذا الذي أراه في الحديقة ؟ .. أهو الرقيب صجدن أم مستر فار ؟

ونجحت محاولات المرأتين وانفض اجتماع العائلة . وقالت ليديا تخاطب هيلدا على حدة :

- شكراً لك يا هيلدا . كان جميلا منك أن تسانديني .. انك كنت خير سند لي في هذه المسألة .

وقالت هيلدا في تفكير :- إن المال يفسد الناس .

وكان الآخرون قد غادروا الغرفة تاركين المرأتين وحدهما

وقالت ليديا :

- نعم .. حتى هاري .. على الرغم من أنه هو الذي قدم الاقتراح .. وزوجي المسكين الفريد .. إنه انجليزي وقح .. ولا يروق له حقا أن يرى أموال لي تذهب الى رعية اسبانية .

ابتسمت هيلدا وقالت :- هل تظنين اننا نحن النساء اقل تعلقا بماديات الدنيا ؟

هزت ليديا كتفيها الرشيقتين وقالت، - حسنا .. أنت تعلمين أن المال ليس مالنا .. ليس مالنا الخاص .. وهذا هو الفارق .

وقالت هيلدا في تفكير :- إنها طفلة غريبة .. اعنى بيلار .. اننى لاتساءل ماذا يكون من أمرها .

تنهدت ليديا وقالت :- يسرني انها اصبحت مستقلة ، فما كان ليرضيها أن تقيم هنا وأن يكون لها معاش تنفق منه على زينتها ، فهي شديدة الكبرياء لا تتفق طباعها مع طباعنا نحن الانجليز .

واردفت تقول في تأمل :- اتيت ذات مرة من مصر بعقد من اللازورد الازرق الجميل .. كان يبرق هناك تحت أشعة الشمس المحرقة ووسط الرمال بريقاً ساطعاً .. كانت زرقته متلالئة دافئة

ولكن حين عدت به الى الوطن بهتت زرقته ولم يعد اكثر من عقد من الاحجار الداكنة اللون .

فقالت هيلدا :- نعم .. انني أفهم .

قالت ليديا في صوت رقيق :- يسرني انني تعرفت بك وبدافيد .. يسرني انكما أتيتما معا .

تنهدت هيلدا وقالت :- أشد ما ندمت على مجيئى .

- انني أعلم . لاشك في أنك ندمت . ولكنك تعلمين يا هيلدا أن الصدمة لم تؤثر في دافيد كثيرا كما كنت أتوقع . أعنى أنه حساس جدا بحيث كنت اخشى أن تحطمه تلك الصدمة. ولكنه منذ وقوع الجريمة وهو يبدو وكأنه أحسن .

ارتبكت هيلدا ارتباكاً طفيفا وقالت : اذن فقد لاحظت ذلك انت ايضاً ؟ ان هذا لامر مخيف اذا أردت .. ولكن اواه ياليديا .. أنه تغير فعلا ..

ولزمت الصمت لحظة استعادت فيها الكلمات التي نطق بها زوجها بالامس قال لها في لهفة ، وهو يدفع بخصلات شعره بعيدا عن جبنه .

- هل تذكرين يا هيلدا ؟ .. في قصة توسكا ، حين مات

سكاربيا واشعلت توسكا الشموع عند رأسه وقدميه ؟ هل تذكرين ماذا قالت ؟ .. انها قالت .. «الآن أستطيع أن أصفح عنه» .. هذا هو نفس الاحساس الذي احس به نحو أبى ، فمنذ سنوات لم أكن أستطيع الصفح عنه مع أنى كنت اتوق حقا الى الصفح عنه، ولكن الآن .. لم تعد في قلبي اية بغضاء .. لقد تبدد كل شيء واشعر .. أواه .. اشعر كأن حملا ثقيلا انزاح عن صدري . فسألته وهى تدفع عنها خوفاً مفاجئاً :- ألانه مات ؟

فأسرع يقول في لهفة جعلته يتلعثم :- كلا .. كلا إنك لا تفهمين .. ليس لانه مات .. ولكن لان كراهيتي الصبيانية له قد ماتت .

تذكرت هيلدا هذه الكلمات الآن . وودت لو أنها اعادتها علي مسامع المرأة التى تقف بجوارها ولكنها شعرت أن من الحكمة أن لا تفعل .

وخرجت الى الصالون خلف ليديا . وفي الردهة وقع بصرها على مجدالين، وكانت واقفة أمام المنضدة تمسك في يدها طردا صغيرا . واجفلت عندما رأتها وقالت :

- أوه ، لا ريب ان هذا هو الشيء الهام الذي ابتاعه مستر

بوارو ، فقد رأيته يضع هذا الطرد هنا ، وانني اتساءل ماذا به ؟

ونقلت عينيها بين المرأتين وهى تضحك قليلا ولكن عينيها تألقتا ببريق الحدة والقلق فكذبتا المرح البادى في كلمتها :

رفعت ليديا حاجبيها وقالت :- يجب أن أذهب لكي أغتسل قبل تناول الغداء .

وقالت مجدالين وهى لاتزال تتظاهر بتظاهرها الصبياني دون أن تتمكن من اخفاء قلقها :

- يجب أن أرى .

وفكت الطرد ولم تلبث أن اطلقت صيحة دهشة حين رأت الشيء الذى تمسك به بين يديها . وتوقفت ليديا ، وكذلك هيلدا . ونظرت المرأتان اليها في دهشة . وقالت مجدالين ذاهلة :

- إنه شارب مستعار .. ولكن لماذا ؟ ..

قالت هيلدا :- شارب مستعار ؟ . ولكن .

واتمت ليديا قولها قائلة :- ولكن مستر بوارو له شارب جميل حقيقي .

وعادت مجدالين تلف الطرد قائلة :- انني لا أفهم شيئاً .. هذا جنون .. لماذا يشتري مستر بوارو شاربا مستعارا ؟

- ٢ -

عندما غادرت بيلار غرفة الاستقبال سارت في بطء في الدهليز ، وكان ستيفن فار قادما من باب الحديقة فقال :-

- حسناً ؟ .. هل انتهى الاجتماع العائلي ؟ .. هل رأوا الوصية ؟

فقالت بيلار وهي تتنفس بسرعة :- لم أحصل على شيء .. لم أحصل على شيء اطلاقاً ، إنها وصية قديمة اعدت منذ سنوات طويلة . وقد أوصى جدي ببعض المال لامي ولكن هذا المال لا يؤول الى وإنما الى اخوتها لانها ماتت .

فقال ستيفن :- هذا أمر عسير الهضم .

قالت بيلار :- لو أن هذا الرجل العجوز ظل على قيد الحياة لاعد وصية أخرى ولترك لي نصيبا من ماله .. نصيبا كبيرا .. ومن يدري ، لو أن العمر امتد به وقتاً أطول فلعله كان يوصي الى بكل ثروته .

فقال ستيفن باسما :- هذا أمر عسير الهضم ايضاً .

- ولم لا ؟ . كان سيحبني أكثر ، وهذا كل شيء .

- يالك من فتاة طماعة ! .. تسعين وراء المال !

فقالت بيلار في هدوء :- ان الرجال قساة نحو النساء . لابد أن يدبرن أمورهن وهن مازلن في سن الشباب فانهن حين يتقدم بهن السن يصبحن دميمات ولا يساعدهن أحد .

- في قولك هذا شيء من الحقيقة ، ولكن ليس كل الحقيقة، فالفريد لي مثلاً كان يحب أباه كل الحب على الرغم من أن هذا الاخير تقدمت به السن واصبح عاجزا عن الحركة .

رفعت بيلار ذقنها قائلة :- إن الفريد غبي من غير شك .

ضحك ستيفن وقال :- حسنا. لا تزعجي نفسك يا عزيزتي بيلار. إن آل لي سوف يعنون بك .

فقالت بيلار في أسى :- لن يكون ذلك بالحل الذي يطيب لي .

قال ستيفن في بطء :- كلا . اخشى أن يكون الامر كما تقولين ، لا أستطيع أن اتصورك تعيشين هنا يا بيلار . هل تحبين الاقامة في افريقيا الجنوبية ؟

اومأت بيلار بالايجاب وعاد ستيفن يقول :- هناك شمس وأرض واسعة .. وهناك عمل شاق كذلك فهل تصلحين للعمل يا بيلار ؟

فقالت بيلار في شيء من الشك :- لا أدري .

- بل لعلك تفضلين البقاء جالسة في إحدى الشرفات وتأكلين الحلوى طوال الليل ؟ .. وتسمنين وتكتنز ذقنك حتى تبدو وكأنها ثلاثة ذقون في ذقن واحدة .

ضحكت بيلار فصاح ستيفن :- هذا أفضل .. ها أنذا قد اضحكتك اخيراً .

وقالت بيلار :- حسبت انني سأضحك في عيد الميلاد ، فقد قرأت في الكتب إن اعياد الميلاد في انجلترا أعياد ضاحكة مرحة وإن الناس يتناولون فيها الفطائر المحشوة بالزبيب والبودنج الساخن بجوار النيران المتأججة .

فقال ستيفن :- لقد جاءت هذه الجريمة فقلبت كل شيء رأسا على عقب . تعالى معى لحظة . لقد أخذتنى ليديا هنا امس . هذه غرفة المخزن .

وتقدمها الى غرفة صغيرة أكبر قليلا من الدولاب وقال :- انظرى يا بيلار .. صناديق وصناديق من البسكويت والفاكهة المجففة . برتقال وبلح وبندق .. وهنا ..

فصاحت بيلار وهى تصفق بيديها :- أوه .. ما أجمل هذه

الكرات الذهبية والفضية .

- كان يجب أن تعلق على شجرة ومعها هدايا الخدم . وهذا عدد من «بابا نويل» يعطيهم الثلوج والصقيع كان المفروض أن تزين بهم المائدة في غرفة الطعام . وهذه هى البالونات من مختلف الالوان لا تنتظر إلا أن ينفخها المرء .

فقالت بيلار وقد تألقت عيناها : أوه ! .. أوه ! .. هل يمكننا أن ننفخ واحدة .. لن تقول ليديا أى شىء طبعاً .. انني أحب البالونات .

فقال ستيفن :- يالك من طفلة ! .. أيها تختارين ؟

فقالت بيلار :- سأختار واحدة حمراء اللون .

واختار كل منهما بالونة وراح ينفخها وقد انتفخت أوداجهما . وتوقفت بيلار لكي تضحك فعادت بالونتها الى حالتها الأولى وقالت:

- انك تبدو غريباً وأنت تنفخ هكذا بخديك المنتفخين .

وأمسكت عن الضحك وعادت تنفخ في بالونتها في جد . وبعد أن ربط كل منهما بالونته راحا يلعبان بهما جيئة وذهابا . وقالت بيلار :

- لنخرج الى الدهليز فهو أوسع .

وكان كل منهما يرسل بالونته الحمراء الى الآخر وهما يضحكان حين أقبل بوارو ونظر إليهما في تسامح . وقال :

- هل تلعبان لعبة الاطفال الصغار ؟ .. هذه لعبة جميلة !

وقالت بيلار لاهثة :- بالونتى هى الحمراء . انها اكبر من بالونته .. أكبر كثيرا . لو أخذناها الى الخارج فسوف ترتفع الى السماء في الحال :

فقال ستيفن :- لنطلقهما بعد أن يتمنى كل منا أمنية .

- أوه .. نعم .. هذه فكرة طيبة .

وأسرعت الى باب الحديقة وتبعها ستيفن . وسار بوارو خلفهما وهو لا يزال ينظر اليهما في تسامح وقالت بيلار :

- انني أتمنى الحصول على مبلغ كبير من المال .

ووقفت على أطراف قدميها وهى ممسكة بخيط البالونه التي راحت تتحرك مع الهواء واطلقتها أخيراً فأرتفعت في الجو مع النسيم .

وقال ستيفن وهو يضحك :- ما كان يجب أن تنطقى بامنيتك بصوت مسموع .

- ولماذا ؟

- لأن الامنية لن تتحقق عندئذ . الدور على الآن لكي اتمنى.

وأطلق بالونته ، ولكنه لم يكن باسعد حالا منها فقد طارت البالونه منحرفة وتعلقت بغصن شجرة وأنفجرت في صوت مدو . وجرت بيلار اليه وهى تقول في أسى :

- فرقعت !

ودفعت قطعة المطاط بقدمها وهى تقول ، - هكذا كانت قطعة المطاط التي التقطها في غرفة جدى . هو أيضاً كان يلعب بالبالونه .. ولكن بالونته كانت حمراء .

اطلق بوارو صيحة تدل على الدهشة ، وتحولت بيلار اليه متسائلة ولكنه قال :

- ليس بي شىء . اني تعثرت .

واستدار ونظر الى البيت وقال :- كل هذه النوافذ ! .. ان للبيت عيونه وآذانه يا أنسة . مما يؤسف له حقا أن الانجليز مولوعون بالنوافذ المفتوحة .

وخرجت ليديا الى الشرفة في هذه اللحظة وقالت :- لقد اعد طعام الغذاء . اننا تدبرنا كل شىء يا عزيزتي بما يرضيك وسيطلعك الفريد بكل التفاصيل بعد الفراغ من الطعام فهلا

ندخل الآن ؟

ومضوا الى البيت . وكان بوارو يمشي خلفهم وقد ارتسمت على سيماه امارات الجد .

- ٣ -

فرغوا من تناول الطعام .

وقال ألفريد يخاطب بيلار وهم يغادرون غرفة الطعام :- هلا أتيت معي الى مكتبي .. هناك شيء أريد أن أخبرك به .

وتقدمها خلال الدهليز ثم الى غرفته وأغلق الباب خلفها . ومضى الآخرون الى غرفة الاستقبال . وبقي هركيول بوارو وحده في الدهليز وهو يحدق بعينيه في الباب المغلق وقد ظهرت عليه امارات التفكير .

ولم يلبث أن أدرك فجأة أن رئيس الخدم يحوم حوله في ارتباك فقال له :

- نعم يا تريسليان .. ما الخبر ؟

بدت امارات الانزعاج على الرجل وقال :- اردت آن أتكلم مع مستر لي ولكنني أرى أن لا أزعجه الآن .

فقال بوارو :- هل حدث شيء ؟

فأجابه تريسليان في بطء :- أنه شيء عجيب .. لامعنى له.

فقال هركيول بوارو : حدثني به .

تردد تريسبليان ثم قال :- حسنا يا سيدي . ان الامر هو .. لعلك لاحظت أن هناك قذيفة مدفع على كل من جانبي الباب العمومي للبيت ، وهما قذيفتان ثقيلتان . حسنا . ان واحدة منهما قد اختفت يا سيدي .

وكانتا موجودتين هذا الصباح يا سيدي .. انني أقسم لك على ذلك .

- هيا بنا لكي أرى .

وخرجا معا الى الباب العمومي . وانحنى بوارو وفحص القذيفة الثانية ، وعندما انتصب واقفا كان وجهه ينم عن الخطورة والجد . وقال تريسليان :

- من الذي يفكر في سرقة شيء ثقيل كهذا يا سيدي .. ليس لهذا أى معنى !

وقال بوارو :- انني لا أحب ذلك .. لا أحب ذلك أبدا .

وكان تريسليان ينظر اليه في قلق وقال في بطء :- ماذا

حدث لهذا البيت يا سيدي ؟ لقد تغير منذ مقتل سيدي . وأشعر طوال الوقت كأنني أعيش في حلم فأخلط بين الاشياء وأحس أحيانا أن عيني تخذلانني .

هز هركيول بوارو رأسه وقال :- انت مخطيء . ان عينيك حادتان .

وقال تريسليان وهو يهز رأسه هو الآخر :- ان بصري لم يغد كما كان يا سيدي فانني أصبحت لا أرى كما كنت في الماضي انني أخلط بين الاشياء .. وبين الناس .. انني تقدمت في السن ولم أعد أصلح للقيام بعملي .

ربت هركيول بوارو على كتف الرجل العجوز وقال:- تشجع !

- شكراً لك يا سيدي . انت كريم حقا ، ولكن الواقع أنني مسن جدا . انني أعود دائماً فأرى الماضي وأرى وجوه الايام السالفة .. مس جيني ومستر دافيد ومستر ألفريد .. إنني أراهم دائماً في مرحلة الشباب ، منذ تلك الليلة حين عاد مستر هاري الى البيت .

هز بوارو رأسه وقال :- نعم . هذا ما خطر لي . انك قلت الآن . «منذ مقتل سيدي» ولكن ألم تتغير الاشياء وتبدو غير

حقيقية منذ أن عاد مستر هاري فعلا ؟

فأجاب رئيس الخدم :- أنت على حق في ذلك يا سيدي . هو ذلك . أن مستر هاري كان يتسبب دائماً في أحداث القلاقل في البيت ، حتى في الماضي .

وراح ينظر من جديد الى المكان الذي اختفت منه قذيفة المدفع وهمس يقول :

- من الذي أخذها يا سيدي ولماذا ؟ .. لكأننا في بيت مجانين !

فقال هركيول بوارو :- انني لا أخشى المجانين وإنما العقلاء .. هناك شخص في خطر شديد يا تريسليان .

ثم تحول وعاد الى البيت .

وفي هذه اللحظة خرجت بيلار من غرفة المكتبة مضطربة الوجنتين وشمخت برأسها وتألقت عيناها وضربت بقدمها الارض وقالت في حين كان بوارو يدنو منها :

- انني لن آخذ شيئاً .

رفع بوارو حاجبيه وقال :- عم تتكلمين يا آنسة ؟

اجابت :- اخبرني الفريد الآن انني سأحصل على نصيب أمي

من تركة جدي .

- حسناً ؟

- قال انني لا أستطيع الحصول عليه قانونا ولكنه هو وليديا والآخرون يرون أنه يجب أن يكون من حقي ويقولون ان ذلك احقاق للحق وانهم يتخلون لي عنه .

وقال بوارو للمرة الثانية :- حسناً ؟

ومرة أخرى ضربت بيلار الارض بقدمها وقالت :- ألا تفهم ؟ .. انهم يعطونني اياه .. يعطونني اياه .

- وهل يجرح هذا كبرياءك ؟ .. ولكن مادامو يقولون الحقيقة .. ان هذا المال من حقك .

فقالت بيلار:- إنك لا تفهم !

- بل انني على العكس من ذلك أفهمك تماماً .

- أوه !

وتحولت عنه ساخطة .

ودوى جرس الباب في هذه اللحظة . ونظر بوارو من فوق كتفه ، ورأى هيئة الرقيب صجدن خارج الباب وأسرع يقول مخاطبا بيلار :

- أين تذهبين ؟

فأجابته متجهمة :- الى غرفة الاستقبال .. مع الآخرين .

فقال بوارو مسرعا :- حسنا .. ابقى هناك معهم . لا تتجولي وحدك حول البيت ، خصوصا بعد الظلام . كوني على حذر . انك في خطر كبير يا آنسة . إنك لم تتعرضى للخطر الشديد طوال حياتك مثلما تتعرضين له الآن .

وتحول عنها وذهب للقاء صجدن . وانتظر هذا الاخير حتى عاد تريسليان الى المطبخ ثم بسط أمام بوارو برقية وهو يقول :

- انه وقع في ايدينا الآن . اقرأ هذه . انها من بوليس افريقيا الجنوبية .

كان هذا هو نص البرقية :

«الابن الوحيد لابنزر فار مات منذ سنتين»

وقال صجدن :- اننا نعرف الحقيقة الآن .. والغريب انني كنت أجرى وراء أثر آخر .

- ٤ -

دخلت بيلار غرفة الاستقبال شامخة الرأس ، وسارت قدما

نحو ليديا التي كانت جالسة بجوار النافذة تشتغل بحبك الصوف وخاطبتها قائلة :

- ليديا .. نني أتيت لكي أقول لك انني لن آخذ هذا المال .. انني سأغادر البيت .. حالا .

بدت الدهشة على وجه ليديا وتركت الصوف جانبا وقالت :

- أى فتاتي العزيزة .. لا ريب أن ألفريد اساء تفسير الامر لك . إنه بعيد كل البعد عن الاحسان أو الصدقة ، اذا كنت تشعرين بذلك ، وهى ليست مسألة شفقة أو كرم من ناحيتنا . ولكنها مسألة حق نعيده الى اصحابه ، فلو أن الظروف سارت سيرها العادي لورثت امك هذه الحصة ثم ترثينها أنت منها .. انها من حقك .. انها من حقك قانونا بحكم مولدك .. ليس الامر احسانا كما ترين ، وإنما هو احقاق للحق .

فقالت بيلار في حدة :- ولهذا بالذات لا استطيع أن أقبله .. خاصة وأنت تتكلمين هكذا .. انني استمتعت باقامتي هنا .. كانت مغامرة جميلة .. ولكنكم أفسدتموها الآن .. انني سأغادر البيت الآن ، حالا .. لن أثقل عليكم أبدا بعد الآن .

وخنقتها العبرات فتحولت وخرجت من الغرفة وهى تجرى .

وحملقت ليديا أمامها وقالت وهى تشعر بعجزها .

- لم يخطر لي انها ستتقبل الامر هكذا .

وقالت هيلدا :- ان الطفلة المسكينة تبدو مضطربة جدا .

وسعل جورج وقال في لهجة خطابية :- أوه ، كما قلت لكم صباح اليوم .. ان المبدأ الذي استندتم اليه خاطىء وبيلار من الذكاء بحيث تفهم ذلك ، وهى ترفض أن تقبل الاحسان .

فقالت ليديا في حدة :- انه ليس احسانا . انه من حقها .

وقال جورج :- يبدو أنها ليست من هذا الرأي .

أقبل الرقيب صجدن وهرقل بوارو في هذه اللحظة . وردد الاول بصره بين الحاضرين وقال :

- أين مستر فار ؟ .. أريد أن أتبادل كلمة معه .

وقبل أن يتمكن أى أحد من الحاضرين من الرد قال بوارو في حدة :

- أين السينوريتا استرافادوس ؟

أجاب جورج في شيء خفيف من الارتياح :- انها ستغادر البيت كما تقول ، يبدو أنها لقيت الكفاية من أهلها الانجليز .

إستدار بوارو على الفور وخاطب صجدن قائلاً :- تعال !

واذ خرج الرجلان الى الدهليز سمعا صوت اصطدام جسم فوق الأرض تعقبه صيحة حادة صادرة من بعيد فصاح بوارو :

- اسرع .. تعال .

واجتازا الدهليز ركضا وصعدا السلم مسرعين . وكان باب غرفة بيلار مفتوحا وقد وقف بعتبته رجل حول رأسه عند قدومهما.

- كان هو ستيفن فار . وقال عندما رآهما :

- انها على قيد الحياة .

وكانت بيلار واقفة بجوار الحائط وقد ارتسم الذعر في عينيها . وكانت تحدق في أرضية الغرفة حيث استقرت قذيفة مدفع ثقيلة . وقالت لاهثة.

- كانت موضوعة في وضع توازني فوق الباب .. لو لم يتعلق ثوبي بهذا المسمار ويحول بيني وبين الدخول لوقعت فوق رأسي وحطمتها .

انحنى بوارو وفحص المسمار . كان خيط من الصوف عالقا به، ورفع عينيه الى بيلار وهز رأسه وقال في لهجة الجد .

- ان هذا المسمار قد أنقذ حياتك يا آنسة .

وقال الرقيب في دهشة :- ولكن .. ما معنى هذا ؟ ..

فقالت بيلار :- حاول بعضهم أن يقتلني .

وهزت رأسها مرارا . ونظر الرقيب الى الباب وقال :- شرك سخيف .. هذا سخف عتيق .. ولكن هدفه القتل .. انها جريمة قتل ثانية دبرت في هذا البيت ، ولكنها لم تثمر هذه المرة .

وقال ستيفن فار في صوت مبحوح :- انك نجوت والحمد لله.

بسطت بيلار يديها الى الامام في شيء من التوسل وقالت:-

- يا الهي ! .. لماذا يريد أى أحد أن يقتلني .. ماذا فعلت ؟

قال هركيول بوارو :- انت مخطئة في هذا . قولي لي يا آنسة بيلار .. أين كنت ساعة الجريمة ؟ .. انك لم تكوني في هذه الغرفة .

- بل كنت فيها ، وقد قلت لك ذلك .

وقال الرقيب صجدن في رقة خادعة:- أجل. ولكنك لم تذكري الحقيقة عندئذ . وأنت تعلمين هذا . قلت لنا انك سمعت صيحة جدك . ولكن لم يكن في مقدورك سماعها في هذه الغرفة ، فقد

قمت أنا ومستر بوارو بتجربة أمس .

وقالت بيلار وقد أحتبست أنفاسها :- أوه !

وقال بوارو :- انك كنت في مكان قريب جدا من غرفته . وسأقول لك أين كنت كما أعتقد . كنت في الفجوة مع التمثالين، على مقربة من غرفة جدك .

فقالت بيلار وقد أجفلت :- أوه .. كيف عرفت ؟

أجاب بوارو وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة :- رآك مستر فار هناك .

فقال ستيفن في حيرة :- لم أرها . هذه فرية .

وقال بوارو :- معذرة يا مستر فار . ولكنك رأيتها حقا . تذكر أحساسك بانه لن يكن في الفجوة تمثالان ولكن ثلاثة تماثيل، كان شخص واحد يلبس ثوبا أبيض في تلك الليلة وهذا الشخص هو الآنسة استرافادوس . كانت هي التمثال الثالث الذي رأيته . أليس كذلك يا آنسة .

قالت بيلار بعد تردد قصير :- نعم . هذا صحيح .

وقال بوارو في رفق :- قولي لنا الآن كل الحقيقة يا آنسة .. لماذا كنت هناك .

أجابت بيلار :- تركت غرفة الاستقبال بعد العشاء . وخطر لي أن أذهب لزيارة جدي . ظننت أن زيارتي قد تسره . ولكن حين بلغت الطرقة رأيت شخصا آخر واقفا ببابه . ولم أكن أريد أن يراني أحد لان جدي قال انه يريد أن لا يرى أحدا في تلك الليلة فتسللت الى الفجوة مخافة أن يلتفت ذلك الشخص فيراني، وعندئذ ...

وفي وقت واحد ، سمعت أصواتا مروعة .. المناضد والمقاعد .. (وحركت يديها) كل شيء يسقط ويرتطم بالأرض فلم اتحرك ولم أدر لماذا كنت مذعورة . ثم أرتفعت عندئذ صيحة رهيبة (ورسمت على صدرها علامة الصليب) ، وقد توقف قلبي عن الحركة وقلت ان بعضهم مات .

- وبعد ذلك .

- أقبل الجميع إلى الطرقة راكضين. وغادرت الفجوة بعدهم، وانضممت اليهم .

قال الرقيب صجدن في حدة :- لم تذكري شيئا من كل ذلك عندما استجوبتك لاول مرة فلماذا ؟

هزت بيلار رأسها وقالت في شيء من الحكمة :- ليس من

الصواب أن يذكر المرء كل شيء لرجال البوليس . خطر لي أنني اذا قلت لك انني كنت على مقربة من الغرفة أن تظن أنني قتلته، ولهذا السبب ، قلت انني كنت في غرفتي .

قال صجدن في حدة :- انك بتعمدك الكذب تضعين نفسك موضع الشك والشبهات .

وقال ستيفن فار :- بيلار !

- نعم ؟

- من الذى رأيته حين بلغت الطرقة ؟ تكلمي .

وقال صجدن :- اجل ، قولي لنا من هو ؟

ترددت الفتاة لحظة واتسعت عيناها ثم ضاقتا . وقالت في بطء :

- لا أدري من هو ؟ .. كان الضوء خافتا فلم اتبين من هو .. ولكنه كان امرأة .

- ٥ -

أدار الرقيب صجدن عينيه في الوجوه الملتفة حوله وقال في شيء من السخط لم يسبق أن بدا عليه من قبل :

- هذا اجراء مخالف جدا للاصول يا مستر بوارو .

فقال بوارو :- هى فكرة صغيرة خطرت لي . أريد أن يشاركني الجميع في المعلومات التي جمعتها . سوف أدعوهم الى التعاون معى بعد ذلك وبهذا نصل الى الحقيقة .

وتمتم صجدن في صوت خافت :- الاعيب قرود !

واضطجع في مقعده الى الخلف في حين قال بوارو : ولتبدأ بك أنت . أظن أنك تريد أن تطلب ايضاحا من مستر فار .

توترت شفتا صجدن وقال :- كنت أوثر أن لا يكون هناك كل هذا الحشد ، ومع ذلك فلا اعتراض لدي .

ويسط البرقية لستيفن فار وقال :- هل لك يا مستر فار، مادمت تطلق على نفسك هذا الاسم أن تفسر لنا هذه البرقية .

أخذ ستيفن فار البرقية ثم رفع حاجبيه وقرأها في بطء ويصوت مسموع ثم احنى رأسه مهنئاً واعادها الى الرقيب . وقال:

- نعم .. هذه البرقية تدينني كل الادانة ، أليس كذلك ؟

فصاح صجدن :- اهذا كل ما تعلق به ؟ .. إنك تدرك طبعا انه ليس هناك ما يرغمك على الاعتراف ..

فقاطعه ستيفن فار قائلاً :- لا داعي لأن تحذرني أيها الرقيب ، فانني أرى الكلمات تضطرب على طرف لسانك .. أجل .. سأقدم لك ايضاحا ، وهو ليس بالايضاح المفحم ولكنه الحقيقة .

وأمسك لحظة ثم بدا يقول :- لست ابن ابنزر فار ، ولكني أعرف الاب وكنت أعرف ابنه معرفة تامة . ولك أن تضع نفسك مكاني .. إن أسمي ستيفن جرانت ، بهذه المناسبة ، وقد قدمت الى هذه البلاد لاول مرة في حياتي ، وشعرت بالخيبة على الفور، فكل شيء وكل امرىء كان يبدو كئيباً ميتاً . ثم أخذت القطار ورأيت فتاة ، واعترف لك إنني وقعت في هواها على الفور، فهي احسن واجمل فتاة في العالم . وتحدثت معها فترة وقررت أن لا ادعها تبتعد عن عيني . وفيما كنت اغادر المقصورة رأيت البطاقة الصغيرة الملصقة على حقيبتها . ولم يحدث اسمها أي أثر في نفسي ولكن المكان الذي كانت ذاهبة اليه اثار اهتمامي ، فقد سمعت عن قصر جورستون هول ، وكنت أعرف شيئاً عن صاحبه ، كان شريكا لابنز فار وقد افاض الشيخ ايب في الحديث عنه وأخبرني بكل شيء عنه .

«حسنا .. خطر لي أن أذهب الى جورستون هول وأن أدعى أنني إبن ايب ، فهو قد مات من سنتين كما تقول هذه البرقية . ولكنني تذكرت أن الشيخ أيب كان يقول أنه لم ير أو يسمع شيئاً عن سيميون لي منذ بسنين عديدة ، وتراءى لي أنه لم يسمع شيئاً عن موت ابن ايب . مهما يكن من أمر فقد خطر لي أن اقوم بالتجربة .

فقال صجدن :- أنت لم تفكر في القيام بالتجربة على الفور لانك اقمت في فندق كينجز آرمز بأرلسفيلد يومين .

أجاب ستيفن :- كنت أفكر في الأمر .. هل أقوم بالتجربة أم لا .. وقررت أخيراً أن أقوم بها ، وبدت لي كأنها جزء من مغامرة . حسنا . لقد سار كل شيء على ما يرام ، فقد استقبلني الرجل العجوز خير استقبال وطلب مني أن أقيم بالبيت . وقبلت . هذه هي القصة أيها الرقيب وفيها التفسير الذي تريد . وإذا كنت لا تصدق قولي فعد بنفسك الى الأيام الخوالي التي كنت تغازل فيها فتاتك وسل نفسك اذا كنت لم تقدم على حماقة ما . أما اسمي الحقيقي فهو كما قلت ستيفن جرانت ، ويمكنك أن تبرق

الى افريقيا الجنوبية وأن تتحقق من ذلك . ولكنني اقول لك منذ الآن انك لن تجد غير ما يشرف كل رجل محترم فأنا لست محتالا ولا لص مجوهرات .

فقال بوارو:- لم يخطر لي ذلك قط .

داعب الرقيب صجدن خده في رقة وقال :- يجب أن أتحقق من هذه القصة . أن ما أريد أن أعرفه هو هذا، لماذا لم تأت بعد وقوع الجريمة وتوضح لي كل شيء بدلا من كل هذه الاكاذيب.

فقال ستيفن فار في رقة :- لانني كنت مغفلا . ظننت انني أستطيع النجاة بنفسي هكذا ، فقد خشيت أن تشك في امري اذا قلت لك انني دخلت البيت باسم مستعار ، ولو لم اكن على غباء تام لادركت أنك ستبرق الى جوها نسبرج .

قال صجدن :- حسنا يا مستر فار .. أو مستر جرانت .. لا أقول انني أضع قصتك موضع الشك لانني سوف اتحقق منها في اقرب وقت . ،

ونظر الى بوارو متسائلاً فقال هذا الاخير :- أظن أن مس استرافادوس لديها ما تريد أن تفضى به .

امتقع لون بيلار وقالت لاهثة:- هذا صحيح، لولا ليديا ولولا

ذلك المال لما قلت لكم أبدا . لقد ارضاني جدا ان آتي هنا وأن انتحل شخصية غيري وأن آخادع وأمثل ، ولكن عندما قالت ليديا إن المال من حقي وإن الامر انما هو احقاق للحق فقد اصبح الموقف مختلفا ولم اعد اشعر بأية متعة أو لذة .

صاح الفريد وقد ارتسمت على وجهه امارات الحيرة :- انني لا أفهم شيئاً يا عزيزتي . عم تتكلمين ؟

فقالت بيلار :- إنكم تعتقدون انني ابنة أختكم بيلار استرافادوس ولكن هذا غير صحيح . فقد قتلت بيلار عندما كنت اسافر معها في سيارة في اسبانيا . وقعت قنبلة فاصابت العربة وقتلت بيلار . أما أنا فلم أصب بشيء . لم أكن أعرفها معرفة وثيقة ولكنها حدثتني بكل شيء عن نفسها وكيف أن جدها أرسل اليها يستدعيها الى انجلترا وأنه واسع الثراء . ولم يكن معي نقود على الاطلاق ، ولم أدر أين أذهب ولا ماذا أفعل . وقلت لنفسي فجأة ولماذا لا آخذ جواز السفر الخاص ببيلار وأذهب الى انجلترا واصبح غنية .

واردفت :- وراق لي أن أقوم بهذا العمل . وملامحنا في الصورتين لا تختلف كثيرا ولكن حين أراد مستر بوارو أن يرى

جواز السفر فتحت النافذة والقيت به في الخارج ثم هبطت مسرعة لكي التقطه ولوثت الصورة ببعض الطين حتى تضيع معالمها قليلا لان موظفي الجمارك لا يدققون النظر في الصورة . أما هنا فربما .

وقاطعها الفريد لي فقال محنقا :- هل تعنين أنك تقدمت الى جدك كحفيدته واستغللت حبه لك ؟

اومأت بيلار بالايجاب وقالت راضية عن نفسها :- نعم . رأيت على الفور انني استطيع أن أجعله يزداد حبا لي .

وصاح جورج لي يقول :- هذا غريب ! هذا اجرام ! .. تحاولين الحصول على المال بادعاءات كاذبة .

وقال هاري :- إنها لم تأخذ منك بنسا واحدا يا صاحبي .. انني اقف بجانبك يا بيلار . انني معجب بجرأتك كل الاعجاب وحمدا لله على انني لم أعد خالك .. ان هذا يطلق يدي .

وقالت بيلار تخاطب بوارو :- كنت تعلم .. ولكن متى عرفت ؟

ابتسم بوارو وقال :- لو أنك درست يا آنسة قوانين مندل لادركت أن زوجين لكل منهما عينان زرقاوان لا يمكن أن ينجبا

فتاة لها عينان سوداوان ، خاصة وأن أمك ، كما اعتقد كانت امرأة عفيفة فاضلة . وقد استنتجت من ذلك انك لست بيلار استرافادوس . وعندما قمت بخدعتك بخصوص جواز السفر تأكدت من ذلك ، كان عملك هذا بارعا ، ولكنه لم يكن من البراعة بما يكفي كما ترين .

نظرت بيلار اليه وقالت :- انني لا أفهم .

فقال صجدن :- انك رويت لنا قصة .. ولكنى اعتقد أنك لم تذكري لنا كل شيء .

وقال ستيفن :- هلا تركتها وشأنها ؟

ولكن صجدن لم يعره أى اهتمام واستطرد يقول :- انك قلت لنا انك صعدت الى غرفة جدك بعد العشاء ، وقلت ان ذلك كان نزوة طارئة منك . ولكنني اقول لك شيئاً آخر . أنت التي سرقت الماسات ، فقد كانت بين يديك ، ولعلك وجدت الفرصة لسرقتها واستطعت أن تخفيها في مكان آخر غير الخزانة دون أن يلحظ جدك ذلك ، وحين تحقق من اختفائها عرف على الفور أن شخصين فقط هما اللذان استطاعا سرقتها ، احدهما هوربوري الذي لا ريب كان يعرف الرقم السري للخزانة وتسلل بالليل وسرقها . اما

الشخص الآخر فهو أنت .

ومهما يكن فقد اتخذ مستر لي الاجراءات اللازمة علي الفور فاتصل بي وطلب مني أن ازوره ثم ارسل يستدعيك لكي تذهبي إليه بعد العشاء مباشرة . وذهبت اليه فاتهمك بالسرقة . وانكرت ولكنه شدد الضغط عليك، ولا أدري ماذا جرى بالذات. ربما عرف انك لست حفيدته وانك لصة محترفة بارعة.. مهما يكن فقد إنتهت اللعبة وافتضح امرك فهجمت عليه ومعك مدية ودارت بينكما معركة اطلق فيه صيحته . ورأيت عندئذ أنك امام الامر الواقع فاسرعت خارجة وأدرت المفتاح من الخارج ، وإذ كنت تعلمين أنك لا تستطيعين الفرار قبل أن يأتى الآخرون فقد سارعت بالاختباء في الفجوة بجوار التمثالين .

صاحت بيلار في قوة :- هذا غير صحيح .. هذا غير صحيح .. إنني لم أسرق الماسات ولم اقتله . اقسم بالعذراء المقدسة .

قال صجدن في حدة :- من قتله إذن ؟ .. تقولين إنك رأيت شخصا واقفا خارج غرفة مستر لي . واذا نحن صدقنا قولك هذا فلابد أن يكون هذا الشخص هو القاتل ولكن احدا لم يمر امام الفجوة وليس لدينا غير كلمتك اذا كان هناك أى شخص حقا

وبمعنى اصح انك اختلقت هذه القصة للنجاة بجلدك .

وتدخل جورج لي فقال في حدة ، – انها مذنبة طبعا . وهذا واضح بما فيه الكفاية وانني قلت دائماً ان شخصا غريبا عن الأسرة هو الذي قتل ابي . من الحماقة حقا الادعاء بأن واحدا من الاسرة هو الذي قتله .. ليس هذا بالامر الطبيعي .

تململ بوارو في مقعده وقال :– انني لا أوافقك على هذا .. إذا أخذنا في الاعتبار اخلاق سيميون لي فان من الطبيعي ان يقع هذا الامر .

فقال جورج وقد تدلي فكه :– إيه ؟

وتفرس في بوارو في حين أستطرد هذا الاخير :– ومن رأيي أن هذا هو الذي وقع حقا . ان سيميون لي قتله شخص من لحمه ودمه ، ويبدو أن القاتل قتله لسبب يراه وجيها وكافيا .

وصاح جورج :– واحد منا ؟ .. انني أرفض ..

وقاطعه بوارو في صوت حاد قوي :– ان كلا منكم يتعرض للظنون والشبهات في هذه القضية . ولنبدأ بمستر جورج لي . انك لم تكن تُكِن لابيك أى حب . كنت معه على علاقات طيبة بسبب المال. وفي اليوم الذي قتل فيه هددك بأن يخفض معاشك ، وكنت

تعرف أنك سترث مبلغا كبيراً بموته ، وهذا هو الدافع . وبعد العشاء ذهبت كما تقول لكي تتكلم في التليفون وقد تمت المكالمة ولكنها لم تأخذ منك غير خمس دقائق . وبعد ذلك كان في مقدورك أن تذهب بكل سهولة الى غرفة أبيك والى أن تتحدث معه ثم تهاجمه وتقتله . وغادرت الغرفة بعد ذلك وأدرت المفتاح من الخارج لانك كنت تأمل أن تنسب الجريمة الى أحد اللصوص بأن الجريمة وقعت بسبب السرقة . وكان ذلك غباء منك طبعاً ولكنك والحق يقال رجل غبي ، اذا سمحت لي بهذا القول .

واستطرد بوارو بعد وقفة بسيطة حاول فيها جورج أن يتكلم والنطق لا يسعفه :

- ومع ذلك فان أغبياء كثيرين أقدموا على القتل .

وتحول بعد ذلك الى مجدالين وقال ، - وهناك دافع يدفع السيدة ، هي الاخرى ، الى القتل . فهي مدينة ، كما أعتقد ، والملاحظة التي أبداها أبوك ربما سببت لها حرجا . ثم انها لا تملك دليلا على وجودها في مكان آخر غير مكان الجريمة ساعة وقوعها. وقد ذهبت لكي تتكلم في التليفون ولكنها لم تفعل ، وليس لدينا غير كلمتها في هذا الصدد .

وتوقف مرة أخرى ثم عاد يقول :- ولننتقل الآن إلى مستر دافيد لي . اننا سمعنا أكثر من مرة عن طباع آل لي وحقدهم وانتظارهم الاعوام الطويلة لارواء غليلهم الانتقامي . ولم ينس مستر دافيد لي أو بوجه أصح لم يغفر لابيه معاملته لامه . وسخرية أبيه الأخيرة بأمه جعلت الكأس يطفح . وقد قيل ان دافيد لي كان يعزف بالصدفة المارش الجنائزى ، ولكن لنفرض أن شخصا آخر هو الذي كان يعزف ذلك المارش الجنائزي . شخصا آخر كان يعرف ما يدور ويؤيده .

قالت هيلدا لي في هدوء :- هذا تلميح شائن .

تحول بوارو اليها وقال ، - سأقدم لك شيئاً آخر يا سيدتي . يدل على انك أنت التي ارتكبت الجريمة . صعدت أنت الى الطابق العلوي لكي تنفذي حكم الاعدام في رجل كنت ترين أنه لا يستحق الرحمة ، فأنت من هؤلاء الذين لا يرحمون إذا ما استولي عليهم الغضب يا سيدتي .

قالت هيلدا :- انني لم أقتله .

وقال الرقيب صجدن فجأة :- ان مستر بوارو على حق تام . ان كلا منكم موضع الظنون والشبهات . كلكم فيما عدا مستر

الفريد لي ومستر هاري ومسز الفريد لي .

فقال بوارو في رقة : بل انني لا أستثنى حتى هؤلاء الثلاثة .

فقال صجدن : ولكن يا مستر بوارو ...

وقالت ليديا لي :- وماذا تقول عني أنا يا مستر بوارو ؟

وابتسمت قليلا وهى تتكلم ورفعت حاجبيها ساخرة فانحنى بوارو وقال :

انني أمر مر الكرام بالدافع يا سيدتي فهو من الوضوح بما يكفي . أما عن الباقي فانك كنت ترتدين في الليلة الماضية ثوبا من التفتاة المحلي بالزهور وعليه جاكيت قصير ، ولعلك تذكرين أن رئيس الخدم تريسليان قصير النظر وأنه يرى الاشياء من بعيد في شيء من الابهام والغموض . ثم أن غرفة الاستقبال كبيرة والانوار فيها تنبعث من مصابيح مغطاة بأغطية تلقي ظلالا كثيفة . وفي تلك الليلة ، قبل الجلبة بدقيقة أو دقيقتين ذهب تريسليان الى غرفة الاستقبال لكي يرفع فناجين القهوة ، ورآك كما أعتقد واقفة أمام النافذة البعيدة ، بجوار الستارة السميكة ، وهى تكاد تحجبك عن الانظار .

قالت ليديا لي :- انه رآني .

واستطرد بوارو :- انني أقول أن من الممكن أن يكون تريسليان رأى الجاكيت موضوعا بجوار الستارة بطريقة توحى أنك أنت التي تقفين هناك .

وقال الفريد :- كيف تجرؤ على ....

فقاطعه هاري قائلاً :- دعه يتكلم يا الفريد فسوف يأتى دورنا . كيف تعلل أن هذا العزيز الفريد قتل أباه الحبيب مادمنا كنا معا ، أنا وهو في غرفة الطعام ساعة وقوع الجريمة .

نظر بوارو اليه مبتسما وقال :- هذا أمر سهل . ان دليل الاثبات يكتسب قوته سواء طواعية أو كرهاً . أنت وأخوك على اسوأ ما يكون من علاقات . وهذا أمر معروف . فأنت تهزأ به أمام الجميع ، وهو بدوره لا ينطق بكلمة طيبة عنك . ولكن لنفرض أن هذا جزء من خطة ماكرة . لنفرض أن الفريد أرهقته نزوات أبيه الاستبدادية ، ولنفرض أنكما اتفقتما منذ مدة وأنكما وضعتما خطة قوامها أن تعود أنت الى البيت ويتظاهر هو بالاستياء لذلك في حين تتظاهر أنت بالغيرة منه والكراهية له ، وتبدى احتقارك له . ثم تأتى ليلة الجريمة التى وضعتما الخطة لارتكابها ببراعة ، فيبقي احدكما في غرفة الطعام يتكلم

وربما يتشاجر بصوت مسموع كما لو أن بالغرفة رجلين ، في حين يصعد الآخر الى الطابق العلوي ليرتكب الجريمة .

هب الفريد واقفا وهو يصيح :- أيها الشيطان ...

ولم يسعفه النطق بغير ذلك .

ونظر صجدن الى بوارو وقال :- هل تعني حقا .. ؟

فقال بوارو وفي صوته رنة من الاقناع والقوة ، - انني ذكرت لكم الاحتمالات . ربما تكون الامور قد وقعت هكذا .. ولكننا لا نستطيع أن نقول أيا منها قد وقع بالذات وانتقل الآن من مجال الخيال الى مجال الحقيقة .

وأمسك لحظة ثم قال في بطء :- يجب أن نعود الى اخلاق سيميون لي نفسه كما سبق القول .

- ٦ -

ساد صمت قصير ، والغريب في الامر أن كل ما كان يحس به الجميع من غضب وسخط قد تلاشى وتبدد ، واحتفظ هركيول بورو بمستمعيه تحت سحر شخصيته فقد راحوا ينظرون اليه مأخوذين . واستطرد في حديثه يقول في بطء :

- ان السر كله يكمن في هذه الناحية ، فان القتل هو محور ومركز السر . يجب أن نغوص في أعماق قلب وذهن سيميون لي وأن نرى ماذا نجد فيهما ، فان الرجل لا يعيش ولا يموت لشخصه فقط ولكنه يورث صفاته وطباعه لاولئك الذين يأتون من بعده .

فماذا أورث سيميون لي أولاده وابنته ؟ .. اورثهم قبل كل شيء كبرياءه .. ذلك الكبرياء الذي تهاوى عند ذلك الرجل المسن ازاء الخيبة التي تملكته من نحو أولاده .. وأورثهم كذلك صبره الكبير ، فقد سمعنا أن سيميون لي انتظر في صبر وأناة سنوات طويلة لكي يروي غليله من رجل الحق به إهانة ما . ونلاحظ أن هذا الطبع الاخير ورثه عنه ابنه الذي يشبهه في الملامح على الأقل . ودافيد لي هو الآخر يستطيع أن يذكر غيظه وأن يخفيه سنوات طويلة . وهاري لي هو الذي يشبه أباه في الملامح أكثر من غيره . وهذا الشبه يبدو مثيرا جدا حينما نفحص صورة سيميون لي وهو في شبابه ، فنفس الانف المعقوف ونفس الفك القوي البارز ونفس استدارة الرأس . وأعتقد أيضاً أن هاري ورث عن أبيه طباعا أخرى كثيرة .. فهو يطوح برأسه الى الخلف ويضحك وهناك عادة أخرى من عادات أبيه ورثها عنه وهى

مداعبته لفكه بسبابته من وقت لآخر .

وازاء كل هذه الحقائق ، ولما كنت مقتنعا أن الجريمة ارتكبها شخص على صلة وثيقة بالقتيل فقد درست أحوال الاسرة النفسية، وبمعنى اصح ، حاولت أن أعرف من منهم ، من الناحية النفسية يحتمل أن يكون مذنباً . وانتهيت من ذلك الى أن هناك شخصين هما الفريد لي وهيلدا لي ، زوجة دافيد . أما دافيد نفسه فقد رفضت أن أفكر فيه على أنه قاتل محتمل فلا أظن أن واحدا له مثل رقته يستطيع مواجهة الدم الذي ينبثق من عنق مقطوع ، وكذلك ابعدت جورج لي وزوجته عن خاطري فمهما يكن من نواياهما فانني لا أظن أن من طبعهما الاقدام على مثل هذه المخاطرة ، فكل منهما شديد الحرص والحذر . أما مسز الفريد فانني أحسست احساسا أكيدا بأنها ليست من ذلك النوع الذي يقدم على أعمال العنف فان في طبعها من السخرية أكثر من اللازم . أما بخصوص هاري فقد ترددت ، ففي طبعه شيء من الحدة والشراسة ، ولكني كنت على يقين من أنه شخص ضعيف الارادة ، على الرغم مما يحاول الظهور به . فقد قال أبوه عنه انه لا يساوي أكثر من الآخرين ، وبهذا لم يبق أمامي غير شخصين

اثنين وهما اللذان ذكرتهما من قبل ، فقد كان الفريد لي رجلا غير أناني إلى حد كبير ، وقد انحنى لارادة أبيه وخضع له سنوات طويلة ، ورجل هذا شأنه من المحتمل أن ينهار في أى وقت . وفوق ذلك فلعله كان يخفي في قرارة نفسه حقدا على أبيه ما كان الا ليزداد عنفا لانه لم يستطع أن ينفس عن نفسه أبداً . فإن أشد الرجال هدوءاً أو خنوعاً يتعرضون أكثر من غيرهم الى فقد أعصابهم ويقدمون على أكثر الاعمال عنفا لانهم حين ينهارون فانهم ينهارون كلية ولا يوقفهم شيء . أما الشخص الآخر الذى خطر لي أنه جدير بارتكاب هذه الجريمة فهو هيلدا لي، فهى من ذلك النوع من الناس الذين لا يترددون في بعض المناسبات عن إصدار حكم الاعدام وتنفيذه وإن لم يكن يدفعهم الى ذلك غرض شخصى . ونحن نجد أمثلة كثيرة لما أقول في كتاب العهد القديم مثال ذلك قصة حايل وجوديث .

وإذ بلغت في تأملاتي هذا الحد درست ظروف الجريمة نفسها . وأول شيء تكشف لي وأثار دهشتي هو الظرف الغريب الذي وقعت فيه الجريمة . عودوا بذاكرتكم الى الغرفة التي وجدنا فيها سيميون لي ميتا . لعلكم تذكرون أنه كانت هناك منضدة ومقعدا

ثقيلين مقلوبين ومصباحا وأوان صينية وأكواب محطمة وغيرها . ولكن الذي أثار دهشتي أكثر من أى شيء آخر هو المقعد والمنضدة فهما مصنوعان من خشب الزان الثقيل ، وكان من العسير أن أسلم بأن معركة بين ذلك الرجل الواهن الضعيف وخصمه تتسبب في انقلاب ووقوع مثل هذه القطع الثقيلة من الاثاث . كان ذلك يبدو بعيدا عن الواقع إلا إذا كان سيميون لي قد قتله رجل قوي في حين أن كل الدلائل كانت توحي بأن القاتل امرأة أو رجل ضعيف البنية .

ولكني ، مع ذلك ، لم أقتنع بهذه الفكرة لان الجلبة التي ارتفعت كان من شأنها أن تنبه الجميع ، ولم يجد القاتل متسعا من الوقت للخروج من الغرفة مع أنه وجد الوقت الكافي لقطع عنق سيميون لي في هدوء .

وثمة شيء آخر آثار حيرتي وهو ادارة المفتاح في قفل الباب من الخارج . لم يكن هناك سبب لهذا العمل أيضاً فلا يمكن الايحاء بفكرة الانتحار لان طريقة الموت لا يمكن أن تجعل المرء يفكر في أنه انتحار. ولم يكن ذلك للايحاء بفكرة فرار القاتل من النوافذ لأن النوافذ كانت مغلقة بحيث يستحيل على القاتل أن

يهرب منها . ثم أن ذلك كان يستغرق وقتا . والوقت ثمين بالنسبة للقاتل .

وشيء آخر لم يكن له أي معنى .. قطعة من المطاط مقطوعة من قالب الاسفنج الذي يستخدمه سيميون للاغتسال . وقطعة من الخشب أراهما لي الرقيب صجدن . وهذان الشيئان التقطهما شخص بمجرد دخوله غرفة القتيل .. لم يكن لذلك معنى أيضا .. ومع ذلك فقد كانا موجودين بالغرفة .

كانت الجريمة كما ترون غامضة .. لم يكن هناك ترتيب ولا تخطيط مرسوم .. كانت جريمة غير معقولة .

ونأتى الآن الى تعقيد آخر ، فقد استدعى القتيل الرقيب صجدن وقال له ان سرقة وقعت وطلب منه أن يعود بعد ساعة ونصف فلماذا ؟ لو أن سيميون لي اشتبه في حفيدته أو في أى فرد آخر من افراد الاسرة فلماذ لا يطلب من الرقيب صجدن أن ينتظر في الطابق الارضي ريثما يستجوب هو نفسه الشخص الذي يشتبه فيه ، فلو أنه فعل ذلك لاستطاع أن يحدث الاثر المطلوب أثناء وجود الرقيب في البيت .

وهكذا نصل الآن الى نقطة تستوى فيها تصرفات القاتل

والقتيل في غرابتها وشذوذها .

قلت لنفسي ان كل ظروف هذه الجريمة وملابساتها غير صحيحة فلماذا ؟ .. لاننا ننظر اليها نظرة غير صائبة .. ننظر اليها كما يريد القاتل منا أن نفعل !

أمامنا ثلاثة أشياء لا معنى لها اذن .. المعركة والمفتاح الذي أدير من الخارج وقطعة المطاط .. ولكن لا ريب أن هناك طريقة تجعل لهذه الاشياء معنى . وأبعدت الجريمة نفسها عن رأسى وركزت تفكيري في هذه الاشياء الثلاثة . فأولا المعركة .. بأى شيء توحي ؟ .. بالعنف والتحطيم والجلبة .. والمفتاح ؟ .. لماذا أدير المفتاح من الخارج ؟ الكى لا يدخل أحد ؟ ولكن المفتاح لم يحل بين ذلك مادام الباب قد تحطم بعد ارتكاب الجريمة على الفور تقريباً . ألكى لا يخرج أحد ؟ .. أو لكي لا يتمكن أحد من الدخول ؟ .. وقطعة المطاط ؟ .. مهما يكن من أمرها فانها ليست بأكثر من قطعة من المطاط .

وقد تقولون ان لاشيء في كل هذا ، ولكنى أقول لكم ان هذا غير صحيح لان ثلاثة انطباعات تبقى وهى الجلبة والغرفة المغلقة .. والحيرة التي نتيه فيها .

فهل تتفق أى من هذه الانطباعات على قاتلي المحتملين ؟ .. كلا .. ابدا . فكل من الفريد لي وهيلدا لي قاتل هادىء ، ومن الغباء أن يضيع وقته في اغلاق الباب من الخارج ، وقطعة الاسفنج لا معنى لها بالنسبة له .

ومع ذلك فاني اشعر شعورا قويا بأن هذه الجريمة بعيدة عن الغباء ، بل أنها علي العكس من ذلك دبرت ونفذت بطريقة تدل على الذكاء .. وقد أفلح القاتل في تنفيذها ووقع كل شيء تماما كما توقع .

وفكرت عندئذ في ظروف الجريمة من جديد ، ووضح لي أول قبس ، فقد كان هناك دم .. دم كثير .. دم في كل مكان .. دم طازج براق .. دم كثير .. بل أكثر من اللازم .

وخطر لي خاطر آخر .. هذه جريمة دم .. ارتكبت بكل برود .. ودم سيميون لي هو الذي انقلب عليه .

انحني هرقل بوارو الى الامام واستطرد :- هناك جملتان نطق بهما شخصان مختلفان ، وكان لهما أكبر الأثر في اهتدائى الي سر هذه الجريمة .. والجملة الأولى نطقت بها مسز الفريد لي وقد استعارتها من رواية مكبث فقد قالت : «من كان يظن أن بهذا

الرجل العجوز كل هذا الدم» والجملة الاخرى نطق بها رئيس الخدم تريسليان فقد وصف شعوره وارتباكه وقال لي أنه يرى الاشخاص مرتين وقد تسبب ظرف مفاجيء في شعوره هذا ، فقد سمع جرس الباب فأسرع لكي يفتح لهاري ، وفي اليوم التالي وقع نفس الشيء مع ستيفن فار . .

لماذا أحس بهذا الاحساس ؟ انظروا الى هاري لي ثم إلى ستيفن فار فتعرفون السبب . فإن كلا منهما يشبه الآخر شبها غريبا . ولهذا خيل اليه وهو يفتح الباب لستيفن فار أنه يرى نفسه من جديد أمام هاري نفسه . وقد ذكر لي تريسليان اليوم فقط أنه يخلط بين الناس ولا عجب في هذا فستيفن فار له نفس الانف المعقوف ويطوح برأسه إلى الخلف حين يضحك ويداعب فكه بسبابته . انظروا إلى سيميون لي وهو شاب ، مليا ، وسوف لا ترون هاري فحسب ولكنكم سترون ستيفن فار كذلك .

تحرك ستيفن واصدر مقعده صريرا . وأستطرد بوارو :-

تذكروا ثورة سيميون وتقريعه لأولاده . تذكروا أنه قال انه على يقين من أن له في كل مكان من الأرض إبناء غير شرعيين . وهذا يعيدنا الى أخلاق سيميون لي وطباعه فقد كان زير نساء

وقد حطم قلب زوجته وتباهي أمام بيلار بأنه يستطيع أن يجمع فرقة حرس من أبنائه . واصل الآن الى النهاية وهي أن سيميون لي لم يكن يجمع تحت سقف بيته أفراد اسرته الشرعيين فحسب وإنما كان يعيش معه ابن له من دمه ولحمه وان كان لا يعرفه .

هب ستيفن واقفا على قدميه ولكن بوارو وستطرد :-

كان هذا هو السبب الحقيقي الذي قدمت أنت من أجله ، أليس كذلك ؟ ... انك لم تأت بدافع حبك للفتاة الجميلة التي التقيت بها في القطار . انك كنت في طريقك الى هنا قبل أن تلتقي بها . كنت قادما لكي ترى أى نوع من الرجال أبوك .

امتقع لون ستيفن وقال بصوت متهدج مبحوح :- نعم .. طالما تمنيت أن أراه .. فقد تحدثت أمي عنه كثيراً .. وألحت على هذه الفكرة .. أردت أن أعرف شكله . وجمعت بعضا من المال وأتيت الى انجلترا . ولم أكن أنوى أن ادعه يعرف من أنا . وادعيت أنني ابن صديقه القديم أيب .. جئت هنا لسبب واحد لاغير وهو أن أرى الرجل الذى أعرف أنه أبي .

قال الرقيب صجدن في صوت أشبه بالهمس :- يا الهي ! .. لقد كنت أعمي ! .. ولكنى أرى ذلك الآن .. حسبتك مستر هاري

مرتين ، ولكنى لم ألبث أن أدركت خطئى . ومع ذلك فانني لم أخمن أبدا .

وتحول صجدن الى بيلار وسألها قائلاً :- أنه هو ، أليس كذلك ؟ .. ان الشخص الذى رأيته أمام غرفة جدك هو ستيفن فار . أذكر أنك ترددت ونظرت اليه قبل ان تقولي أنه امرأة . إنك رأيت ستيفن فار ولكنك حاولت تغطيته .

وصدر حفيف خفيف في هذه اللحظة وقالت هيلدا لي في صوت عميق :-

- كلا . انك مخطىء .. أنا التى رأتها بيلار .

فقال بوارو :- أنت يا سيدتي ! .. نعم . هذا ما خطر لي .

وقالت ليديا لي في هدوء :- إن غريزة الوفاء أمر عجيب . ما كنت أعتقد أننى استطيع أن أكون بهذا الجبن .. وأن ألزم الصمت بدافع الخوف .

قال بوارو :- هل تذكرين لنا كل شيء الآن ؟

فهزت رأسها وقالت :- كنت مع دافيد في غرفة الموسيقى . كان يعزف على البيان . وكان غريب المزاج . كنت أشعر بشيء

من الخوف ، وأحسست بمسئولية كبيرة لانني أنا التى أصررت على المجيء . وبدا دافيد يعزف المارش الجنائزي . واستقر رأيي فجأة . وقد يبدو لك ذلك غريباً . ولكنى قررت أن نغادر البيت أنا وزوجي في تلك الليلة بالذات .. وخرجت مسرعة من غرفة الموسيقي وصعدت الى الطابق العلوي . أردت أن أذهب الى مستر لي وأن أقول له لماذا نغادر البيت . واجتزت الطرقة حتى غرفته وطرقت الباب ولكنه لم يرد على . وحاولت عندئذ أن أدير الاكرة ولكن الباب كان موصدا وعندئذ بدا على التردد وسمعت صوتا داخل الغرفة ..

وتوقفت لحظة ثم استأنفت حديثها قائلة :- ربما لا تصدقونني ولكن هذا ما حدث حقا . ولا ريب أنه كان بداخل الغرفة شخص يعتدى على مستر لي . وسمعت المناضد والمقاعد تنقلب والأواني والزجاج يتحطم ثم سمعت عندئذ تلك الصيحة البغيضة ولم يلبث أن ساد الصمت .

وبقيت مكاني جامدة عن الحركة كما لو أن قدمي تسمرتا بالأرض . ثم أقبل مستر فار ركضا ومجدالين وكل الآخرين . وبدأ هاري يقصف الباب ، ولم يلبث هذا أن تهاوى ورأينا الغرفة

ولم يكن بها أحد فيما عدا مستر لي ، وكان جثة هامدة يسبح في دمه .

وارتفع صوتها الهادىء وصاحت :- لم يكن بالغرفة أحد .. هل تفهم ؟ .. ولم يخرج منها أحد .

- ٧ -

أخذ الرقيب صجدن نفسا طويلا ثم قال :- انني أكاد أجن. أن ما تقولين محال اطلاقا يا مسز لي .. انه جنون !

صاحت هيلدالي :- قلت لك انني سمعت العراك بالغرفة وسمعت الرجل المسن يصيح حين قطع القاتل رقبته ولم يخرج من الغرفة أحد وكذلك لم يدخلها أحد .

وقال هرقل بوارو :- ولزمت الصمت طوال هذه المدة ؟

امتقع لون هيلدا ولكنها قالت في حدة :- هذا صحيح .. فلو أنني أخبرتك بما حدث لما فكرت في غير شيء واحد وهو انني أنا التي قتلته .

هز بوارو رأسه وقال :- كلا . انك لم تقتليه ، فقد قتله ابنه.

فقال ستيفن فار :- أقسم بالله أنني لم أمسه .

فقال بوارو :- ليس أنت ، فان له أبناء آخرين . وقال هاري :- بحق السماء ..

وحملق جورج في بوارو ، وحجب مستر دافيد عينيه بيده ورمش الفريد بعينه مرتين .

وقال بوارو:- في الليلة التي أقبلت أنا فيها ، وهى الليلة التى وقعت فيها الجريمة رأيت شبحا . وكان ذلك شبح القتيل ، فانني حين رأيت هاري لي تملكتني الدهشة فقد أحسست بانني رأيته من قبل . وعكفت على دراسة ملامحه جيدا ولم ألبث أن أدركت أنه شديد الشبه بأبيه وقلت لنفسي ان هذا هو سبب الاحساس الذي أحسست به .

«ولكن رجلا كان يجلس أمامي طوح رأسه أمس وضحك فعرفت على الفور بمن يذكرني هاري ، فقد رأيت في ملامح ذلك الرجل ملامح القتيل .

«ولا عجب اذن اذا كان العجوز تريسليان المسكين قد أرتبك حين مضى لكي يفتح الباب لا لرجلين وانما لثلاثة رجال يتشابهون شبهاً يكاد يكون تاما . ولا عجب أنه اعترف لي بأنه يخلط بين الناس مادام في البيت ثلاثة رجال متشابهون .. نفس القامة ونفس

الحركات ونفس العادات . ولاسيما عادة واحدة وهى مداعبة كل منهم لفكه . وبنفس الانف المعقوف الابي ومع ذلك فإن الشبه لم يكن من السهل ملاحظته لان الرجل الثالث يختلف عن الآخرين في أن له شاربا .

والمرء ينسى احيانا أن ضباط البوليس رجال هم الآخرون وأن لهم زوجات وأطفالا وأمهات ..

وتوقف لحظة ثم استطرد :- وآباء .. تذكروا سمعة سيميون لي المحلية . رجل خطم حياة زوجته لشغفه بالنساء . والابن الذي يولد من غير زواج يمكن أن يرث أشياء كثيرة . يمكنه أن يرث ملامح أبيه ، بل وطباعه وحركاته ، يمكنه أن يرث كبرياءه وضبره لكي يروى غله الانتقامي .

ورفع بوارو صوته وهو يقول :- انك أحسست طوال حياتك يا صجدن بالحقد على أبيك وأظن أنك فكرت في قتله من وقت طويل ، وأنت قد أتيت من الأقليم المجاور وهو ليس بالبعيد . ولا ريب أن أمك استعانت بالمال الذي سخا سيميون لي في منحها اياه وزوجها زوجا تبني ابنها. وكان من اليسير لك أن تلتحق ببوليس ميدلشاير وأن تنتظر الفرصة لإرتكاب جريمتك والافلات

بجلدك .

امتقع وجه صجدن امتقاع الموتى وقال :- أنت مجنون : .. انني كنت خارج البيت عندما قتل .

هز بوارو كتفيه وقال:- كلا . قتلته قبل أن تغادر البيت عند زيارتك الأولى فان أحدا لم يره على قيد الحياة بعد انصرافك.

كان الامر يسيرا بالنسبة لك . كان سيميون لي في انتظارك حقا ، ولكنه لم يرسل في طلبك وإنما اتصلت أنت به وحدثته في غموض عن محاولة للسرقة وقلت له أنك ستأتى لمقابلته قبل الثامنة في تلك الليلة وأنك ستدعي أنك قادم لجمع بعض التبرعات . ولم يشك سيميون لي في الامر ، ولم يكن يعرف أنك ابنه . وأقبلت أنت وحدثته عن إستبدال بعض الماسات ففتح لك الخزانة ليريك أن الماسات الحقيقية موجودة بها . واعتذرت اليه وعدت معه بجوار الموقد وأمسكت به فجأة وجززت عنقه واضعا يدك فوق فمه حتى لا يتمكن من الصياح . وهذا عمل صبياني بالنسبة لرجل في مثل قوتك .

«ثم قمت باعداد المكان بعد ذلك ، فأخذت الماسات وكومت

المقاعد والمناضد والاباجورات والفازات بعضها فوق بعض ثم طوقت الجميع بخيط أو بحبل رفيع أحضرته معك لهذا الغرض . وكانت معك زجاجة مملوءة بدم حيوان مذبوح لتوه أضفت اليه بعضا من سترات الصوديوم ورششت هذا الدم في كل مكان ، وأضفت بعضا آخر من سترات الصوديوم على بركة الدم التي انبعثت من جرح سيميون لي . وذكيت النار لكي تحتفظ الجثة بحرارتها . ثم القيت بطرفي الحبل خارج الغرفة وتركتهما يتدليان بجوار الحائط .. وغادرت الغرفة وأدرت المفتاح من الخارج . وكان هذا الامر الاخير حيويا لانه لم يكن ينبغي بأى حال من الاحوال ، أن يدخل أي شخص الغرفة .

«ثم خرجت بعد ذلك وخبأت الماسات في الحديقة ، وأنت تعلم أنها اذا ظهرت عاجلا أو آجلا فان ذلك لن يكون من شأنه إلا أن يزيد الشكوك والشبهات على أفراد اسرة سيميون لي الشرعيين كما تريد . ثم عدت قبل التاسعة بقليل ومضيت الى الحائط تحت النافذة وشددت الحبل فوقعت المناضد والمقاعد التي كنت جمعتها بعضها فوق بعض كما وقعت الفازات والاواني الصينية فتحطمت ثم جمعت الحبل وربطته حول بدنك تحت سترتك .

«ولكنك استخدمت حيلة أخرى .

وتحول الى مستمعيه وأستطرد :- هل تذكرون كيف أن كلا منكم علل الصيحة التي أطلقها مستر لي بطريقة تختلف عن الآخر ، فأنت يا مستر لي قلت انها صيحة رجل يتألم ألما مبرحا ووصفتها زوجتك ومستر دافيد معا بأنها أشبه بصيحة رجل يتعذب في جهنم . أما مسز دافيد لي فعلى العكس من ذلك قالت انها صيحة لا روح فيها . وأنها صيحة وحشية أقرب الى صيحة حيوان . وكان هاري لي أقرب الجميع الى الحقيقة إذ قال أنها اشبه بصيحة خنزير ذبيح .

«هل تذكرون هذه البالونات الحمراء المصنوعة من المثانة والمرسوم عليها وجوه كاريكاتورية والتي تباع في الاعياد ويطلقون عليها اسم «الخنازير المذبوحة ؟ ان هذه البالونات إذا أفلت منها الهواء أصدرت صوتا وحشيا . وهذه هي لمستك الاخيرة ياصجدن فانك جئت باحدى هذه البالونات الى الغرفة ونفختها ثم ربطتها باسفين من الخشب ثبته بالخيط . وعندما شددت الحبل وقع الاسفين وأفلت الهواء من البالونه، وصدرت تلك الصيحة المروعة.

وتحول مرة أخرى الى الآخرين وقال :- هل عرفتم الآن ما

الذى التقطته بيلار استرافادوس . كان الرقيب يرجو أن يدخل الغرفة في الوقت المناسب لكي يسترد قطعة المطاط قبل أن يلحظها أحد ، ولكنه مع ذلك اخذها من يدي بيلار بأسرع ما يمكن وبطريقة رسمية بارعة . ولكن تذكروا أنه لم يذكر هذه الواقعة لأحد اطلاقا . كانت هذه الواقعة في حد ذاتها مريبة ، وقد سمعتها من مجدالين وحدثته عنها . وكان متأهباً لهذا الاحتمال فقد أخرج من جيبه قطعة من قالب الاسفنج الذي يستعمله مستر لي في الاغتسال كما اخرج قطعة صغيرة من الخشب كانتا تشبهان ظاهريا القطعتين اللتين تكلمت مجدالين عنهما .. قطعة من المطاط .. وقطعة من الخشب . لم يكن لهما أي معنى كما تحققت في ذلك الوقت . وما كان أغبانى فقد كان يجب أن أقول انه ليس لهما أي معنى وانهما لن يكونا بالغرفة قط وبناء على ذلك فان الرقيب صجدن يكذب .. كلا ، بل كنت من الغباء بحيث حاولت أن أجد لوجودهما تعليلا ، ولم أهتد الى الحقيقة إلا عندما أنفجرت البالونة التي كانت تلعب بها الآنسة استرافادوس وقالت أنها التقطت بالونة انفجرت في غرفة مستر سيميون لي .

«هل ترون الآن كيف تتفق جميع الحقائق ؟» المعركة البعيدة الاحتمال التي كان لابد منها لتحديد ساعة الجريمة والباب الموصد .. لكيلا يدخل أحد ويكتشف الجثة في الوقت غير المناسب وصيحة الرجل الميت .. أن الجريمة تبدو الآن منطقية ومعقولة .

«ولكن منذ تلك اللحظة التي صاحت فيها بيلار استرافادوس معللة اكتشافها بصدد البالونة أصبحت مصدر خطر للقاتل . وإذا كان قد سمع هذه الملاحظة من البيت (وهذا ما يحتمل لأن صوت الآنسة كان مرتفعا وواضحا بما فيه الكفاية نظرا لأن النوافذ كانت كلها مفتوحة) فقد كانت هي نفسها في خطر جسيم . وكانت قد سببت حرجاً كبيراً للقاتل قبل ذلك فقد قالت في بعض الحديث عن مستر لي العجوز انه كان جميلاً واردفت وهى تخاطب صجدن مباشرة «مثلك أنت ، وكانت تعني ذلك حرفيا ، وأدرك صجدن ذلك ولا غرابة اذا كان لونه قد أحمر واذا كان قد أوشك أن يختنق فقد كان ذلك غير متوقع وشديد الخطر ولم يعد له من امل بعد ذلك الا القاء التهمة عليها . ولكنه لم يلبث أن تحقق ان ذلك متعذر جدا لان وضعها كحفيدة لا ترث شيئاً من الرجل العجوز لا يدفعها لارتكاب جريمة القتل . ولكنه حين سمع

أخيراً صيحتها بخصوص البالونة قرر أن يتخذ اجراءات يائسة فوضع قذيفة المدفع فوق باب غرفتها اثناء تناول الغذاء ، ولحسن الحظ فشل هذا الكمين بشبه معجزة .

وساد صمت ثقيل قطعه صجدن أخيراً فقال في هدوء :- متى تأكدت من أنني الجاني ؟

- لم أكن متأكدا تماما الى أن أحضرت شاربا مستعارا ثبته فوق صورة سيميون لي فاذا بالوجه الذي ينظر الى هو وجهك أنت.

فقال صجدن :- فلتذهب روحه الى الجحيم .. لست نادما على شيء .

الفصل السابع

٢٨ ديسمبر

قالت ليديا :- بيلار ، أظن أن من الاوفق أن تمكثي معنا حتى ندبر أمرك .

فأجابت بيلار في صوت رقيق:- هذا كرم كبير منك يا ليديا. أنك رقيقة .. تصفحين عن الناس بسهولة .

ابتسمت ليديا وقالت :- انني مازلت ادعوك بيلار علي الرغم من أنني اعتقد أنه ليس اسمك .

- نعم . الواقع أنني أدعى كونشيتا لوبيز .

- ان كونشيتا إسم جميل جدا هو الآخر .

- انك طيبة القلب حقا يا ليديا . ولكن لا حاجة بك الى أن تزعجى نفسك بسببي ، فإنني ساتزوج ستيفن ، وسنذهب للاقامة في افريقيا الجنوبية .

ابتسمت ليديا وقالت :- حسنا .

وقالت بيلار :- مادمت قد ابديت هذا الكرم يا ليديا افلا تظنين اننا ربما نستطيع أن نعود ذات يوم لكي نقضي عيد الميلاد معك؟ .. سوف نطلق البمب والصواريخ عندئذ ونستمتع بالفطائر والحلوى .

- يمكنكما المجيء بكل تأكيد ، والاشتراك معنا في الاحتفال بعيد الميلاد .

- سيكون ذلك جميلا يا ليديا ، فأنني أشعر بأن هذا العيد لم يكن سعيداً ابداً .

تنهدت ليديا وقالت :- كلا . لم يكن عيدا سعيدا .

- ٢ -

قال هاري :- استودعك الله يا ألفريد .. لا تظن انني سأعود لأزعجك بعد اليوم فانني ذاهب الى هاواي . طالما منيت نفسي بالاقامة هناك دائماً ، اذا ما وقعت على مبلغ من المال .

فقال ألفريد :- استودعك الله يا هاري . اظن أنك ستستمتع بحياتك . وانني اتمنى لك التوفيق .

فقال هاري في شيء من الارتباك :- يؤسفني أنني احنقتك كثيرا يا عزيزي ، فانني على شيء من سوء الخلق ولا أستطيع أن أمنع نفسي من مداعبة الغير .

قال الفريد وهو يبذل جهدا كبيراً :- يجب أن أروض نفسي على تقبل المزاح .

وقال هاري في شيء من الارتياح :- حسنا .. الى الملتقى .

- ٣ -

قال الفريد :- دافيد . انني وليديا قررنا أن نبيع البيت . وقد خطر لي أنك قد تحب الاحتفاظ ببعض الأشياء التي كانت تملكها أمنا .. مقعدها مثلا والطاولة الصغيرة التي كانت تستخدمها لكي تريح عليها قدميها .. فأنت كنت الاثير لديها دائماً .

تردد دافيد لحظة ثم قال في بطء :- أشكر لك فكرتك هذه يا ألفريد . ولكنني أظن أنني لن أفعل .. لا أريد شيئاً من هذا البيت .. أرى أن من الاوفق أن أقطع كل صلة بالماضي .

فقال ألفريد :- نعم .. انني أفهم .. ولعلك على حق .

قال جورج :- استودعك الله يا ألفريد . الى الملتقى يا ليديا . ما أسوأ تلك الفترة التي مرت بنا . ثم هناك المحاكمة أيضاً . وأظن أن كل تلك القصة المشينة سوف يعرفها الجميع . وأعني بها أن صجدن هو أبن ابينا . وأظن أن من الاوفق أن يدافع عن نفسه فيقول انه شيوعي وأنه كره أبي بصفته رأسماليا أو شيئاً من هذا القبيل .

فقالت ليديا :- يا عزيزي جورج ، هل يخطر ببالك حقا أن رجلا كصجدن يكذب ارضاء لشعورنا ؟

فقال جورج ، - لا .. لا أظن ذلك.. كلا . إنني أفهم غرضك .. ومع ذلك فلابد أنه مجنون . حسنا . الى الملتقى مرة أخرى .

وقالت مجدالين :- الى الملتقى . ما رأيكما في أن نقضى عيد الميلاد في العام القادم في الريفييرا أو في أى مكان آخر نستطيع أن نقضى فيه عيدا سعيدا .

فقال جورج :- هذا رهن بسعر الكامبيو .

فابتسمت مجدالين وقالت :- ألا تكف عن هذا البخل أيها العزيز ؟

- ٥ -

خرج ألفريد الى الشرفة ورأى ليديا منحنية فوق إحدى الحدائق ، واعتدلت حين رأته ، فقال وهو يتنهد :

- خسنا .. لقد رحل الجميع .

وقالت ليديا :- نعم .. لحسن الحظ .

وقال الفريد :- أجل .. هل يسرك أن تغادري هذا البيت .

فسألته ، - هل يزعجك ذلك كثيراً .

- كلا . سوف يسرني ذلك ، فما زلنا نستطيع أن نفعل أشياء ممتعة معا . وإذا بقينا هنا فسوف نذكر ذلك الكابوس الى الأبد .. الحمد لله أن انتهى كل شيء .

قالت ليديا :- بفضل هركيول بوارو .

- نعم . من الغريب حقاً أن كل شيء بدا سهلا وفي موضعه بعد أن أوضح لنا ما حدث .

- هذا صحيح .. كلعبة الصبر حين نفرغ منها وتجد كل قطعة من القطع الصغيرة موضعها الحقيقي في نفس اللحظة التي نهم فيها بأن نقسم أننا لن نهتدي الى ذلك .

قال ألفريد :- مازالت هناك نقطة صغيرة قد ألتبست علي .

ماذا كان جورج يفعل بعد أن فرغ من مكالمته التليفونية . ولماذا لم يفصح عن ذلك ؟

- ألا تعرف ؟ .. أنني عرفت ذلك طوال الوقت . كان يفحص أوراقك التي على المكتب .

- أوه . كلا ياليديا . ما أظن أحدا يجرؤ على أن يفعل ذلك.

- ولكن جورج أقدم . أنه شديد الفضول في كل ما يتصل بالمال . ولكنه لم يستطع أن يقول ذلك طبعاً . وما كان ليعترف بذلك مهما حدث له .

قال ألفريد :- هل تصنعين حديقة أخرى ؟

- نعم .

- وما شكلها هذه المرة ؟

أجابت ليديا :- انني أحاول أن أقدم صورة لجنة عدن .. صورة جديدة .. من غير ثعبان ، يظهر فيها آدم وحواء في سن الكهولة .

قال ألفريد في رقة :- عزيزتي ليديا .. ما أجمل صبرك الذي تحليت به طوال هذه السنوات .. كنت لي دائماً نعم الزوجة

المثالية .

فقالت ليديا :- ذلك لانني أحبك يا ألفريد .

- ٦ -

قال الكولونيل جونسون :- رحماك يا الله ! .. رحماك يا ربي !

وأنحنى في مقعده الى الخلف وحدق في بوارو وقال في إكتئاب :

- ساعدي الايمن ! .. ماذا حدث لرجال البوليس !

قال بوارو :- حتى رجال البوليس لهم حياتهم الخاصة .. وقد كان صجدن رجلا شديد الصلف والكبرياء .

هز الكولونيل جونسون رأسه ، ولكي يفرج عن نفسه دفع كتل الحطب بقدمه الى الموقد وقال في صوت مضطرب :

- مازلت أقول . لاشيء أفضل من نار الحطب .

ولكن هرقل بوارو ، وقد أحس بالتيار يلفح عنقه قال يحدث نفسه :

- أما أنا فانني أفضل جهاز التدفئة العامة .

تمت

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية
ومكتبة المعارف ببيروت

أجاثا كريستى

ملكة كتب الجريمة بغير منازع . تتميز بالحبكة الروائية الفريدة والأسلوب البسيط. ظهرت أولى رواياتها فى عام ١٩٢٠ فنالت نجاحا فوريا. وتوالت بعد ذلك عشرات الكتب التي باعت بمختلف لغات العالم أكثر من ٥٠٠ مليون نسخة.

ولرواياتها عدة أبطال أهمهم الشرطى السرى بواروه، والسيدة العجوز والموهوبة چين ماربيل. وقد ولدت أجاثا (ميللر) كريستى فى مصيف توركى بمقاطعة ديڤون جنوبى إنجلترا فى سبتمبر ١٨٩٠ من أب امريكي وأم إنجليزية. وكانت شديدة الشغف منذ طفولتها بالقراءة. وتزوجت وهى فى العشرين من الكولونيل كريستى. وهربت منه فى ١٩٢٦ بطريقة درامية، قيل لخيانته لها. فأستقلت سيا[illegible] وأختفت أسابيعا فى أحد الفنادق. وأخذ البوليس [illegible] البحث عنها. وقد طلقت الكولونيل كريست[illegible] وتزوجت من عالم الآثار ماكس مالووان. و[illegible] وهوايته للآثار. وقد توفيت فى يناير ١٩٧٦

دار ومطابع المستقبل بالفجالة و الاسكندرية